جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية
قسم اللغة العربية

الـتــرف وأنـسـاقـه الـقــرآنـيـة
فـي شـعـر مـلـوك الأنـدلس وأمــرائــها

رسالة مقدمة
الى مجلس كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / لغة القرآن وآدابها

كتبت بواسطة
جعفر صادق وهاب

بإشراف

أ.م.د.صفاء حسين المسعودي

نيسان - 2022 م رمضان - 1443هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ))

[الواقعة : 45]

صدق الله العَلِيُّ العَظِيمُ

ترشيح رسالة للطبع

نظرا لإنجاز فصول ومباحث الرسالة الموسومة(**الترف وأنساقه القرآنية في شعر ملوك الأندلس وأمرائها**) لطالب الماجستير **(جعفر صادق وهاب)** فأني ارشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : أ.م.د صفاء حسين لطيف

مكان العمل: جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

التأريخ: ١٣/١ /٢٠٢٢

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (**الترف وأنساقه القرآنية في شعر ملوك الأندلس وأمرائها**) التي قدمها الطالب (**جعفر صادق وهاب**) قد جرى بإشرافي في كلية العلوم الإسلامية بجامعة كربلاء، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها..

التوقيع:

الاسم: أ.م.د صفاء حسين لطيف

التاريخ: ٧ / ٣ / ٢٠٢٢

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة:

التوقيع:

الاسم : أ . م . د صفاء حسين لطيف

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : ٧ / ٣ / ٢٠٢٢

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (**الترف وأنساقه القرآنية في شعر ملوك الأندلس وأمرائها**) وناقشنا الطالب/ـة(**جعفر صادق وهاب**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير

(جيد جداً عالٍ) لنيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

الاسم : أ.د. علي كاظم المصلاوي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د. أمجد حميد عبد الله

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ: ٢٠٢٢-٦-٢٤

التوقيع:

الاسم: أ.د. رائدة مهدي جابر

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ: ٢٠٢٢/٤/٢٤

التوقيع:

الاسم: أ.م.د صفاء حسين لطيف

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ: ٢٠٢٢/٤/٢٤

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:

الاسم: **أ.د ضرغام كريم كاظم الموسوي**

العميد وكالة

التاريخ: 2022/4/28

الإهداء

إلى الحسين بن عليٍّ عليهما السلام الذي هو

في السماء أكبر منه في الأرض ، وإنّه

لمكتوب عن يمين عرش الله:

((مصباح هدى وسفينة نجاة وإمام خيرٍ)) .

جعفر صادق وهاب

الشكر والتقدير

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته والشكر له على ما وفقنا والهمنا والشكر موصولاً لوسيلته محمد وآلِ محمد مَوالِيَّ الذين لا أُحْصـي ثَناءهم وَلا اَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَهم وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَهم.

وإلى الذي أولدني و هدر شبابه ليقوم شبابي ، ذي النية البيضاء والقلب الرحيم ، الذي فارقني ببدنه ، و رافقني بدعائه وبركته .

وإلى من غذتني الولاية والإخلاص ، وزرعت فيّ المثابرة والإصرار ، ذات اليد المغروسة بالعطاء والرحمة أمي الغالية .

وإلى رفيقة الدرب وشريكة السراء والضراء ، التي ساندتني بصبرها الجميل زوجتي.

وإلى رفقة المحبة الذين كانوا من المواظبين والمساندين لي في إتمام هذا العمل .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل الى عمادة كلية العلوم الاسلامية ورئاسة قسم اللغة العربية والأساتيذ الأفاضل الذين أرفدوني بعطائهم المستمر لانجاز هذه الرسالة.

أسأل الله لي ولهم الثبات والتوفيق لخدمة العلم والسير على خطى العلماء أنه سميع الدعاء .

الخلاصة

الترف هو الطغيان والإسراف في النعم الحسية والمادية والمعنوية، وكانت الأندلس تشتمل على جوانب طبيعية خلابة وأخرى سلوكية و مادية متنعمة حاضنة مناسبة لظاهرة الترف، ولعل أبرز من تجلت فيه هذه الظاهرة في الأندلس هم الطبقة الحاكمة المتسببة بالترف والناشرة له والمتحكمة فيه ومن هذه الطبقة من دخل بوابة الشعر والأدب، فمنهم من كان مقلّاً لا يتعدى المقطوعات، ومنهم من تعدى ذلك لينظم بعض القصائد، وقليل منهم من كان صاحب ديوان، وعند عرض هذه المنظومة الشعرية لملوك الأندلس وأمرائها على منهج النقد الثقافي انطلاقا من القرآن الكريم لتكون الأنساق قرآنية ثقافية أظهرت لنا مضمرات الترف الكامنة خلف جماليات تلك الأبيات.

أظهرت لنا الأنساق القرآنية في شعر ملوك الأندلس وأمرائها شدة انطباق الترف وتأثيره على هذه الطبقة، فما أخفته الصور الفنية والجمالية أظهرته المنظومة النسقية القرآنية الثقافية عن طريق طرح النماذج، والأمثلة المُساوقة لواقع تلك الطبقة في صفة الترف، لتتضح لنا قراءة جديدة في مضمار الأدب لا تقتصر على ملاحقة مضامين النصوص وفنياتها الجمالية إنما تتعدى لقراءة النص ومُلقيه والواقع المحيط بهما ، فيكون البحث الإنساني في ميدان الأدب بهذه القراءة أقرب للحياة، لان الأدب إذا لم يلامس حقائق الواقع الحياتية المتضمنة لذلك النص ومُلقيه فلا طائل من الآدب .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	
الاية	أ
الاهداء	ب
شكر وتقدير	ت
الخلاصة	ث
المحتويات	ج
المقدمة	1
التمهيد : مفهوم الترف عند الطبقة الحاكمة في الأندلس ولمحة الأنساق	7
- الترف لغة واصطلاحا	8
- الانساق القرانية	11
- الملوك والامراء الشعراء في الاندلس	19
الفصل الاول : بيئة الترف في الاندلس وأقسامه	24
المبحث الاول : الترف في الطبيعة	26
- البيئة التاريخية	26
- البيئة الجغرافية	31
- البيئة المناخية وعذوبة التضاريس	33
المبحث الثاني : الترف المادي	37
- المبالغة في الهندسة العمرانية	37
- الثروات [الزراعة – الصناعة – التجارة]	42
- ثقافة الترف ومظاهره في المجتمع الأندلسي	45
- ثقافة التأنق	48
المبحث الثالث : الترف المعنوي	51
- الترف الفكري	51
- الترف النفسي	54
- الترف في الانفعالات الحميمية	56
- الترف الوراثي	58

المحتويات

الفصل الثاني : الانساق القرانية باعتبار المترف وبواعثه	61
المبحث الاول : التعلق القلبي	63
- حب السلطة والتملك	68
- حب المال والاسراف في العطاء	72
- حب الوجاهة	78
- حب الجنس بطرفيه الذكوري والانثوي مضافاً إليهما امتداد النسل	82
المبحث الثاني : التفاخر والتكاثر	87
- التفاخر بالذات	88
- أنا اكثر منك مالا واعز نفرا	89
- التفاخر بالاحساب والانساب	90
- التفاخر بالقوة والباس	93
- التفاخر بالملك	95
- تكاثر الكم والنوع	96
- الهاكم التكاثر	97
المبحث الثالث : فساد العقيدة	101
- التكبر على الغيب	101
- القلوب العمي	102
- وهن العلاقات	105
- تحول حب الشهوات الى آيديولوجيات (عقائد)	109
- دين المترفين	115
الفصل الثالث : الانساق القرانية باعتبار الترف واثاره	120
المبحث الاول : استحباب الدنيا على الآخرة	122
- الانسلاخ والاخلاد الى الدنيا	122
- بنية المخالطة العوراء	123
- الرضا والإطمئنان لدار الفناء	128
- مفهوم الزهد عند المترفين	128

المحتويات

- تجليات الترف في اغراض الوصف	133
المبحث الثاني : العقل الجمعي المترف (الانصياع المجتمعي للترف)	139
- انصياع المجتمع للترف	140
- (فرعون وملأه) استخف عقولهم فاترفهم	143
- قانون سلوك الاكثرية القراني	145
- الرضا بالترف والاطمئنان اليه	150
المبحث الثالث : افول النظام وسراب قوته	158
- المصانعة الاقتصادية وعشوائية الانفاق	158
- استبداد االنظام الارستقراطي وتفكك اواصره	161
- سراب توسع النظام السياسي واقترابه من الافول	163
الخاتمة	169
المصادر والمراجع	173
الواجهة .Eng	A

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين -عالم الغيب والشهادة- والصلاة والسلام على سيدِ الأنبياء والرسل الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وعلى وصيه وخليفته ونفسه علي بن أبي طالب نقطة باء البسملة و زوج الزهراء فاطمة سر الله المكنون التي على معرفتها دارتْ القرون الأولى وعلى سبطيها الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة و زينة عرش الله، وعلى المعصومين من ولدِ فاطمة عليها وعليهم السلام وعلى بقية الله قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً .

وبعد ....

عندما تتجاوز الرغبات الحدود الإنسانية، والدينية، والعرفية، والأخلاقية متجاهلة العواقب الحسّية والمعنويّة فذلك هو الترف، فالغنى في الجانب الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والديني ما هو إلا تلبية لمتطلبات الكمال الإنساني المغروسةِ في كل فرد، ولكن عندما تتحول هذه المتطلبات والحاجات إلى أيديولوجيات ومن ثم تصبحُ غايات يكون الغنى في تلك الجوانب هو الترف.

إنّ إقبال عالم الأسباب المادي والمعنوي بترادف النعم الظاهرة، والباطنة هو أحد وسائل الترف لجذب الأفراد إلى باحتهِ، وعند قبول الطرف المقابل لهذا الجذب والاستغراق بنعيمه الزائل يجانب حينها السلوكيات والثقافات والخطابات وهذا ما يشكل تهديداً للمجتمعات، إذ تتثاقل الجهود، وتتلاشى المسؤوليات، وتكثر العشوائيات في التصرفات والقرارات، وكلّ ذلك راجع إلى تجاوز الحدود فيما هو مباح، والوقوع في دوامة الترف، ولعل أوليات ذلك الأمر هي الجارفة للمجتمعات ولكن بتقبل الفرد والطاعة لمتطلبات النفس الشهوانية، فعند تلاقح المظاهر مع المقبولية والرغبة فيها يُصنع الإنسان المترف ثم يسري ذلك الترف إلى المجتمعات، حين ذلك لا يُخشى على الأمم من الفقر أنما يُخشى عليها من الترف الذي يفقدها كل شيء، ويُطفئ وهجها.

ويبدو أن الأندلس كانت حاضنة مناسبة لتفشي ظاهرة الترف لتوافر اسباب الترف فيها من حيث الطبيعة الخلابة و المظاهر المادية والمعنوية الأخرى للترف، وتغلغلها في المجتمع الأندلسي عن طريق هيمنتهِ على الثقافة، والفكر، والعادات، والتقاليد، وحتى على مستوى الاعتقادات الشخصية والعامة لتلك البلاد، وعلى جميع طبقاته من الحكام، والملوك، والأمراء، وما له من قاعدة شعبية، والنظام الرابط بين أطراف الحكم .

وكانت الطبقة الحاكمة من الملوك والأمراء في الأندلس هي الأقرب لتلك الظاهرة لتوافر الأسباب الدنيوية ما ظهر منها وما بطن وتضافرها من حولهم، و إقبالهم عليها من الناحية الأخرى واستغراقهم فيها، و عكوفهم على مظاهرها حتى أصبح الترف قريناً لهم، فكلما ذكر الترف كانوا هم المثال الأقرب إلى الذهن وعلى أرض الواقع، ونرى تصريحهم بذلك على مستوى لسان الحال ومنهم من صرح بلسان المقال، وما نحن بصدده من دراسة فإن التصريح عن الترف كان بلسان المقال و ما طابقه من لسان الحال، وهذا ما بان في تقفي الآثار الشعرية للشعراء الملوك والأمراء في الأندلس وتتبع الموضوعات التي بان فيها الترف و اعتادوا القول فيها، فاكثروا من الفخر والغزل والوصف لأنها الأقرب إلى واقعهم المترف، وقل الشعر عندهم في الموضوعات الاخرى تساوقاً مع واقعهم.

وعند وضع الأبيات تحت مجهر الأنساق انكشف الترف الكامن خلف تلك الجماليات في أبياتهم الشعرية و المتفشية في واقعهم المحيط بهم، وقد خالفت القراءة النسقية لأبياتهم القراءات الأدبية السابقة السائدة المقتصرة في استظهار دلالة النصوص على مبدأ الجماليات، وأحادية الرؤية النقدية ذات المنهج المُنغلق على زَجِّ الأدب بين الفن والفلسفة، وأثبتت الأنساق في ميدان الثقافة أن القراءة للأدب يجب أن تكون محيطة بالنص ومُلقيه والواقع الذي ساهم في بناء ذلك النص وأضفى تأثيراتِهِ على ملقيه، فكانت قراءة أبيات الملوك والأمراء في الأندلس المتضمنة لظاهرة الترف في هذا البحث على وفق الرؤية النسقية الثقافية القرآنية التي تُخرج ما وراء جماليات الألفاظ والدلالة وتطابقها مع الواقع المحيط بذلك النص ومُلقيه لتنتج لنا حقائق ما أضمرت وسارت عليه تلك النصوص، وهل كانت جماليات تلك المعاني مطابقةً لما هم عليه أم لا ؟.

كانت المنظومة القرآنية الثقافية هي المرجع لقراءة تلك الأنساق، وتبعاً لتخصص قسمنا (لغة القرآن وآدابها) كانت الرؤية النسقية مستنبطةً من المنظومة القرآنية المعرفة لظاهرة الترف، وفي ضوء هذا النسق القرآني تتم قراءة الترف ومُتعلقاتهِ في الأبيات الشعرية لملوك الأندلس وأمرائها برؤية محكمة من الآياتِ والنماذج القرآنية التي لا تدخل في نظام الإحتمالات ولا تقبل الخيال أو الاستقراء الناقصة للأحداث، فهو قطعي الدلالة قطعي الصدور إذا ما أوقفت الدلالة على قول المعصومين عليهم السلام، ويكون العرض لتلك الأنساق القرآنية بشكلٍ تنظيري في تراتبية من الآيات القرآنية، وبشكل تطبيقي عن طريق طرح النماذج والأمثلة القرآنية التي عرضت لهذه الظاهرة وطابقت واقع تلك الأبيات، لتظهر لنا قراءة ثقافية برؤية قرآنية .

أن دراسة الأنساق القرآنية للترف في شعر ملوك الأندلس وأمرائها تعطي رؤية جديدة لقراءة النصوص الأدبية، وتلامس الواقع الحياتي لذلك النص، فَتُعْرَضُ عن طريقها التأثيرات الخارجية المحيطة بالنص ومُلقيه و التي أسهمت في نسج جزء من ذلك النص وما ترتب عليها من بواعث وآثار .

قد اقتصرت الدراسات السابقة في عرض النسق على الجانب اللغوي والأدبي والبلاغي قبل مرحلة النقد الثقافي، وبعد هذه المرحلة طرقت بعض الدراسات مفهوم النسق الثقافي من خلال عرض الوظيفة والمفهوم والغرض ثم التطبيق على الظواهر الإجتماعية والفكرية، نحو (دراسة النقد النسقي) لـ (يوسف عليمات)، و (الأنساق الثقافية في تشكيل المرأة في الرواية النسائية السعودية) لـ (أحمد موسى)، و(الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي نسق القبيلة أنموذجاً) لـ (بووشمه معاشو)، وفي النسق القرآني ألّف (محمد ديب الجاجي) (النسق القرآني دراسة أسلوبية)، وكتاب بعنوان (النسق القرآني ومشروع الإنسان نحو قراءة راشدة في أصل الأصول) لـ (د. جاسم سلطان)، وبحوث تنظيرية مثل (النسق القرآني دراسة ومفهوم) لـ (دكتورة نور مهدي كاظم)، (وحدة النسق القرآني في السور القرآنية) لـ (رشيد المحمداوي)، فهذه الدراسات قاربت بين الظواهر الاجتماعية والنقدية والمفهوم القرآني، ومنها دراسات استند عليها البحث نحو (الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي) لـ (نادر فرج زيارة)، و(الترف وأثره في المجتمع

من خلال القرآن الكريم) لـ (ناصر عبد الله العمار)، و(كتاب النقد الثقافي دراسة في الأنساق الثقافية العربية) لـ (عبدالله الغذامي)، واطروحة دكتوراه بعنوان (شعر الملوك والأمراء في الأندلس دراسة فنية موضوعية) لـ (رغدة علي محمد الزبون)، والدواوين الشعرية المطبوعة لبعض الشعراء الملوك والأمراء في الأندلس، وقد سار البحث في هذه الرسالة على منهج النقد الثقافي معتمداً على وصف القرآن الكريم للترف والمترفين وما ورد من تحليل ذلك في الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية الشريفة، فيعطي بذلك صورة للترف وبواعثه وآثاره مستوحاة من النص الإبداعي وملقيه والمحيط الخارجي لهما .

وتبعاً لهذا الأفق في المجال النقدي والرؤية القرآنية الدقيقة والمحكمة اللذين شكلا صورة جديدة لدلالة نسقية لظاهرة الترف الكامنة في شعر الملوك والأمراء في الأندلس، وجائت خطة البحث مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ثم يعقب ذلك قائمة المصادر والمراجع المستعملة في البحث، أما التمهيدُ فكان على ثلاثة مطالب : أولها التعريف بظاهرة الترف لغة واصطلاحاً، وبعدها عرض لمفهوم الأنساق القرآنية، ثم نبذة يسيرة عن ا الملوك والأمراء لشعراء في الأندلس.

وكان الفصل الأول الموسوم بـ (الترف في الأندلس) على ثلاثة مباحث، الأول : الترف في الطبيعة، والثاني : الترف المادي، والأخير : الترف المعنوي .

وجاء بعده الفصل الثاني الموسوم ب(الأنساق القرآنية باعتبار المُترف وبواعثه) وهو على ثلاثة مباحث أيضاً : الأول تحت عنوان : التعلق القلبي، والثاني التفاخر والتكاثر، والثالث فساد العقيدة .

والفصل الثالث والأخير كان (الأنساق القرآنية باعتبار الترف وآثاره) وقد جاء في ثلاثة مباحث : استحباب الدنيا على الآخرة، والعقل الجمعي المترف أو الانصياع المجتمعي للترف، والأخير بعنوان أفول النظام وسراب قوته . ثم خاتمة لأهم النتائج فيما تقدم من الرسالة تعقبها قائمةَ ضُمَّتْ روافد البحث.

طرأ على مسار البحث عددٌ من العقبات والصعوبات من قلة مصادر وصعوبة الوصول إليها والظروف التي واكبتْ وقت كتابة الرسالة من جائحة (كوفيد-19)، والظروف المجتمعية

والأسرية التي صاحبت الوباء، ولكن بفضل الله والتوكل عليه وشفاعة محمد وآل بيته الكرام قد تخطينا هذه العقبات، وشكري موصول إلى أستاذي ومشرفي أ.م.د صفاء حسين المسعودي لجهودهِ الوافرة المبذولة وسعة صدرهِ ومساندته لي في إنجاز هذه الرسالة، أسأل الله له ولجميع من شاركني وساندي في هذا الطريق دوام التوفيق والمحبة والحمد والشكر لله رب العالمين و لمحمد وآل محمد الطيبين الطاهرين من قبل ومن بعد.

الباحث

التمهيد : مفهوم الترف عند الطبقة الحاكمة في الأندلس ولمحة الأنساق

- الترف لغةً واصطلاحاً.
- الأنساق القرآنية.
- الملوك و الأمراء الشعراء في الاندلس.

الترف لغةً واصطلاحاً

- **الترف لغة :**

الترف في اللغة "هوالتنعم، والترفة النعمة، والتتريف حسن الغذاء، والترفة بالضم: الطعام الطيب، الترفة مسقاة يشرب بها، وتُرِّفَ النبات: تروى وكثُرَ ماؤهُ، والتُّرْفة الشيءُ الطَّريف تختصُّ به صاحبَك. والترفة، بالضم: الهنة الناتئة في وسط الشفة العليا خلقة وصاحبها أترف."[1]، وقال الفيروز آبادي في قاموسهِ" والمترف هو الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، وهو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، وكفرحَ: تَنَعَّمَ، أو نَعَّمَتهُ، كتَرَّفَتهُ تَتريفاً والمُترَفُ، كمُكرَم: المَتروكُ يَصنَعُ ما يَشاءُ لا يُمنَعُ، والمُتَنَعِّمُ لايُمنَعُ من تَنَعُّمِهِ،وصبي مترف إذا كان منعم البدن مدللا، وأترف الرجل: أعطاه شهوته فأترفهُ أترفَ فلانٌ، أي أصر على البغي، بمعنى مستريح، مستمتع بنعمة، واستترف، تَغَتَرَفَ وتكبَّر وطغى، من الغنى والسعة، والنَّعيمُ والنُّعمَى بالضَّمِ: الخَفضُ، والدَّعَةُ، والمَالُ"[2].

" وترف الرجل وأترفه: دلَلَهُ وملكه، وأترفته النعمة أي أطغته، وأفسدته"[3].

و" ترِفَ يَترَف، تَرَفًا، فهو تَرِف، ترِف الشَّخصُ: تنعّم، وعاش في رفاهِيَة تعوّد على عِيشة التَّرف،كانَ رَجُلاً تَرِفاً : مُتَنَعِّماً فِي النَّعيمِ، والتُّرْفة الشيءُ الطَّريف تختصُّ به صاحبَك، و ترافَوْا على الأمر: توافَقُوا عليه وتظاهروا"[4].

فتمحورت معاني الترف عند أهل اللغة بشأن هذه المفاهيم، إذ بدأت بالتنعمِ والإسراف في الشهوات وإنتهت بالفسادِ والطغيان، وصارت هذهِ الصفة معروفةً في مضمار الحياة إلى أن أطلق بعض العرب أمثالاً على من تظهر عليه تلك الصفة، فقد استعمل العرب ألفاظاً خاصة

(1) لسان العرب مادة (ترف)، جمال الدين محمد ابن منظور، نشر أدب الحوزة، قم - إيران ١٤٠٥ ه :9: 17.
(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط 8 .2005م :3: 120.
(3) الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي، تح. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1. 1994م : 48.
(4) تاج العروس، محمد مرتضى الواسطي الزبيدي، تحَ. علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 1994م :12: 99.

لشديدي الترف، وقالوا في أمثالهم على من يحمل هذهِ الصفة " أترف من ربيب نعمةٍ" [1]، ويقال للمرأة المخدومة التي أُترِفت بالنعم "نؤوم الضُحى"[2].

الترف اصطلاحاً :

أما في الإصطلاح فقد عُرِّف الترف بأنهُ المغالاة في النعمة إلى حد التفريط، والإكثار من الترفيه واللهو، ومجاوزة حد الإعتدال في كل شيء وبغير ضابطة، والانغماس بالملذات من الأكل والشرب والملبس والمسكن وغيرها إلى حد نسيان الشكر والنزول إلى البهيمية، وقد ذُمَّ الترف في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتوعد الله الذين أترفوا بالعذاب الشديد، وعرفوه بأنّه البطر في النعمة والغفلة عن شكرها، وتجاوز حد الإعتدال فيها للوصول الى الملذات والملهيات والميل إلى الشهوات[3]، ومن العلامات التي أشار إليها القرآن الكريم في ذمهِ لهذهِ الصفة هي قوله تعالى : **﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾**[4]، وهي صفة أصحاب الشمال الذي وصفهم الله في سورة الواقعة، وأن الحال الذي بهِ هم من العذاب لأنهم كانوا مترفين **﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۝ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾**[5].

والترف هو المُسارعة في بلوغ الغاية لقضاء ما هو فائض عن حاجة النفس بشكلٍ مُفرط فيه سواء كان ذلك على المستوى الحسي أم المعنوي .

فعلى المستوى الحسي ما يظهر على الفرد من أنماطِ تلك الصفة، كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن وطريقة العيش وكلّ ما أسهب فيه وأسرف، و"صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي"[6].

---

[1] مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، تح. جان عبدالله توما، دار صادر، بيروت - لبنان :1: 150.

[2] دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح. محمد التنجي، دار الكتب العربية، بيروت-لبنان، ط1. 1995: 66

[3] يُنظر مفسدات القلوب، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد - الرياض، ط1 2017 - 1438 : 7-8

[4] سورة المؤمنون : 64، وهذا المنطق في ذم الترف اتفق عليه الفريقان في تفاسيرهم ورواياتهم، راجع الطوسي في تبيانهِ، دار الكتب العلمية، ط1 :6: 81 / والطباطبائي في تفسير الميزان، مؤسسة الأعلمي، ط1 :11: 61. / والكليني في كتابه الكافي، دار النشر الإسلامي، ط4 :8: 17./ وكذا الزمخشري في الكشاف، دار الكتب العلمية، ط5 :2: 450. / وابن كثير في تفسيره، دار المعرفة، ط1 :3: 355-356. / وما وراهُ مسلم النيسابوري في صحيحهِ :8: 135.

[5] سورة الواقعة : 41-45.

[6] معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح. محمد صديق المنشاوي، دار الفضلية، القاهرة :23.

وعلى المستوى المعنوي فيندرج تحت هذا العنوان ما يعرف بالبطر، والكِبر، والفساد، وكل ما يحبس الفكر والثقافة والعقيد في زنزانة هذهِ الصفة.

الترفُ هو خطوات من الإسهاب والإفراطِ و الانغماس بالشهوات والغفلة عن النعم تفضي إلى هذه الظاهرة، فتبدأ رحلة تلك الصفة تحيط بالإنسان من الداخل إلى أن تطفو على جوارحهِ حتى تغير مسار أفعاله وسلوكهِ، ثم يتحول إلى باعث ومؤثر في واقعهِ بهذا الصفة، فيكون الترف فيه داءٌ يُوقع صاحبه بالملذات والشهوات ويبعث بعدواه على محيطه ثم تصبح آثاره فاسدة مفسدة .

- **الأنساق القرآنية :**

يُعد النسق من المفاهيم المعقدة والمتنوعة، فتفاوتت وتكاثرت المحاولات لتعريف النسق فتوزع تعريفه بين مختلف العلوم وكل علم وظفه على شاكتلهِ ومنهجهِ الذي يريد السير عليه، فاللغويون ذكروا هذا المصطلح وأرادوا به النظام، وجعلوه برزخاً مائزاً بين اللغة والكلام، وفي النقد الحديث وصفوه بالبناء، أو التنظيم الذاتي، وعلماء الإجتماع سموه البناء الإجتماعي وعنوا به التنظيم الإجتماعي [1]، وغير ذلك من المقاربات في الشكل والمضمون، ولا نستطيع التوغل في بيانه من غير الرجوع إلى معانيه واستعمالاته في المعاجم اللغوية، "النسق من كل شئ: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقته نسقا ونسقته تنسيقا، ونقول: انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت[2]، و" نسق هو أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض"[3].

و " النحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشئ إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا، والنسق: العطف على الأول، والفعل كالفعل، والتنسيق: التنظيم، والعرب تقول لطوار الحبل إذا امتد مستويا: خذ على هذا النسق أي على هذا الطوار"[4]

" وناسق بينهما: تابع،وكل شيء أتبع بعضه بعضا فهو نسق له، نسق الشيء بعضه في إثر بعض"[5].

فكان للنسق على صعيد اللغة ثلاثة معانٍ تنضوي تحتها بقية المعاني اللغوية لهذهِ المفردة وهي الترتيبُ والتنظيم والتساوي المُتوازن سواء كانت على نحو العطف أم التوالي أو التتابع مؤطرةً بنظامٍ واحد، ويبدو أن المعيار في كون النسق نسقا هو الانتظام بطريقة ما تكون نظاما محددا

---

(1) ينظر التراث وأنساق الثقافة - قراءة في كتاب الأغاني، د. رائد حاكم الكعبي، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، سوريا-دمشق، ط1- 2018 : 14-16.

(2) يُنظر العين مادة (نسق)، لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، تح. الدكتور مهدي الخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط2 :5: 81.

(3) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تح. عبد السلام محمد هارون،مركز النشر - مكتب الاعلام الاسلامي، ط1 1404ه :5: 420.

(4) لسان العرب مادة(نسقاً) :10: 352.

(5) وينظر : القاموس المحيط :3: 285. / وتاج العروس :13: 457.

يتسم بخصائص محددة، تفرق بين نظام وآخر،ولذلك فهو مجموعة من العناصر ترتبط ببعض، إذ " يُكفُلُ حَسن سيره، ويحقق الانسجام بين عناصره على نحو تكون كلاً منظماً" [1]، إنَّ الإنتظام الذي صار مشابهاً للنسق في المعطى المعجمي هو لازمٌ من لوازم الإيجاب في الأشياء المادية او على مستوى الألفاظ المتضمنة لأبعاد معنوية تسوق دلالة ما إلى ذهن المتلقي.ومن بذرة المعاني اللغوية في المعاجم جاءت شجرة تعاريف النسق في الإصطلاح فتنوعت الرؤى بشأن هذا المصطلح وتباينت بين ضيقٍ واتساع، فكان النسق في التراث النقدي والبلاغي عند العرب مُختلفاً عن مفهومهِ في الدرس الحديث عند جماعة الشكلانيين و البنيويين والسيميائين، وكانت نظرية التلقي برزخاً فاصلاً لمفهوم النسق فيما قبلها وبعدها، فالنسقُ كان قبل نظرية التلقي منحصراً في النص الإبداعي وجمالياته وأما بعدها فاتسع ذلك المفهوم للنسق وأصبح تفاعلهُ بين النص ومُلقيه ومحيطهما [2]، "فيتجه النقد المعاصر إلى محاولة التخلص من أحادية الرؤية النقدية وتقديس المنهج التي اتسم بها نقدنا العربي على مدى حقبة زمنية طويلة، فالأدب ليس مجرد وثيقة يمكن الزج بها في مستنقع التاريخ وتصنيفها في دائرة الفن أو الفلسفة، بل إنّ الأدب تصوير لأشكال مختلفة من الحياة ويجب أن ننظر إليه على أنه وليد بيئة وذو خصائص مركبة، ومستويات ثم أبعاد متنوعة مندمجة في صعيد واحد، فالنص الأدبي خطاب يملك آلية داخلية تربطه بالسياق الذي أنتجه "[3] ودلالة النسق هي " نتيجة لتضافر مؤشرات كثيرة خارج النص هي أفضل ما يضيء مبهمات داخل النص، وفقاً لنظام تراتبي معين يشكل نسقاً ما، وكل ذلك جرى عبر مسار تراكمي شهدته الدراسات النقدية للنصوص بدءاً من التموضع في الشكل مروراً بالتمحور حول البنية وانتهاءً بالخروج إلى العوامل الخارجية وآخرها الإنتباه إلى العوامل الثقافية، لتكون أنساق الثقافة هي المشكلة لأنساق النص"[4]، فعند ذلك توجهت أنظار أصحاب النقد العربي الحديث إلى مصطلح النسق بعدما احتل عند الدارسين الغربيين مكاناً أثيراً، وممن

---

(1) السياق والأنساق - ما السياق وما الأنساق، محمد عبد الكريم الحميدي، جامعة المدينة العالمية - قسم اللغة العربية، 2013 : 21.

(2) ينظر الأنساق الأسلوبية المُهيمنة على السور القرآنية - دراسة تطبيقية على السور المكية، خالد توفيق مزعل الحسناوي، إطروحة قدمها إلى مجلس كلية الآداب جامعة الكوفة لنيل شهادة الدكتوراه - 2012م : 6-24

(3) الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي - نسق القبيلة أنموذجا، بووشمة معاشو، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد المعاصر، جامعة جيلالي ليابس- كلية الآداب واللغات والفنون - قسم اللغة العربية وآدابها، 2018-2019 : 16.

(4) الدلالة النسقية (تأطير نظري)، دكتور أمجد حميد الفاضل، بحث منشور في مجلة الباحث، جامعة كربلاء-كلية التربية، 2017 : 16.

شخصه من الغربيين هما هارتمان ولاريد فالنسق استناداً إليهما هو ذلك "الكل والذي يتكون من أجزاء متداخلة فيما بينها ومعتمدة على بعضها البعض" [1]، وشخَّصَ " واران النسق بأنهُ مجموعة من الأشياء أو الوقائع المترابطة فيما بينها بالتفاعل أو الاعتماد المتبادل، وقال (انجلز) النسق عبارة عن مجموعة أجزاء أو عناصر الكل، وهناك علاقات وتفاعلات قائمة بين هذه العناصر، وهي تعمل معا لكي تؤدي وظيفة معينة، وعرفهُ (ولمان) قائلا : هو مجموعة من العناصر لها نظام معين، وتدخل في علاقات مع بعضها البعض، لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد.[2]، أما إلفاتات النقاد العرب فكانت بعد محاولة كمال أبو ديب إلى مصطلح النسق وطبيعة عمله في النص الأدبي، والذي أشار إلى ذلك كتابهِ (جدلية الخفاء والتجلي)، كما أشار إلى اهتمام الغربيين بالأنساق في دراساتهم النقدية لاسيما البنيويون والشكلانيون، غير أن هذهِ الإلفاتةَ لم تكن لترتقي إلى مستوى التنظير المستقل، بل هي عبارة عن إشارات ساقها أصحابها على غرار النقاد الغربيين[3]، وعرفت الدكتورة يمنى العيد النسق بأنهُ " ما يتولد عن اندراج الجزئيات في سياق، أو هو بنيوياً ما يتولد عن حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية، باعتبار أن لهذه الحركة انتظاماً معيناً يمكن ملاحظته وكشفه، كأن نقول إن لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها، أو إن العناصر المكونة لهذه اللوحة من الخطوط والألوان تتألف على وفق نسق خاص بها "[4]، تراصف الجزئيات المتوالي في نظام التراصف يحقق النسق، وطابع تلك العلاقات ضمن بنية محكمة قد يولد نسقاً، لأن حركة العناصر ناتج عن نظام متراصفٍ في أجزائهِ وضمن سياق يُخضعهُ داخل حركة النظام النصي أيضاً، فيكون ناتج النسق هو النظام المتراتب المتوازن، وذا بؤرة النسق في هذا المستوى.

فظهر حين ذلك عند النقاد العرب مصطلح (النسق) بشكل مستقل وواضح تقريباً، وكان ذلك الوضوح متبلوراً عند أحمد يوسف وقد وطنَّ ذلك الوضوح في كتابهِ القراءة النسقية، فعرف النسق قائلاً " إن ما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها ويربط بعضها ببعض هو ما

---

(1) الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي - نسق القبيلة أنموذجا :56

(2) الطابور الخامس، أحمد جابر حسنين، دار الكتب المصرية - الناشر مجموعة العربية للتدريب، القاهرة- مصر، ط1-2013 : 114.

(3) ينظر جدلية الخفاء والتجلي - دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1-1979م : 108-109.

(4) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط2- 1999 : 193.

يُطلق عليه النسق، وإن أي اختلال في هذهِ العلاقة بين العناصر تفقد النسق توازنه، وتغير معالمه، وفي المقابل قد يشكل كل المستويات نسقاً داخل النسق العام للسان، وحينها يمكن الحديث عن النسق الصوتي، او النسق الصرفي... "[1]، و"عليه، يمكن تحديد المستويات اللسانية التي تسهم في بناء النسق الكلي، فلكل مستوى نظامه الخاص، وقوانينه الخاصة"[2].

لا يقتصر الأمر في بيان هذهِ النظرية [النسق]على آراء هذهِ النخبة من النقاد العرب، فإن غالبية هؤلاء كانت نظرتهم للنسق من باب النص الدلالي، ولكن هناك من نظر للنسق من زاوية الأنثروبولوجيا والإجتماعي"، فربط بين النصوص العربية الإبداعية والأنساق الثقافية والإجتماعية التي أدت إلى استقرار تلك النصوص على منحاها البنائي والدلالي المتقارب، وجعلها مهيمنة على حضارة الكلمة في الثقافة العربية على مر العصور ..... ويتعامل النقد الثقافي مع الأدب ليس باعتباره نصا، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن" [3] وقد وجه الدكتور عبدالله محمد الغذامي النسق في النقد الثقافي في كتابه (النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية)، وهذه الاطروحة للغذامي " تبلورت فيها فكرتهُ لاختراع الدلالة النسقية عن طريق تَضَمّن النص الإبداعي لشقين دلاليين، الأول هو الدلالة الصريحة التي تقع في نطاق الجملة النحوية والثاني الدلالة الضمنية التي تقع في نطاق الأدبية ومع قيمة الدلالة الضمنية فأن الغذامي لا يعول عليها كثيراً لذا راح يؤسس له دلالة ثالثة وهي الدلالة النسقية التي هي حاصل جمع الدلالتين السابقتين الصريحة والضمنية "[4]، فينطلق الغذامي من مُتبنيات غيرت في الثقافة ودلالتها في الطبيعة البشرية وما يتأثر فيهِ الفرد من أنساق ثقافية تكون خارج النطاق التراتبي للحياة التي يعيش فيها ذلك الفرد، فلذلك تنصقل للفرد طبائع وثقافات وأجواء غير الذي يحتويها، فيولد لهُ شخصية أُخرى تُأطُرها تلك الظروف وتلك الأنساق، وهذا ما أطلق عليهِ الغذامي بمصطلح (المؤلف المُزدوج).[5]

---

(1) القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة، أحمد يوسف، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط2002 : 119-120.

(2) النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، قارة مصطفى نور الدين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لكلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2009-2010 : 78.

(3) يُنظر النسق الثقافي، يوسف عليمات، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن، ط1-2009 : 22-23

(4) ينظر ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، د. سامي شهاب أحمد، دار غيداء للنشر، ط1، 2012م : 199.

(5) النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط3 -2005: 75-76.

فسارتْ قراءة النص الأدبي بحلتها الجديدة على غرار قراءة الغذامي ومن سبقهُ من الغربيين، فطُرحت أبحاثٌ كثيرةٌ في القراءة النسقية، ومنها فكرة النسق القرآني، لكن هناك برزخ مفصلي في قراءة النص الإبداعي برؤية النسق القرآني عن قراءتهِ بالأنساق الأخرى، فالأنساق التي طُرقت لقراءة النص مُحتملةٌ في تراتبيتها لنظام الأحداث والقرائن للخطأ والصواب، أما قراءة النص الأدبي برؤية النسق القرآني فلا تحتمل هذا الترجيح لأن القرآن بنظامهِ المحكم قطعي الصدور قطعي الدلالة[1]، وكانت الدراسات في هذا المضمون شحيحة جداً فعمدَ الباحث لهذهِ الدراسة.

فتعريف النسق القرآني ينمو من البذرة نفسها التي نشأت منها تعاريف النسق وهي معاني النسق بالمعاجم اللغوية التي قدمنا لها سابقاً، وهو ليس بمعزلٍ عن تلك المعاني التي تتمحور وتصب في فكرة أن النسق هو النظام والترتيب والتوازن والتناسق على نحو التوالي والتتابع، وقد عبر عنه " بأنهُ التسلسل المعنوي بين الأغراض، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض في سياق الآيات القرآنية" [2] فهو "انتظام الألفاظ القرآنية في نظام مترابط المعنى، حسن التأليف، محدد الاهداف، على وفق ما يقتضيه سياق الكلام، ليكون نصا قرآنيا ينتقل بالمتلقي من موضوع الى آخر من غير تنافر او تضاد في التلقي."[3]، وحتى المصطلحات التي عُدت مقاربة للنسق القرآني نحو التضايف والبنية والنظم فهي عناصر تدخل في تكوين النسق وليست مقاربة لهُ توقع مُتقصيها بالإشتباه مع النسق.

أن الوظيفة التي يؤديها القرآن الكريم في منظومة النسق يعجز عنها أي نظم نسقي لأنه " يحكم العلاقة بين المفردات القرآنية المكونة للنص القرآني، بمعنى يحكم النظام الداخلي الدلالي للنص

---

[1] هذه القاعدة تتحقق إذا كان تخريج الدلالة موقوفاً على الله والراسخين في العلم [محمد وآل محمد الكرام]، وذلك قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة الغدير حين أوقف تفسير القرآن على محمد وآل محمد قائلاً : والله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده إلي وشائل بعضده ومعلمكم أن من كنت مولاه فعلي مولاه..... وإن علياً والطيبين من ولدي من صلبه هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر فكل واحد منبئٌ عن صاحبه وموافقٌ له . / خطبة الغدير النص الكامل : محمد باقر الأنصاري، دار الفكر : 40.

[2] ينظر مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل ابو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1425هـ : 82

[3] ينظر النسق القرآني - دراسة في المفهوم والوظيفة، دكتورة نور مهدي كاظم، جامعة وراث الأنبياء كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم، مجلة العميد - المجلد التاسع - العدد الخامس الثلاثون،2020 : 54-55

الذي يعبر عن نظام خارجي له "[1]، ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾[2]، فينماز بالأسلوب من حيث طرح الدلالة والمفهوم وتوظيفها بشكل دقيق .

حداثة المصطلح مع أهميته في الوسط النقدي جعلت من القضايا التي تعرض لها قليلة ومعدودة، من إذ الاقتراب من المفهوم والمنهج والابتعاد، ومنها "النسق القرآني دراسة اسلوبية، وهو كتاب من تأليف الدكتور محمد ديبّ الجاجي، ودراسة آخرى بعنوان النسق القرآني ومشروع الانسان نحو قراءة راشدة في أصول الأصول، كتاب ألفه الدكتور جاسم السلطان، و بحث توازي الضمائم في النسق القرآني نشره الدكتور هاني صبري آل يونس والباحث عبد الله خليف الحيالي،."[3] و خصوصية النسق المفهومي القرآني، بحث لمحمد المنتار، و وحدة النسق القرآني في السور القرآنية - رشيد المحمداوي، وكذا النسق القرآني وأثره في الترجيح (سورة الماعون نموذجاً)، د.أحمد نوفل، الإعجاز في نسق القرآن (دراسة في الفصل والوصل للمفردات)، ومشتقات (الصّرخ) في النسق القرآني للدكتور أحمد عبد الموجود، هذا الدراسات وغيرها وظفت النسق القرآني في القضايا اللغوية والبلاغية والدرس الحديث من النقد، ولكن هذهِ الدراسة تطمح لتوظيف النسق القرآني في مجال النقد الثقافي، إذ يكون للنسق القرآني الرؤية في قراءة النص ومُلقيه والواقع المحيط بهما والذي نُسجَ منه ذلك النص وما يترب عليه من قضايا أو ظواهر، فواحدة من هذه القضايا أو الظواهر التي أطرها القرآن الكريم بنظامٍ محكمٍ متناسق بين النص الذي شغلته والواقع المحيط بها هي قضية الترف، وقد شعبَ لنا القرآن الكريم كثير من مختلجات هذهِ الظاهرة، فذكر لنا نشأتها وأسبابها ومقتضياتها ومظاهرها وعواقبها، وهذا ما سنستقرِئُهُ في نصوص الشعراء الملوك والأمراء في الأندلس وبرؤية نسقية قرآنية ثقافية، كما نحاول توظيف الجانب التطبيقي للبحث عن طريق نسقية الآيات القرآنية في السورة الواحدة والسور المتعددة، وتفعيل الجانب التطبيقي عن طريق سرد النصوص ومقابلتها بالنماذج والأمثلة القرآنية، فقد

---

[1] المصدر نفسه : 69.

[2] سورة الإسراء : 88-89.

[3] ينظر النسق القرآني - دراسة في المفهوم والوظيفة : 52-53

حكى لنا القرآن الكريم عن هذهِ النماذج التي جسدت ظاهرة الترف وأعطى لنا الأسباب والعواقب والمظاهر بمنظومةٍ لغوية متانسقةٍ مرتبة، وبصورة حيّةٍ تنبثق في أذهان مُتلقيها الواقع الأنثروبولوجي الإجتماعي الذي حوتهُ تلك النماذج، وما أضفتهُ عليهم صفة الترف من سلوك لا إنساني تُهمشُ فيه نعم الله فتصبح مدعاةً للطغيان والفساد وإستجلاباً لنزول العذاب.

وكذا نلاحظ كيف تحولت هذهِ الصفة عندهم من مظاهر خارجية متوغلةٍ في أبسط تفاصيل حياتهم وكيف أثرت صفة الترف على سلوكهم وآيديولوجياتهم عن طريق الرؤية القرآنية الثقافية، فما أضمرهُ السلوك أخرجتهُ فلتات اللسان.

كما هو متداول فإن نموذج محاكمة النص يقوم على ستة قواعد هي : النفعية، والتعبيرية، والمرجعية والمعجمية، والتنبيهية، والشاعرية (الجمالية) [1] وأضاف لها الغذامي العنصر السابع وسماه العنصر النسقي ومعه الوظيفة النسقية، "وعبر العنصر النسقي وما يفرزه من وظيفة نسقية لا يقف على حدود اللفظة والجملة بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الإستقبال"[2]، بل تعدت تلك العلاقة لتخرج لنا من الواقع المحيط بالنص والمُلقي ما يسمى بالدلالة النسقية والتي " ترتبط في علاقات متشابكة مع الزمن لتكون عنصراً ثقافياً أخذ بالتشكيل التدريجي إلى أن أصبح عنصراً فاعلاً "[3] . إذ كانت رؤية الغذامي [4] عن طريق تقصي الأنساق الثقافية محتملةً للترجيح وبالإستقراء الناقص للأحداث والوقائع، ستكون بالمقابل قرآءة ورؤية القرآن الكريم للأنساق المضمرة الموجودة في النصوص والمستنبطة [الأنساق] من نظامِ مفاهِمهِ المحكمة وتوازنِ آياتهِ القطعية بصدورها والقطعية بدلالتها، ومن عدسةِ مجهرِ هذا النظام سيتضح لنا في الفصول القادمة أن هالة المترفين التي جسدوها في نصوصهم، وهذا ما سيتبين في قادم البحث، أن هذه الهالة ما هي إلا صفةٌ مفرَّغةٌ من

[1] ينظر النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية : 64-65.
[2] المصدر نفسهُ : 69.
[3] المصدر نفسهُ : 72.
[4] من مُنطلق هذهِ القراءة الجديدة القائمة على تقصي الأنساق المضمرة في النصوص الأدبية لا على السردي الجمالي فقط قد أطلق الغذامي مفاجأتهُ وحكمهُ تحت ذريعة النقد الثقافي الكاشف لأنساق النص المضمرة بأن المتنبي (شاعر عظيم أم شحاذ عظيم)، وكذا الأمر بالنسبةِ لإبي تمامٍ و نزار قباني، وأودنيس ودعاوية في الحداثة التي لا تؤدي إلاّ إلى النسقية والرجعية

معانيها الحقيقةِ فيهم، وما هم فيه من الترف عبارة عن مجموعة من العادات والسلوك المقيت المُتجسدةِ بالشهواتِ والتفريطِ والصفاتِ البعيدةِ و التي لا تمُتُ لصفة النُبل والرفعةِ بأي صلة، وكيف يبلور لنا القرآن الكريم هذهِ القضية برؤية تجعلُ هذهِ المقدمات المقيتةَ تعود عليهم بنهاياتٍ مهينةٍ ومُخرجةٍ عن هذهِ الصفة، وذلك لأن ما في نصوصهم من جماليات منافية لدلالتها في واقعهم المضمر المُتمثل بالعنصر النسقي والذي بدورهِ يقوم على ركيزة خاصة لقراءة النسق المضمر في ذلك النص عن طريق نافذة النقد الثقافي والذي يجمع بين دراسة النص الإبداعي مع المحيط الخارجي المؤثر بذلك النص ومُلقيه، ويتم ذلك تحت مجهر الأنساق القرآنية عن طريق نظامها المُحكم والمبين حتى تظهر لنا رؤية وقراءة جديدة تحاكي واقع النص الإبداعي وتبرز لنا حقائق ذلك النص، ومن هذا المنطلق سيتم بسط القول في بقية التفاصيل .

- **الملوك والأمراء الشعراء في الأندلس**

الطبقة الحاكمة لها مايميزها ويُفردها عن طبقات المجتمع الأخرى، من حيث المكانة الإجتماعية والهالة النفسية والموقع السياسي، وهنالك صفات ومظاهر أخرى تميز بها جلّ أفراد هذه الطبقة فبرزت عندهم مظاهر الترف والتنعم في كل مستوياتها، من متع الدنيا وسعة العيش، والعمران المرصع والشهوات والسلطة، حتى توغلت وأُشْرِبَتْ هذهِ الصفة في قلوبهم ونفوسِهم فطغت على أفعالهم وأقوالهم، فأنمازت هذه الطبقة من " الملوك والأمراء والوزراء وحاشيتهم ومن كان على صلة بهذه الطبقة من المجتمع بالعيش في جو الترف واللهو، يقيمون مجالس السمر، ويستجلبون الغواني والقيان، ويسكنون القصور والمنازل الفارهة، ويحرصون على رفاهية العيش ومظاهره في المأكل والملبس والمشرب"[1] فقد غالوا وبالغوا في كلِّ شيءٍ تقريباً، فالحركات والسكنات والعادات وطريقة بذخ الأموال وكيفية تعاليهم على خواص الناس وعوامِهم، وكذا الأمر من ناحية المنطق اللساني المشحون بالأنفةِ والشموخ والتعالي وتموج الحروف في شدقاتِ شفاهِهم المبتعدةِ عن الجزالة، المُقتربةِ من السهولةِ واللين، والتناغم في الحروف ورقة الألفاظ المصحوبة بالإيقاع الموسيقي [2] لإنطباقهم على صفة الترف وبحبوحة العيش، وقد لامس هذا المفهوم تقريباً كلَّ من مَلَكَ دَفَّةَ الحُكم.

وهذه العوامل أثرت بشكل ملحوظ على أفراد تلك الشريحة، ومن جهة أخرى كان ذلك تأثيراً جارياً على شعوبهم ومجتماعتهم، فإحدى نماذج هذه الطبقة هم (ملوك و أمراء الأندلس)، فهالة الملك والسلطة أثرت فيهم بشكلٍ أوبآخر، وهم أثروا على شعوبهم، فاجتمعت عندهم عوامل الترف بكلِّ جوانبها تقريباً، فالأندلس بذاتها ومواطنيها كانت هذهِ السمة بادية فيهم، وتجلت بشكلٍ تام في الطبقة الأولى من طبقات الأندلس وهم الملوك والأمراء، وزيادةً على فخامة الرياسة ونشوة الملك فإن بعضهم قد ضم إليهِ صفةً أغمضَ بها أعين الناظرِين إلى مثالب سلطتهِ وهي

---

[1] تجليات الترف في بنية القصيدة الأندلسية -عصر ملوك الطوائف-، أماني أحمد عيد طه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق-سوريا، ط1-2019.: 15.

[2] ينظر دراسات في الأدب الأندلسي، عثمان محمد علي العبادلة، المكتبة المركزية، الجامعة الإسلامية، غزة-فلسطين : 130-202.

صفة العلم والأدب، فهناك قسم بارزٌ في هذهِ الطبقة وهم الملوك والأمراء الشعراء، فمعظم هذهِ الطبقة من الذين حكموا الأندلس كانوا يشجعون على الثقافة والأدب في الأندلس فنبعت من تلك الطبقة نماذج كثيرة ترتاد الأدب العربي وتشجع عليهِ، و" معظم هؤلاء الشعراء من الطبقة الحاكمة في الأندلس كانوا في عصر الخلافة الأموية وملوك الطوائف وبني الأحمر، وكان شعرهم متفاوتاً فالقليل منهم أصحاب دواوين ومنهم الكثير لهم أشعار مبثوثة في بطون الكُتب والمكاتب الأندلسية، ومنهم من كان مُقلاً في الشعر ولا يتجاوز شعرهُ مقطوعة أو مقطوعتين، ونجد أن شعرهم كَثُرت فيه بعض الموضوعات أمثال (الفخر والغزل)، وقلّت فيهِ موضوعات أُخرى وكادت تنعدم أيضاً أمثال موضوعات المدح والشعر الديني، وغاب تقريباً عن شعرهم موضوع الهجاء، فكان أول هولاء الشعراء الملوك والأمراء هو الحسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار عام 125هـ وآخرهم يوسف الثالث وابن الأحمر في عام 807هـ "[1].

وبعد البحث والتقصي تَوَصَّلَ الباحث الى أن حصيلة الملوك والإمراء الشعراء في الأندلس يمثلها أربعون شاعراً تقريباً، وكانوا متفاوتين في نتاجهم الشعري.

فعلى مستوى " المُقل منهم فإننا لم نجد له إلا بعض مقطوعات مبثوثة في بطونِ بعض الكتب أمثال ما أورده ابن الأبار في كتابه الحله السيراء عن الحسام بن ضرار (ابو الخطار)، وذكر له بعض المقطوعات، وما دونه عن سعيد بن جودي السعدي بأنه بليغٌ وأديبٌ، وأورد له بعض المقطوعات الشعرية، وكذا المنصور بن أبي عامر فقد وجد له بعض المقطوعات لا أكثر، وذكر ابن عذاري في البيان انه كان عالماً وأديباً "[2].

وقسم آخر سُجلت لهُ أبيات ومقاطع عديدة وكان مُكثرٌ لها، ومن هؤلاء " الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالربضي وقد ذكرت التراجم بأنه أديبٌ وخطيبٌ وشاعرٌ تحذر صولاته، وتُستندر أبياته"[3] وكذا كان ذكره بعضُ أقرانهِ من هذه الشريحة في تنوع مقاطعهم

---

(1) يُنظر شعر الملوك والأمراء في الأندلس :دراسة في موضوعاته وأساليبه، إطروحة قدمتها الباحثة رغدة علي الزّبون لنيل درجة الدكتوراه، إشراف الإستاذ الدكتور صالح جرّار، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردينة قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م :1-6.

(2) الحُلَّةُ السّيراء، محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن القضاعي المعروف بابن الأبار، تح. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2— 1985 : 61. / والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، محمد ابن عذاري، تح.ليفي بروفنسال، مكتبة الصادر:2: 58.

(3) الحلة السيراء :1: 43.

الشعرية وغزارة أبياتهم وتعدد مواضيعهم أمثال سليمان بن الحكم الذي ولي الخلافة مرتين، ومحمد اسماعيل بن عباد بن ذي الوزارتين، وعبد الملك بن هذيل حسام الدولة الذي اختلفوا فيه التراجمة فكانوا بين مادحٍ له وآخر ذام، وكان محمد بن عبد الرحمن القيسي له مقطوعات عديدة أيضاً، والذي تولى في الحقبة التي إضطربت فيها الأوضاع السياسية في نهايات دولة المرابطين[1]، والنسبة الأقل من شعراء الملوك والأمراء في الأندلس هم أصحاب الدواوين، فقد أحصتْ بعض الدراسات السابقة أربعة دواوين لكُلٍّ من " المعتضد بن عباد، والمعتمد بن عباد، يوسف الثالث، واسماعيل بن الأحمر في كتابه (نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان) "[2]، وهؤلاء الأربعة بنتاجهم الشعري الوافر والغني بموضوعاتهِ ومعانيه أصبحوا قمة الهرم الذي ينحدر عنهم سيل الباقين.

إنّ النتاج الشعري لهذه الشريحة من طبقات المجتمع لم يكن مقتصراً عليهم فقط إنما سرى ذلك الأمر على مستوى الأولادِ والأحفاد [3]، ولكن لم يصلْ إلينا إلا القليلَ من شعر الخلفاء الأمويين، ولابن فرج صاحب الحدائق رأياً في هذا الشأن، إذ يقول: " هم يجلّون عن الشعر أقدارهم، كما يرتفعون أن يروى عنهم أو يؤخذ من أقوالهم، إنّما يبسطون بهِ سرائرهم، فليس يظهر عليهم إلا الشاذ القليل " [4]، على " أن هذا الرأي يدل في بعض جوانبهِ على أن خلفاء بني أمية يجعلون الشعر في مرتبة ثانية بعد الحكم والسياسة، ولكن الناظر في سلالتهم يكاد يجزم بأنه فيها سمة وراثية،... فلو كان شعراء بني أمية الخلفاء يجلون عن الشعر أقدارهم لما وصل منها شيء إلينا قليل أو كثير" [5].

في رأي ابن فرج و ردَّ الزّبون حكم نقدي نبينهُ : أن الخلفاء الأمويون لم يرتادوا الشعر أو يجالسوا أهلهُ ويقربونهم لأجلِ حبهم للشعر أو لأنهم من أهل العلم والأدب، إنما طرقوا أبواب

---

(1) ينظر الحلة السيراء :2: 5- 124. / ويراجع البيان المغرب :3: 79- 134- 310.

(2) يُنظر شعر الملوك والأمراء في الأندلس :دراسة في مواضعاته وأساليبه : 46.، → وقد إعتمد الباحث على هذهِ الإطروحة في بعض مواطنِ رسالتهِ لتكون إحدى الحلقات التي ينطلق منها الباحث ليتمم سلسلة بحثهِ هذا، فستند إلى بعضِ مصادرها وإختصرت لهُ جمع بعض الشخصيات وتراجمهم، فأشرنا إليها لمن أراد الإستطراد أكثر حول تراجمة هذهِ الطبقة.

(3) يُنظر الحلة السيراء :1: 124- 127.

(4) المصدر نفسه :1: 205.

(5) شعر الملوك والأمراء في الأندلس :دراسة في موضوعاته وأساليبه: 24

العلمِ والأدب والشعر وأكرموا أهله وجالسوهم ليكون هذا الأمر ساتراً لمثالبِ وعوراتِ سلطانهم القبيح المصبوغِ بآلامِ الناسِ ودماهم، والمُنكلِ بإسرافهم وتكبرهم، فما اكتنزوا من صفاتٍ رفيعة إلا ليجعلوا هذه الصفات نافذة يستقطبون بها أفئدة الجُهال، فالعُقلاء لا يتذوقون الجمال من أفواهٍ مُلِئت بالظلم والطغيان.

طبقة الشعراء الملوك والأمراء في الأندلس كان لهم الأثر الواضح في نمو الحركة الأدبية والعلمية في تلك الحقبةِ، فعلى سبيل المثال في "عهد عبد الرحمٰن الناصر استقلت وبزغت العلوم بشتّى أصنافها من الطب، والصيدلة، والفلسفة، والرياضيات، والهندسة، والفلك، و الكيمياء، والخيمياء، وبرز العديد من العلماء والمفكرين والفلاسفة والمؤرخين وتكاثرت الكتب والمصادر بكلِّ مجلاتِها ومنهاجها"[1]، فهذا الإنفتاح والسعي نحو الأفق أَثَّر على الحكّام أنفسهم، وأجبرهم على التمازج بهذهِ البيئة الإبداعية.

ولكن كان هذا الإبداع متفاوتاَ بين شعراء ملوك وأمراء الأندلس من ناحية غزارة الإنتاج الشعري، ومتساوياً من ناحية الموضوعات، فالمُقل منهم والمُكثر إرتكز على بؤرتين موضوعيتين هما : [الفخر والغزل]، أعطى كل من الفخر والغزل مساحة شاسعةً من أبياتِ هذهِ الطبقة، ونجد أنّ هذا الأمرَ من البديهيات والمُسلماتِ عند كلّ من أطلع على حياة هذهِ الشريحة، فحياة الملوك والأمراء مطوية بين دفتي السلطة والتفاخر من جهة والشهوات والإسراف من جهةٍ أخرى.

وقد أفرطوا بإستعمال ألفاظ التعالي والأنفةِ، وأحياناً كثيرة لا تفارق شدقاتِ أفواههم هذهِ المصطلحات، وبهذا أصبح شعرهم محصوراً بين هذهِ الموضوعات، وأما الموضوعات الأخرى لم تَنَلْ منهم إلا الحظ الأدنى من نتاج شعرهم.

وبهذهِ المعطيات نستطيع أن صفات ما ذكرناه آنفاً مُختزلة في صفةٍ واحدة وهي (الترف)، فهم أقرب ما يكون لهذهِ الصفة إذ أصبحتْ طبقة الملوك والأمراء آيقونة معروفة لصفة الترف والتَّنعُّمِ، ومضرباً للأمثال، حتى قيلَّ على من أترف بالنعم وأفرط بها أنهُ مصاب بداء

[1] يُنظر حضارة العرب، غوستاف لوفون، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر العربية : 449-481.

الملوك،لشدة إلتصاق الترف والإسراف بهذهِ الطبقة وإقترآنها بهم، وكأنما أصبحت هذهِ الصفة منوطةً بطبقة الملوك والأُمراء، وذلك قول الشاعر :

داء الـمـلـوك يـلـوحُ فـوق جـبـيـنـه شـــهدت بذاك مواضـــع التحديقِ[1]

هذا السرد أقرب ما يكون إلى ملوك وأمراء تلك الحقبة وهي الأندلس، فقد إجتمعت عندهم عوامل ومظاهر الترف بكلِّ جوانبها تقريباً، فالأندلس بذاتها ومواطنيها كانت هذهِ السمة بادية فيهم، وتجلتْ بشكلٍ تام في الطبقة الأولى من طبقات الأندلس وهم الملوك والأمراء، وذلك حسب تقسيمات ابن سعيد صاحب كتاب المُغرب في حُلَى المَغرب، الذي قسَّم فئات الأندلس إلى طبقات.(
2)

وهذه المقدِّمات هي سبب هيمنة صفة الترف على جوانب كثيرة من حياتهم الخاصة والعملية المُتمثلةِ بالحكم والسلطة والجنبة الإجتماعية والثقافية لهذهِ الشريحة،ولكن الباحث في هذا الموطن يُسلط الضوء على جانب واحد تجلت وتغلغلت فيهِ سمة الترف ألا وهو نتاجهم الشعري وكيف هيمنتْ هذهِ الصفة حتى على ألفاظهم وخيالاتِهم وبعضِ مبادئهم واعتقاداتِهم وثقافاتهم التي نسجوها في بعض أبياتهم، وهذا ما سيتم قراءتهُ عن طريق مجهر الانساق القرآنية الثقافية الذي مهدنا له آنفاً، وبيان القول سيأتي بتطبيقات الفصول القادمة، ولكي تحقق قواعد النسقية القرآنية في قرآءة النص يجب التفصيل في بادئ الأمر للواقع والمحيط الذي عاش فيه المُلقي و نصه.

(1) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح. محمد أبوالفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1965 :1: 185. / ينظر : الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي (92 ه - 668 ه)، إعداد نادر فرج زيارة، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب الجامعة الإسلامية - غزة، 2010م : 7.

(2) ينظر المغرب في حلى المغرب، المؤرخ علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي الأندلسي، تح. خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان :1: 3.

الفصل الأول

بيئة الترف في الأندلس واقسامه

- المبحث الأول : التَّرف في الطبيعة.
- المبحث الثاني : التَّرف المادّي.
- المبحث الثالث : التَّرف المعنوي.

الفصل الأول : بيئة الترف في الاندلس واقسامه

قبل تعيين وتشخيص الأنساق القرآنية في شعر ملوك الاندلس وأمرائها وعرضها على منظومة آيات القرآن الكريم، لابد لنا من تقديمها بهذا الفصل، الموسوم بـ(الترف في الأندلس)، فإن منهجيّة النقد الثقافي بقراءتها النسقية تُملي علينا معرفة الواقع الخارجي المحيط بذلك النص ومُلقيه، إذ لا يمكن السبر في أغوار الأنساق القرآنية لصفة الترف إلا من خلال تفعيل منهجية (المؤلف المزدوج)[1]، فمن تعريفنا لما تختلجهُ الأندلس من موارد ترفية يمكننا تشخيص الواقع الذي عاش فيهِ مُلقي النص المتمثل بشعراء ملوك الأندلس وأمرائها والكشفِ عن التأثيرات المُضمرة التي سببتها تراتبية هذهِ الموارد.

إنَّ معرفة موارد الترف في الأندلس و تأثيرها على هذهِ الطبقة ومجتمعها يُفصح لنا عن قراءة جديدة بمنظورٍ قرآني ثقافي لصفة الترف في نتاجهم الشعري، غير مقتصرةٍ على الحكم الجمالي للنصوص بل تتعدى إلى مُضمرات ذلك النص ومدى تأثير الواقع الخارجي عليهِ وعلى مُلقيه، فلو كانت قراءتنا لهذهِ النصوص قراءة بنيوية أو شكلانية لما لزمنا التعريض والتفصيل في مقام الواقع الخارجي المحيط بملقي النص ومعرفة تأثيره على النص، لكن معرفة الأنساق بمنهج النقد الثقافي لا يكتفي بالنص وظواهرهِ الجمالية إنما يتعدى الى كل ما يحيط بالنص والملقي.

وهنا تكمن ضرورة تقديم الأنساق القرآنية بهذا الفصل، فهو الحلقة الأولى من حلقات القراءة للأنساق القرآنية الثقافية الكامنة في أبيات شعراء ملوك الأندلس وأمرائها.

[1] المؤلف المزدوج : أن كل ما نقرأ او ننتج أو ما نستهلك هناك مؤلفين اثنين، أحدهما المؤلف المعهود، مهما تعددت أصنافه كالمؤلف الضمني والنموذجي والفعلي، والآخر هو الثقافة ذاتها، أو ما أرى تسميته هنا بالمؤلف المضمر، وهو ليس صيغة أخرى للمؤلف الضمني، وإنما هو نوع من المؤلف النسقي . / النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية : 75

المبحث الأول : الترف في الطبيعةِ.

الحديث عن الطبيعة يكون بحلقات يُكمل بعضها الآخر، فعند التعرف على طبيعة أي مكان على وجهِ هذهِ البسيطة فيجب الإلمام بالأحوال وسيكولوجية البيئة والمناخ والجغرافيا وكل المُتعلقات التكوينية لطبيعة ذلك المكان، وبهذهِ الإحاطة يتبلور لنا الحكم على صفة هذه الطبيعة ومدى تأثيرها على ساكينها.

فالأندلس أحد نماذج هذهِ البسيطة التي لها أحوال وشؤون تنفرد بها عن غيرها، وحتى نتعرف على مزاج طبيعتها يجب أن نُلاحق مُرتكزات عديدة مهمة :

- **البيئة التأريخية**

من ضرورات معرفة الطبيعة لأي مكان التطرق لمعرفة بعضٍ من ملامح تاريخ ذلك المكان، فالمتغيرات التي تطرأ على الأرض من تطور وتعاقب للأجيال وأندثار للمعالم وبروز أُخرى، وتكيفها مع الطباع البشرية المتغيرة مع الطبيعة، كل تلك الأمور دونتها النظريات الغربية التي تبناها (الطبائعيون)[1]، أمثال "بارون دي هولباخ، وجان مسلبيه، ومن المعاصرين فيكتور شتينجر ويتشارد دوكينز"[2].

وحتى هذا الامر قد تداوله العرب على مستوى لسان الحال، فحين يرسلون أبناءهم الى البادية ليتربوا و يترعرعوا وينشئوا على طبائع ذلك المكان،من فصاحة وجزالة وقوة بنيةٍ إلى آخرهِ من التغيرات التي تحدثها عليهم طبيعة ذلك المكان، فهذه المصاديق تُنْبِئُ بأن الطبيعة المخلوقة لها لمساتها الخاصة على غيرها من المخلوقات وذلك الفضل كلهُ يرجع الى خالق الطبيعة والبشر وخالق كلِّ شيء، سبحانهُ وتعالى عما يصفون.

---

[1] الطبائعيون : هم الذين ينسبون كل شيء إلى الطبيعة، ويرون أن المخلوقات وكل ما في هذا العالم قد وجد بفضل الطبيعة، ويرجعون كل شيء للطبائع الأربعة (الحرارة، البرودة، الرطوبة، واليابسة) / يُنظر : المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ط1- 1982: 2: 17. / وينظر موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهاوي، تح. د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1-1999 :2: 1430

[2] يُنظر كتاب ما قاله الملاحدة... ولم يسجله التاريخ، د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط1-1438ه : 38- 315

التغيرات التي حصلت على هذهِ الأرض كثيرة وما زالت تحصل و هي مؤثرة جداً، فبداية الأرض كانت عبارة عن كتلة واحدة يابسة تدعى (قارة بانجيا) ومن ثم انقسمتْ إلى قارتين (لوراسيا و غندوانا)، و" إن الأرض مرت بمتغيرات كثيرة عبر التاريخ الجيولوجي. وكان أول من اقترح فكرة تغير المعالم للأرض هم رسامو الخرائط .

فقد لاحظ رسام الخرائط الهولندي إبراهام أورتيليوس تطابقاً بين حافات القارات على جانبي المحيط الأطلسي فاقترح أن القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية قد انفصلتا عن قارتي أوروبا وإفريقيا بسبب الزلازل والفيضانات وقد لاحظ العديد من العلماء وجود تطابق بين الحوافّ القارية".

ونظرية الانجراف القارّي، أو ما يسمّى زحزحة القارّات التي طرحها ابراهام اورتيليوس وأقرانه الذين تبعوه وأطروا هذه النظرية، وقالوا أن الشكل العام لسطح الأرض قد تعرّض لتحولات مستمرة وعديدة، وأنه خلال الزمن الجيولوجي المعروف تبدّلت مواقع القارات وما فيها من جزر وبحار وأنهار وكذلك على مستوى المحيطات العظمى مرارًا وتكرارًا مع بعضها بعض[1].

وظيفة تتبع التاريخ في هذا التغاير مهم جداً في معرفة الطبيعة التي أكدنا أهميتها في الحياة البشرية، وان هذه التغيرات في الطبيعة لها تاثيرها الملحوض على مُرتكزاتها المناخية والبيئية والجغرافية... إلخ، وما الأندلس إلا نموذج من هذهِ السلسلة، وتتبعها تأريخياً هو أحد المحاور التي توضح لنا المزاج الطبيعي الذي أحاط بالأندلس.

تقع الأندلس في قارة أوربا، وتسمى حالياً أسبانيا، وهي تعد إقليماً ذا خصائص عجيبة وحضارة إسلاميَّة قروسطيَّة قامت في أوروبا الغربيَّة وكانتْ على وجه التحديد في شبه الجزيرة الأيبيريَّة، في الموقع الذي يسمى في يومنا هذا بإسبانيا والبرتغال[2] غير أنَّ التسمية عادةً ما يُقصد بها فقط الإشارة إلى الأراضي الأيبيريَّة.

---

[1] ينظر الجغرافيا الطبيعية - أشكال سطح الأرض، د. عبد العزيز طريح شرف، مؤسسة الثقافة، السعودية - جامعة الإسكندرية، ط1- 1993 : 127-137.

[2] ينظر كتاب المسالك والممالك، لإبي عبيد البكري، تح. أدريان فان لوفين و أندريا فيري، الدار العربية للكتاب، مصر،ط١-1992 :2: 1398- 1412 / وينظر قصة فتح الأندلس (من الفتح للسقوط)، راغب السجستاني، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1- 2011 :1: 13

وإنَّ وجود بعض الأدوات الحجرية ورسوم الكهوف تشير إلى أن الإنسان قد عاش واستوطن في شبه الجزيرة الأيبرية منذ أكثر من عشرة آلاف عام. وقد أقامت الشعوب الفينيقية مدنا على تلك السواحل[1].

وقد مرت الأندلس بحقبٍ تاريخيةٍ عديدة، وأضفت كلُّ حقبةٍ عليها آثاراً تختلف عن الآخرى، فبدأت منذُ فتحها تتجه نحو القمة بكلِّ منافذ الحياة.

انطلقت بدايات أندلس العرب وقت بدأ موسى بن النصير بحروب الفتحِ منطلقاً من مصر مروراً ببعض المناطق والمدن و وصولاً إلى القيروان، ثم رفع راية الإسلام في شمال أفريقيا في المغرب العربي وتحديداً في الأمازيغ، واعتمد دهاء سياسته من كسب خصومه البربر مما حوّل معظم البربر إلى حلفاء، وكان طارق ابن زياد سيفه الضارب بالقيادة لفتح الأندلس، وتمكنوا من الاستيلاء على موقع أثيرٍ وهو طنجة ذات المقام المهم بين القارتين الأوروبية والأفريقية في سنة 89هـ / 708 م، ولكن جعلها موسى بن نصير مركزاً عسكرياً لتموين الحملات والجيوش باتجاه المناطق المجاورة[2].

واستمر موسى بن النصير بمحاولاتهِ بفتح الأندلس، وظلت الأندلس تحت حكم الأمويين إلى أن سقطت الدولة الأموية على يد العباسيين سنة (132هـ)،" وتمكن عبد الرحمن بن معاوية -عبد الرحمن الداخل- أن يفلت من قبضة العباسيين وَمن ثم قام بمراسلة الأمويين "[3]، وتوجه بعدها عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ومن هنا بدأتْ مرحلة الدولة الأموية في الأندلس، وقد بدأت هذه الحقبة من عبد الرحمن الداخل إلى آخر خليفة أموي وهو هشام الثالث المُلقب بالَمعتمد بالله، وتعتبر هذه المدة من أهم مراحل المسلمين في الأندلس.

أما حكام الأندلس الأمويون فهم :

- عبد الرحمن الداخل 172 هـ

---

[1] ينظر دولة الإسلام في الإندلس، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، مصر - القاهرة، ط4- 1997م :1: 14-24

[2] ينظر تاريخ افتتاح الأندلس، ابوبكر محمد بن عمر القرطبي (ابن قوطية)، تح. ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، ط2- 1989م :2: 29-38

[3] يُنظر تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، نخبة من المؤلفين (د. خليل ابراهيم السامرائي - د. عبد الواحد ذنون طه - د. ناطق صالح مطلوب)، دار الكتب الوطنية - بنغازي ليبيا / دار الكتب الجديدة المتحدة - بيروت لبنان، ط1 : 87-95.

- هشام الأول بن عبد الرحمن (172 - 180 هـ)
- الحكم بن هشام الملقب (الربضي)، (180 - 206 هـ)
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام (206 - 238 هـ)
- محمد بن عبد الرحمن (238 - 273 هـ)
- المنذر بن محمد (273 - 275 هـ)
- عبد الله بن محمد (275 - 300 هـ)
- عبد الرحمن الثالث الناصر (300 - 350 هـ)
- الحكم بن عبد الرحمن (350 - 366 هـ)
- هشام الثاني بن الحكم (366 - 399 هـ)

وخُتم عهد الخلفاء الأمويين بالأندلس ليظهر عهد جديد من عهود الأندلس وهو عهد ملوك الطوائف " بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عام (422هـ) عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه، وبلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة "[1]، َمن أهم هذهِ الأسر وأشهرها[2] :

- بنو عباد بإشبيلية (414هـ - 484هـ).
- بنو جهور في قرطبة (422هـ - 449هـ).
- بنو حمود بمالقة (407هـ - 449هـ).
- بنو زيري بغرناطة (403هـ - 483هـ).
- بنو هود بسرقسطة (410هـ - 536هـ).
- بنو رزين بالسهلة (402هـ - 497هـ).
- بنو ذي النون بطليطلة (400هـ - 478هـ).

[1] دولة الإسلام في الأندلس :2: 676- 677.
[2] يُنظر قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط : 323.

- بنو الأفطس في بطليوس (413هـ - 487هـ).
- بنو عامر في بلنسية (1016-1085 م)

وفي هذه الحقبة قُسِّمَتْ الأندلس إلى دويلات، منها (غرناطة، وطليطلة، وسرقسطة، ودانيا، والبليار... وغيرها) ما يقارب إثنين وعشرين دويلة، واستمرت خلافات كثير بين هذهِ الدويلات، إلى أن ضعف حكم الطوائف، ولم تستطع الدفاع عن الأندلس ضد الإسبان وأخذت مدينة طليطلة، وعند ذلك طلب الأندلسيون الإستغاثة والإستنجاد من يوسف بن تاشفين قائد المرابطين، وقد استجاب لهم وأعدَّ الجيوش للإنقاذ، وهزم الإسبان واستعاد بعض المناطق والمدن الأندلسية، ومن هذه الإنتقالة بدأت حقبة جديدة للأندلس بقيادة المرابطين لها وتولي حكامهم أمور الأندلس وشعبها [1]، ولكن حين تفكك واضمحل نظام المرابطين بما كسبت أيديهم رفع الموحدون راية السيطرة على الأندلس وبنوا دولتهم على أساس ديني متعصب، وكانتْ عنصريتهم بالتعامل مع المواقف وتفهيم الإسلام قد تسببت في الضعف الذي صار مسلكاً لدخول المسيحيين[الكاثوليك]، وذلك عن طريق معركة طاحنة راح ضحيتها ابن علقمة اللخمي، وانتهت بتأسيس اول إمارة فرنجية[2].

قد امتد تاريخ الأندلس ما يقارب الثمانية قرون، ولهذا التاريخ الحافل الذي صنعهُ المسلمون على أرض أيبيريا التأثير المباشر والواضح على مُعاصري تلك الحقبة وساكني ذلك المكان، وعن طريق هذا التتبع التاريخي يُطلعنا على بعض تأثيراتِ وتغيرات السلوك والأسلوب والعادات والتقاليد والتغيرات التي طرأت على البشرِ والأرض عبر هذهِ القرون، وهذا التسلسل الحقبي الذي تم سرده آنفاً يثبت لنا أن للتاريخ في معرفة الطبيعة أثرهُ المهم، فتقسيم الأرض الواحدة وعزلها عن مجاوراتِها ومن ثم تحويلها إلى دويلات ذلك له تأثيرهُ المباشر على جغرافية وبيئتة ذلك المكان، وحتى على مستوى المناخ، وهذا ما سنوضحهُ في الصفحات القادمة.

---

(1) ينظر دولة المرابطين في المغرب والأندلس - عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، د. سعدون عباس نصرالله، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1- 1985: 105-109.

(2) يُنظر موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، د. طه عبد المقصود عبد الحميد عُبية، دار المُهتدين الإسلامي لمقارنة الاديان : 175-181.

- **البيئة الجغرافية**

الحديث عن الطبيعة بشكلٍ عام والطبيعة الأندلسية بشكلٍ خاص ومعرفة مضامينها هو سلسلة من مجموعة حلقات، فكان التتبع التاريخي هو أحد هذهِ الحلقات التي تركزت عليها معرفة الطبيعة الكائنة في موقع الأندلس، وهناك ركيزة اخرى من حلقات الطبيعة وهي الجغرافيا، فالموقع الجغرافي لا يقل أهمية وخطورة عن التاريخ في قضية الطبيعة، فمعرفة محل استقرار خارطة الأندلس على الارض وما يُحيطها من تضاريس يبرمج لنا ما عليه الأندلس من طبيعية. وبتقصي موقع الأندلس جغرافياً نجدها " تقعُ شبهِ الجزيرةِ الأيبيرية فى الجنوبِ الغربيِ منَ القارةِ الأوربيةِ تفصلها مِنَ الشمالِ عن جنوبِ فرنسا جبالُ أَلبرت أو البرتاب، ويفصلها عِن الجنوبِ حدود للقارة الأوربية عن إفريقية مضيق جبل طارق الذى يبلغُ عرضه من الشرقِ إلى الغربِ 13-37 كم، وتقعُ سواحلُهُ الشماليةِ والشماليةِ الغربيةِ على المحيطِ الإطلنطي أو ما يسمى بالمحيط الأطلسي عندَ خليج بسِقايه وتقع سواحلها الغربيةِ على المحيط الأطلسي، وتقع سواحلها الشرقيةِ والجنوبيةِ الشرقيةِ على البحِر المتوسط ويسمى بالبحِر الرومى أو البحر الشامى أو بحرِ تيران"[1]، تحاط الأندلس من أغلب الجهات بالماء وهذا ما جعل الجغرافيون يُطلقون عليها (شبة الجزيرة الأندلسية)، بإستثناء شمالها إذ تتصل بها رقعة ضيقة أشبه بالشريط المُمتد ويتصل بفرنسا من الجنوب " إذ تُقعُ جبالَ البرنيه التى جعلتْ إسبانيا منعزلةً تماماً عَنْ أوربا" [2]، ومن خصائص موقع الأندلس الجغرافي التباين والتّموج في تضاريس أرضها، فتتوغل "سلاسلُ الجبالِ إسبانيا مِن الداخلِ، فلا تترك سوى أرضاً صغيرةُ المساحةِ منخفضةً، وأكثر مظاهرَ التضاريس شيوعاً فى شبهِ الجزيرةِ الأيبيرية الجبالُ، إذ تنتشرُ السلاسلُ الجبليةُ الضخمةُ فى كل اتجاهٍ وتفصل تماماً بين المناطقِ المتمايزةِ، وتتميزُ جبالُ إسبانيا بالقسوةِ والعزلةِ، كما أنها شاهقةُ الارتفاعِ"[3].

---

[1] ينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري التلسماني، تح. الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1968م :1: 248. / وينظر تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان : 22

[2] يُنظر حول العالم في كتب (إسبانيا أرضها وشعبها)، دوروثى لورد، ترجمة طارق فوردة، مكتبة الإسكندرية، ط1 - 1965 : 171.

[3] ينظر الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، حسين مؤنس، مكتبة مذوله، ط2- 1986: 259- 261.

و كَثْرَتُ الوديان في الأندلس قابلها كَثْرَتُ الأنهار، التي تمتدُ منَ الشرقِ إلى الغربِ أو بالعكسِ، تنمازُ الأنهارُ فى الأندلسِ بسرعةِ الجريان، فكانت عائقاً للملاحةِ معظم شهورِ السنةِ وانمازت جغرافيا المناطق بالتباين بين منطقة وأخرى في طبيعتها، وهذا التباين أدى إلى الإختلاف على المستوى اللغوي والنفسي، ورغم هذا المطبات الطبيعية فقد اختار العرب موقع العاصمة بعيداً عن الجنوب [1]، ومما يؤكد أن الترف في الطبيعة يؤدي إلى ترف الفرد وفسادهِ بطريقة غير مباشرة هي أن " الطبيعةَ الجغرافيةَ الوعرةَ لم تجعلْ للمعاركِ فى غالبِ الأحوالِ نتائجَ حاسمةً على مسارِ الصراع بينَ المسلمينَ ، ووفرتْ وعورةُ التضاريس فى شبهِ جزيرةِ الأندلسِ للخارجينَ والثوارِ وقُطَّاع الطرقِ فرصاً ممتازةً لشنِّ حرب عصاباتٍ حقيقيةٍ ضدَّ الحكومة وممثليها وغالباً ما كانتْ هذه الحروب تَهْدُفْ إلى الثراء الذّاتي ومن الأمثلة على ذلك خلعُ القبائل البربريةِ المستقرةِ فى تاكرنا Takarna للطاعة سنة (178هـ/794م) إذ عاثتْ فى تلك المنطقة فساداً، فقتلوا وسلبوا وقطعوا الطريقَ على السكانِ وهدّدوا أمن المنطقةِ إلى أن استطاعتْ قواتُ الخلافةِ تخريبَ منطقَتهِم وتشتيتَ شمِلهم ."[2].

عامل الجغرافيا كان أحد الركائز المهمة التي من طريقها تكونت لنا الطبيعة الأندلسية والتي بدورها توغلت إلى الطبائع البشرية لأفراد ذلك المجتمع، فالموقع الذي استقرت عليه الأندلس وأحاطت بهِ وفيه الخيرات، جعل من طبيعة الأندلس نموذجاً للطبيعة المثالية، وتلك الجغرافية كانت أحد نوافذ الترف التي أطلت ببواعثها على ذلك الموقع، وبالمقابل فإن الفرد الأندلسي كان القابل لتلك البواعث، وقد استغل سكان هذهِ البقعة جغرافيتها بشكلٍ فاعلٍ منتظم حتى بدت آثارها عليهم من إقتصاد وزراعة وصناعة وغيرها من الأمور التي جاءت لهم بفضل جغرافيّة موقع الأندلس المطلة على معظم المنافذ العالمية.

[1] ينظر الحياة العلمية في الثغور الأندلسية، أ. د. محمد بشير العامري، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1- 2016م : 55-56.
[2] الرهائن السياسيون في الأندلس - منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، د. محمد مدحت عبد الحارث، دار ببلومانيا للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1-2018 :40-41

▪ البيئة المناخية وعذوبة التضاريس

إن التفاوت البيئي من موقع إلى آخر هو أحد ركائز التعريف المهمة لطبيعة ذلك المكان، وأحد أهم مصادر التأثير على التكوين المادي للإنسان المعايش لها، فالبيئة بالنسبة للكائن الحي هي ذلك الإطار الذي يحيط بهِ والمنظومة الحياتية التي تمدهُ بالبقاء من تربة وماء وهواء ومناخ، ولكل بقعة من هذهِ البسيطة بيئتها الخاصة، فللأندلس بيئتها الخاصة الناتجةِ من تاريخها وموقعها الجغرافي، العرض لتفاصيل البيئة الأندلسية مضيفاً إليها التاريخ والجغرافيا والذي يعد أحد أطراف المعادلة في بحثنا هذا، لأنه يعد من العوامل المساعدة في تقبل الترف، ومضمار النسق يستدعي هذا العرض فالإحاطة بواقع المُلقي ونصه هي من الجزئيات المهمة في البحث .

لو عرضنا لبيئة الأندلس وخصائصها نجد أنّ الطبيعة الأرضية المُتمثلةِ بالتربة خصبةٌ مثمرةٌ، صالحةٌ لكل أنواع الزراعة، يغلب عليها الثمر والشجر، وتتكون من جبال خضراء ووديان وضياع، تغلب عليها الصفة العشبية، وتتخللها الأنهار الكثيرة والكبيرة والعذبة أمثال " نهر سقدد، ونهر العسل، ونهر برباط، ونهر مرسية....." [1] ولهم على ضفتي هذهِ الأنهار العديدة و الكبيرة جنات وبساتين عظيمة وكثيرة.

ومن الناحية المناخية فإنَّها تتمتع بمناخ معتدل بشكل عام، إذ يغلب مناخ القارَّة الأوربيّة على شمالها، ومن الجهة الجنوبية يغلب عليها مناخ القارة الأفريقية، والإمطار فيها تكون بحسب التفاوت المناطقي فتكثر في جانب وتقل في آخر، وتمثل الأندلس قطاعاً مناخياً كاملاً من العالم بسبب تباين أجوائها وتفاوت طبائعها.

وقد كثرُت الأقوالُ والقصائدُ بشأن سحر طبيعتها وجمال بيئتها، منها قول الوزير لسان الدين ابن الخطيب في بعض كلام له ذكر فيه الأندلس قائلاً :

---

[1] يُنظر المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي، مطبعة الإستقامة، مصر- القاهرة، ط1-1949 : 375. / وينظر الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، ط1- 2011 :1: 43-53-62-63.

" خص الله تعالى الأندلس من الريعِ وغدق السقيا، ولذّاذة الأقوات، وفراهة الحيوان، و درور الفواكة، وكثرة المياه، وصحة الهواء، بما حُرمه الكثير من الأقطار ممن سواها" [1]، فهي خصالٌ وهبها الله لطبيعة الأندلس إذ جمعتْ كلّ ما يقارب المفهوم الجمالي للطبيعة البشرية.

وقد اقتبست الأندلس وطبيعتها من كلِّ بقعة صفة حسنة، فكانت" شامية في طيبِها و هوائها، يمانية في اعتدالها وإستوائها، هندية في عطرها، اهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها" [2]، وكما يرى عبد الواحد المراكشي في معجبهِ واصف الأندلس وعذوبة طبيعتها أن "مطلع شموس العلوم وأقمارها،ومركز الفضائل وقطب مدارها أعدل الأقاليم هواء وأصفاها جواً، وأعذبها ماءً، وأعطرها نبتاً، وألذها ظلالاً، وأطيبها بكراً مستعذبة وآصالاً"[3].

أما بالنسبة للقصائد والأشعار التي جاءت للتغزل ووصف الطبيعة الأندلسية فهي أكثر من أن تُحصل، وكان ممن تصدر هذا الجانب الأندلسي ابن خفاجة، ومما قالهُ في وصفِ ما عليه الأندلس من ترف طبيعة :

إنَّ لِلجَنّـــــةِ في الأنـــــــــدَلُسِ مُـجـتَـلى حُـســنٍ وَرَيـّـا نَـــفَسِ

فَسَـنا صُـبحَتِها مِـــــن شَـنَـــــبٍ وَدُجـى لـيـلـتـهـا مِـــن لَـعَـسِ

وإذا مـا هَـــــبَّـتِ الريحُ صَـبّـاً صِـــحـتُ واشَـــوقي إلى الأَنـدَلُسِ[4]

ابن خفاجة في هذهِ الأبيات يجعل من الأندلس بترافةِ طبيعتها نموذجاً تتجلى فيها الجنة، ولها صباحٌ أبيضٌ رقيقٌ باردٌ وظلامها من جمال اللعسِ.

---

[1] نفح الطيب :1: 126.

[2] نفح الطيب :1: 127. / وجاء هذا القول بمضامين مشابة لقول أبي عامر السلمي في كتابهِ در القلائد وغرر الفوائد.

[3] ينظر المُعجب في تلخيص أخبار المغرب : 367

[4] الديوان، أبو الفتح إسحاق بن إبراهيم ابن خفاجة، شرحه وضبط نصوصه الدكتور عمر فاروق الطبّاع، منشورات المطبعة دار القلم، بيروت-لبنان : 6.

ويصل ترف الطبيعة الأندلسية في شعر ابن خفاجة في موضعٍ آخر فيفضلها ويختارها على الجنة، وذلك قوله :

يَأهلَ أَنــدَلُــسٍ لِـــلّـَـــهِ دَرُّكُــمُ مــاءٌ وَظِـلٌّ وَأَنــهــارٌ وَأَشـــجــارُ

مــا جَنّــةُ الخُلــدِ إلّا في دِيــارِكُمُ وَلَــو تَــخَــيَّـرتُ هَـذا كُـنــتُ أَخــتــارُ

لاتَخـتَشــوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَــقراً فَلَيسَ تُــدخَــلُ بَعـدَ الجَنّــةِ النــارُ[1]

دخول الشاعر إلى بوابة استبدال ﴿الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ بسبب اجتماع عاملين احدهما كان الطبيعة المتعالية في العذوبة وسحر جمالها المُتمثلةِ بموطنهِ الأندلس، وثانيهما ترافة الملذات التي عاشها ابن خفاجة في صغرهِ وشبابه تحت ظل أسرة متنفذ ومتوسعة بالعيش.

عندما يصل مثلث الطبيعة [تاريخ - جغرافيا - بيئة] إلى الذروةِ المقدمات في الترفية لمكانٍ ما فإن طبيعة هذا المكان تكون داخلة بصفة الترف بشكلٍ أو بآخر، وبالمقابل تنعكس هذهِ الترافة بتأثيرها على الأفراد، وهذا ما حصل في طبيعة الأندلس، فإن وصول الطبيعة الأندلسية بكلِّ مختلجاتِها إلى ذروة ذلك المثلث [تاريخ - جغرافيا - بيئة] يجعل من مزاج الطبيعة مزاجاً مُترفاً، وهذا التأثير سارٍ على التكوين البدني والنفسي والثقافي والمجتمعي لأفراد هذه الطبيعة، وهكذا وصف ابن الخطيب تأثير طبيعة بلادهِ على ساكنيها، إذ قال " خص الله تعالى الأندلس من الريعِ وغدق السقيا، ولذّاذة الأقوات، وفراهة الحيوان، و درور الفواكة، وكثرة المياه، وصحة الهواء، وابيضاض ألوان الإنسان، ونُبل الأذهان، بما حُرمه الكثير من الأقطار ممن سواها" [2]، فيصف لنا ابن الخطيب أن موارد الترف في الطبيعة الأندلسية زرعت في أفرادها شيئاً من مادتها وهي الصفاء والنقاء والبياض والنعومة والعذوبة، وهذا الأمرُ نراهُ ملحوظاً في بقاع الأرض المختلفة،

[1] ديوان ابن خفاجة : 113.

[2] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :1: 126.

فمن تربى على طيب البيئة ولطيف المعيشة إذ الحدائق العالية والأجواء المُعتدلة بنسيمها البارد، يختلف عمن تربى على جزالة الصحراء وصعوبة العيش ووعورة التضاريس من الناحية البيولوجية والسيكولوجية وحتى من الجانب الإيديولوجي فإن الطبيعة بتأثيرها تجعل التفاوت في هذا الجانب ملحوظاً من موقع لآخر.

بين الطبيعة البشرية والطبيعة الأرضية وسائط مشتركة، والنقطة الواصلة والواضحة بين طبيعة الأندلس وأفرادها هي الترف، وهذا ما رسمهُ لنا مثلث الطبيعة الأندلسية، فما أضمرتهُ الطبيعة في جمودِ هيئتها أظهرهُ الإنسانُ في أنساقِ أفعالهِ وأقوالهِ.

المبحث الثاني : الترف المادي

مثلما للطبيعة التأثير والمظاهر الملحوظة في الفرد الإندلسي فإن هناك مظاهر ومؤثرات أُخرى في مستوى الحس البشري تكون بارزةً في هيأة المكملات الحياتية من سكن وملبس ومأكل وتجارة وصناعة وعادات وتقاليد المجتمعية.

فالترف المادي يرتكز على مؤثرات عديدة ومظاهر منها :

- **المُبالغة في الهندسة العمرانية**

قبل الحقبة الإسلامية المُتمثلةِ بالأندلس لم يكن ذلك الإهتمام والمبالغة في العمرآن، ولكن بعد دخول العرب المسلمين بدأت الحركة العمرانية بالإزدهار والتوسع، مما جعلت لريفية الأندلس طرازاً جديداً متمثلاً بالتمدن.

وكانتْ من أبرز تلك المعالم العمرانية بناء المساجد الجامعة والتي فاق عددها الألف مسجد، لأن المسجد في الأندلس يعتبر نواة المدن وعمرانها، إذ بمرور السنين يصبح المسجد قلب المدينة الذي تتفرع منه الطرق والأزقة، ومنه يُنطلق لمعرفة أبواب المدينة، وتحاط المساجد بالأسواق والمنازل، وبداخله تُعقد الإجتماعات السياسية وتصدر من طريقهِ الأحكام الدينية والتشريعية لتلك المدينة، ومن هنا برزتْ أهميّة المساجد في تلك الحقبة، ولعل من أهم تلك المساجد واشهرها واقدمها هو، " مسجد قرطبة الجامع والذي بناه عبد الرحمن الداخل، وامتدت مدة بنائه ما يقارب القرنين من الزمن، وكان يصنّف من أجمل الجوامع في قرطبة، والكتابات والنقوش تملئ سقوفه وجدرانه، تعرض للتخريب ومن ثم تحول إلى كنيسة بعد سقوط الأندلس" [1]، يعدُ هذا المسجد من أروعِ نماذج العمرآن الإسلامي والمسيحي، بفضل ما تضمنه من زخارف وثروات ابتكارية، ويله من المساجد "مسجد المنستير لاريال، بُني ما بين القرنين التاسع والعاشر ويعتبر أقدم جامع في أوروبا بناه موسى بن نصير، وكذا مسجد باب المردوم أو مسجد نور المسيح الذي يعتبر من

[1] يُنظر المساجد والقصور في الأندلس، الدكتور عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، مصر، ط-1986: 9-28.

معالم طليطلة، ومسجد الزهراء وفخامتهِ في مدينة الزهراء والتي أنشأها عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر، وقد عمل في بنائه أكثر من ألف عامل، وبُني في ثمانية وأربعين يوماً، وزُوِّد بأعمدة وقبب فخمة ومنبر، ورُصِف صحنه بالرُّخام الأحمر، وكانت في وسطه نافورة "[1]، وكانت لأبنيتهم في فنونها الهندسية " مزيج من الفن البيزنطي والقوطي والفارسي، ومن ثَمَّ ظهر الطراز المُدجّن، وابرز السمات الفنية التي اقتبسوها عن العرب هو الطراز الزخرفي، المُثقل بالزخارف والشمسيات والقمريات "[2]، وأحد أسباب هذه المبُالغة في الفخامةِ والمساحةِ الشاسعة هو مُشاطرة المسلمين النصارى في كنائسهم الكبيرة، لأن الجزيزة الآيبيريا [الأندلس] كانت قبل دخول المسلمين حاضنة للنصارى وكنائسهم، لذلك سعى المسلمون للتنافس معهم في كلِّ شيء، فظهرت حين إذن المبالغة في كل المفاصل العمرانية للمساجد من ناحية الزخارف والنقوش والمساحات إلى آخرهِ من مُعطيات الترف العمرآني، وهذا الأمر لا يَمُت إلى الإسلام والأخلاق الإلهية بصلة، وحقيقة نشر الإسلام وإستقطاب الناس إلى الدين ليس بكثرة المساجد وزُخرفها وفخامتها، إنّما نشر الإسلام حينما يكثر العلم الصحيح ويُمحق الجهل، وتُكسى الإبدان العارية، وتشبعُ البطون الجائعة، هكذا يُنشر الإسلام ويُستقطب الناسُ للدين، فأن تجعل ذكر الله في قلوب الناس أبلغ بكثير من جعلهِ بين جدرانٍ مُزخرفةٍ بُنيت على آلآمِ الفقراء.

ومن المظاهر العمرانية في الأندلس التي بُولِغَ فيها أيضاً القصور الشاهقة والفخمة، ومن أسمى نماذج هذه الظاهرة (قصر الحمراء)، والذي شيده " الملك محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر في غرناطة، والذي استغرق بناهُ (150 سنة) لفخامته ووسعهِ والحوادث الزمنية والإدامة التي مرت عليه، واستعمل في بنائه أجمل الزخارف الرقيقة والدقيقة في تنظيمها، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية والمدائح والأوصاف من نظم الشعر، ويكسو جدرانها زخارف من الجص الملون "[3]، ويعد من الكنوز التراثية في أسبانيا والمغرب.

---

[1] يُنظر عمارة المساجد في الأندلس - قرطبة ومساجدها، باسيليو بابون مالدونادو، ترجمة : د. علي ابراهيم منوفي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، ط1- 2011 : 204-205.

[2] يُنظر عمارة المساجد في الأندلس - قرطبة ومساجدها : 211.

[3] يُنظر غابر الأندلس وحاضرها، محمد كرد علي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1-1923 : 114-122.

والنموذج الآخر من نماذج الترف والمبالغة العمرانية للقصور هو المورق أو قصر المبارك كما عرفه بنو عباد، أو كما يعرف حالياً بقصر أشبيلية، " و كان في الأصل حصناً بناه المسلمون في إشبيلية، ثم تحول إلى قصر للحكم، وهو أقدم قصر ملكي لا يزال مستخدماً في أوروبا" [1]، العناية الهندسية والجمالية فيه لا تقل عن أقرانه، لأن المنهج العمراني في حقبة الأندلس سار على ديدنٍ واحد، والقصور العمراني الشاهق كثيرة منها (قصر قرطبة، وقصر طليطلة، وقصر شقوبية)، ولكلّ منها لمساته الخاصة حتى أصبحتْ هذه القصور في عصرنا الحالي تراثاً عالمياً يعتز به الأسبان والغربيون.

وكان لهذا المظهر التأثير البارز على ساكني الأندلس، وخاصة طبقة الشعراء والأدباء، إذ وقفوا على أطلالِ عظمةِ بناها، وجمالِ رونقِها وزخرفها، وتعدد قبابها، وهذا ما ذكرهُ ابن زيدون في كتابه إلى المعتمد بن عباد أمير إشبيلية، قائلاً :

وتـأمـل القصـــر المبـارك وجنـة قـد وســـطـت فـيـهـا الـثـريـا خـالا

وأدر هنــاك من المـدام كؤوســـهـا وأتـــمـــهـــا، وأشـــفها جريـــالا

قصـر يقر العين منه مصـــــنـــــع بـهـج الـجـوانـب لـو مشـــي لاختـالا

لا زلـت تفترش الســرور حـدائقـاً فـيـه، وتـلـتـحـف الـنـعـيـم ظـلالا [2]

وتوغل ذلك المفهوم إلى كثيرٍ من أبياتهم فنرى عبد الجبار الصقلي الملقب بابن حمديس الصقلي الراحل إلى الأندلس وهو يصف لنا عجيب رونق تلك القصور وسحرها قائلا :

---

[1] يُنظر المساجد والقصور في الأندلس : 99-104

[2] ديوان ابن زيدون ورسائله، تح. علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر : 520/ وفي نسخة أخرى ديوان ابن زيدون، تح. عبدالله سنده، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1-2005 :196.(الكامل)

قصـــر لو أنـك قـد كحلـت بنوره أعمى لعـاد إلي المقـام بصـــيرا

واشـــتق من معنى الحياة نســـيمه فيكاد يـــحث للـــعـــظـــام نـــشـــورا

أعيت مصـــــانعه على الفرس الألى رفعوا البنـاء، وأحكموا التـدبيرا

ومضـــنت على الروم الدهور وما بـ نوا لملوكهم شـــبهـاً لـه ونظيرا

أذكرتنـا الـفردوس حين أريتنـا غرفـاً رفعـت بنـاءهـا وقصـــورا

أبصـــرتـه فرأيـت أبـدع منـظر ثم انـثنيـت بنـاظري محســـورا

وظـنـنـت أنـي حـالـم فـي جنـة لمـا رأيـت الملـك فيـه كبيرا[1]

فتردد هذهِ المعاني وغيرها في وصفِ هذا المظهر من مظاهر الترف العمراني يُنبأ المُتلقي بقوة تأثير هذهِ المعالم على أفراد الحقبة الأندلسية، وكيف أن لهذه القصور وزخارفها وسحرها وما تحملهُ من جماليات الهيمنة على النفوس ما جعلها عندهم تراثاً شاهد على ترفية الأندلس وساكنيها.

لم تقتصر المبالغة العمرانية وتأثيراتها في المجتمع الأندلسي على المساجدِ والقصور فقط، إنما كان للحدائق والرياض الواسعة الدور البارز في هذهِ القضية أيضاً، فقد شغلت هذهِ الحدائق والرياض وأماكن الترفيه الجزء الأكبر من حياة الأندلسيين فيما أحتووهُ من صفة الترف، والمصاديق في هذا الجانب كثيرة منها حديقة قرطبة التي بناها " عبد الرحمن الأول، وأحضر

[1] ديوان ابن حمديس الصقلي، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان : 545-546(البسيط)

لها نباتات من الهند وتركستان وإيران وسوريا، وفي القرن الرابع الهجري كان لقصور الزهراء بساتين وحدائق كثيرة وكبيرة، وكذا حديقة قصر الحمراء و جنة العريف التي تحيط بها في غرناطة" [1]، وما ميّزَ حدائق الأندلس عن سواها هو تفردها بهندستها وأنظمتها ومساحاتِها، فقد ساروا على" نظام التناظر الهندسي مع تنافر الألوان الزاهية واستعمال النباتات العطرية، وأُنشئت هذه الحدائق على شكل فناء يحيط بالقصر، وضمنوا فيها التماثيل بتحررِهم من التحريم الديني"[2].

الثقافةُ الحدائقية والترفيهية كان لها الصدى البارز لدى الأندلسيين، فانتشرت حول البيوت الاندلسية وكثرة أعدادها، بسبب المساحات العشبية الواسعة والمناخ المُلائم الذي وفرتها الطبيعة الأندلسية، وكانت لهذا المساحات الخضراء التأثير الكبير على الأندلس، وكانت غرناطة مشهورةٌ معروفة بالعنب وغزارة إنتاجهِ في حدائقها مما أدى انتشار تعاطي الخمور[3]، وهذا النموذج يثبت بأنّ زيادة النعم مع عدم الشكر ينتج لنا صفات الترف التي تؤدي بنا إلى هذهِ النتائج.

ترادف مظاهر الحركة العمرانية من مساجد مزخرفة وقصور شامخة وحدائق ورياض خلابة " تركت في نفوس الأندلسيين آثار نفسية ووجدانية، كالفرح واللّهو والتّسلية "[4] فيكون حينها الإنسان الأندلسي متعرضاً لصفة الترف بشكل حسي غير مباشر، وذلك لأن مقدمات تلك الصفة حاضرة بين يديه بشكلٍ أو بآخر، وهذا التأثير يسري بدوره في الأفعال والأقوال ويكون حينها النسق القرآني مُأطِّراً لهذه الرؤية من الترف المادي في المبالغة العمرآنية من طريق أبياتهم الشعرية .

---

(1) يُنظر العمارة الإسلامية والبيئة، د. م. يحيى وزيري، عالم المعرفة (مطابع السياسة)، الكويت، ط1-2004: 220-223.

(2) ينظر قصور وحدائق الأندلس (دراسة تراثية - عمرانية - جمالية)، محمد هاشم النعسان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2017 : 86.

(3) يراجع الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية : 111-160-166-241.

(4) صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، عمر ابراهيم توفيق، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011 : 94

▪ الثروات [زراعة ـ صناعة ـ تجارة]

يعدُّ هذا المثلثُ أحد المؤثرات الأساسية في منظومة الترف المادي، إذ إنَّ كل عنصر من هذهِ العناصر لهُ مستوى من التأثير،فالزراعةُ في الأندلس تهيئة لها كل الظروف الملائمة ولكلّ أنواع وأجناس المزروعات تقريباً، فتربة الأندلس خصبةٌ كريمة والتفاوت المناطقي في المناخ بشكلهِ المعتدل أدى إلى تنوع أجناس المحصول في الموسم الواحد، ومن ناحية المياه فهي عذبةٌ لا تنضب، ولا تخلو تضاريس الأندلس من تفرع الأنهار.

سَمَت الزراعة في الأندلس بسماء الإقتصاد على الرغم من سوء أوضاع الفلاحين وفرض الضرائب الباهظةِ عليهم من قبل الطبقة الأرستقراطية الذين استغلوهم أبشع إستغلال، واستولوا على أراضيهم، ولكن لم يؤثر ذلك على الوضع الاقتصادي للزراعة أبداً [1]، ولكن هذهِ السطوة سببها حب الترف الذي أدرّتهُ عليهم الزراعةُ من واردها الزاخر.

وكان محصول الزراعة بكلا موسميها وافراً في الأندلس ومن ناحية الحبوب والفواكة، فعلى مستوى الحبوب " فانتشرت في مناطق كثيرة من الأندلس على غرار قرطبة غرناطة ألميرية وطليطلة وسرقسطة وغيرها من الأماكن، واشتهرت هذهِ المناطق بزراعة شتى انواع الحبوب من شعير وقمح والبقول من الحمص والعدس والحلبة، وأكثرها أهمية الرز الذي كان وفيراً جداَ في بلاد الأندلس" [2]، وكذا الأمر بالنسبة للقسم الثاني المُتمثل بالفواكه فقد انتشر إنتشاراً شاسعاً في الأندلس ورفع الإقتصاد الزراعي، وكانت" مالقة مشهورة بالتين بغض النظر عن بقية الأصناف، وكان من أهم الفواكه التي اشتهرت بها هو العنب "[3]، فأضفت الزراعةُ على الأندلسيين مدخلاً آخر من مداخل الترف والنعمة، ودخولهم في الترف ليس لكثرتِ نعم الزراعة

---

[1] يُنظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابوالحسن علي بن بسام الشنتريني، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط1-1979 :1: 18.

[2] ينظر طرائق الزراعة في بلاد المغرب والأندلس خلال ـ القرون الأربعة الأولى من الفترة الإسلامية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير قدمها الطالبين علي دش وبلال فيفي، جامعة محمد بوضياف، 2016-2017 : 47-48-55

[3] يُنظر الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية :3: 2.

إنما بتجاوز حدود القناعة واستغلالِ الإقطاعيين للفلاحين البسطاء، وتحويل الأرزاق إلى سيئات أمثال تحويل العنب إلى نبيذ.

وعلى المستوى القطاع الصناعي في الأندلس فهو المكمل لدور القطاع الزراعي، فقد تنوعت الصناعات في الكمِّ والكيف، وكانت تَمُدُّ الأسواق المحلية والخارجية بشتى أنواع المنتجات.

اشتهرت الأندلس بقمة الصناعات بفضلِ مواردها الأولية المتوافرةِ بغزارة وحِرَفيّوها المُتمرسون والمبدعون بأعمالهم وأفكارهم، ومن أشهر تلك الصناعات التي ملأتْ أسواق الأندلس المحلية كما وانتشرت في الأسواق الخارجية أمثال " الصناعات المعدنية التي أُنتج من طريقها الأسلحة [السيوف والتروس وغيرها]، والفؤوس والمسامير وابواب المدن والقصور، كما توصلوا إلى صناعة مراسي السفن، وكل ذلك يرجع إلى غنى الأندلس بالمعادن وتعدينها ومنها الحديد، كما اشتهرت بالصناعات النحاسية والنسيجية والجلدية والخشبية والورقية والزجاجية والفخارية، وصناعة الحُلي، والقطع النقدية خاصةً الذهبية منها والفضية، وتوجهوا أيضاَ إلى الصناعات الزراعية مما تتعلق بالأطعمةِ ونحوها "[1]، ومن جهة أخرى اشتهرت الأندلس بصناعة السكر والزيوت والصابون ونحوها من هذهِ الصناعات، وكذا كان إشتهارِها بصناعة الخمور وهذا ما أشرنا إليه وإلى أسبابهِ آنفاً.

وما شجع في نمو هذه الصناعات وتقدمها أمور كثيرة منها "أمن السواحل لقوة الأسطول، وتعويض الخسائر التجارية، وتوفير سيول الإقراض، وبناء الأسواق والفنادق والجسور وتوفير الموارد الكاملة للصناعة"[2]، وكان اشتراك النساء في هذا المضمار أحد العوامل المهم في تجلي الصناعات وانتشارها.

كثرت الصناعات وعدم إنحسار المواد الأولية سهلت ووسعت على الإنسان الأندلسي كثير من متطلبات الحياة، وشَقَّت له الطريق نحو محيط العيش الرغيد.

---

[1] ينظر جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس، د. محمد بن عبود، تقديم الأستاذ محمد المنوني، مطبعة النور، تطوان - المغرب، ط 1987 : 98-99-100.

[2] ينظر النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، عز الدين أحمد موسى، دار الشروق - مكتبة المهتدين الإسلامية، ط1- 1983 : 302.

غزارة الصناعات وتنوعها كانت سبب من أسباب نمو وتضخم الجانب التجاري في الأندلس، فعلى صعيد التجارة فقد " عرفت الأندلس رواجاً تجارياً متفاوتاً، و أزهى فترات الازدهار كانت أثناء القرن الأخير من حكم الأمويين في الأندلس، وقد وصل تُجّار الأندلس إلى المغرب وليبيا ومصر وشرق المتوسط، بل إن هناك من وصل منهم إلى الصين" [1]، وكلّ ذلك يرجع إلى جودة الموقع الجغرافي القريب من الغرب، مما جعل التجار الأندلسيين يسوقون إلى سلعهم بشكل كبير

ومما ساعد أكثر كانت" المدن الأندلسية في القرون الوسطى أسواقاً دولية كما يُصطلحُ عليها في وقتنا الحاضر، وكان التجار ينتقلون بحريةٍ كاملة على طول الخطوط البرية والبحرية، التي كانت تربط الأسواق الأندلسية بغيرها" [2]، وكان القطاع التجاري في الأندلس يتميز بنشاطهِ ومراكزهِ التجارية الضخمة، وكان" يتم تخزين السلع والبضائع التي يستوردها التُجّار المسلمون والمسيحيون واليهود من الخارج، في بعض مدن الجنوب قبل أن يتم توزيعها، لذا أصبحت هذهِ المدن تطلع بدور الوسيط بين المشرق والمغرب" [3] فبذا أصبحت الأندلس حلقة الوصل بين التجارة العالمية، على مستوى التسويق والإراد والتصدير، بفضل سعةِ أسواقها والاعتناء بها بمراقبتها وتنظيم المهن بها، وتخصص التجار بمهنهم، وجودة السلع والعدل في الموازين، وتبادل الخبرات مع الجميع، وانفتاح الطوائف مع بعضها، مما جعل من التعامل التجاري ذا إنسابيةٍ عالية ومنظومةٍ مُحكمة، ومما أضفى عليها نشاطاً أكثر الموانئ البحرية المُختلفة التي استطاعة ربط الأندلس مع العديد من مناطق العالم، فتضافر هذهِ المُسببات التجارية بأتم مستوياتها يجعل من التجارة الأندلسية برزخاً لأدنى صعوبات الحياة، فكلُّ ما يحتاجهُ الفرد الأندلسي من مطورات للحياة ترفدهُ عليه التجارة، وإن لم يتسنَ للتجارةِ ذلك فالصناعةُ.

هَرَمُ الثروات هذا [زراعة - صناعة - تجارة] والذي على قمتهُ كانت (الصناعة) جعل من هذه الأرض سيل هادر على أفرادها من الصفات الترفيّة، والتي طفت على بعضِ شؤونهم الحياتية،

---

[1] يُنظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت - لبنان، ط1- 1998 :2: 1041.

[2] ينظر قصة فتح الأندلس (من الفتح للسقوط) :1: 160- 161.

[3] يُنظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس : 2: 1063.

من ثقافة وعادات وتقاليد وطريقة معيشة تتغاير وتتطور مع الزمن، فأحدث هرم الإقتصاد تحولاً تاماً من الريفيةِ الزراعيةِ إلى نظام التمدن والتحضر.

كانت لهذهِ التطورات والثروات في أرض الأندلس التأثير المباشر والملموس على المجتمع الأندلسي، من عادات وتقاليد وثقافات وكل ذلك يعود إلى سعة العيش والتنعم و انطباق صفة الترف عليهم.

ومن المستويات الأخرى للترف الحسي [المادي] هو :

- **ثقافة الترف ومظاهره في المجتمع الاندلسي :**

قبل عرض نماذج من طبائع وعادات المجتمع الأندلسي لأبد من التطرق إلى الوجود العرقي لتلك البلاد، فقد تنوعت أقطاب المجتمع الأندلسي بسبب الأجناس المختلفة التي وفدت عليه، من عرب وبربر ومولدون [نِتاج إختلاط عرب وبربر مع الإسبان]، وأهل الذمة من نصارى ويهود، والصقالبة، وغيرهم من الإجناس.

التنوع العرقي زاد من التنوع الديني وبدورهِ زاد في التنوع المجتمعي من عادات وتقاليد وطريقة عيش.

ما سردناهُ آنفاً من جمالِ طبيعةٍ وعذوبةِ مناخٍ وسعةِ عيشٍ نسجت في الأنسان الأندلسي طبيعةً ترفيةً مرهفة، فقد نقل لنا بعض متتبعي الثقافات والعادات عِبر التاريخ أن أهل الأندلس " بلغ من عجيب اعتنائهم بنظافتهم واهتمامهم بالإغتسالِ، إلى أن يكون فيهم من لا يملك سوى قليل من مال يشتري به طعام ، ولكنه يفضل أن يبتاع بدلاً من الطعام صابوناً يغسل به ثيابه حتى يبدو أنيقاً رائقاً للناظرين "[1]، وكذا على المستوى العمراني في بناء الحمامات العامة فقد ذكر المقري عن ابن حيان أن عدد الحمامات " وصل في أيام المنصور في مدينة قرطبة 991 حماماً

[1] ينظر نفح الطيب :1: 223

"[1]، هذا النصابُ في القول لا نعني بهِ أن كل من تنظف أو تزين داخلٌ في خانة الترف، لا، ولكن الإسهاب والإفراط الواضح في هذه المظاهر هو الذي جعل من أهل هذهِ الحقبة مشهورين بحياتهم وعاداتهم المجتمعية المُترفةِ والمُتنعمة.

وعلى مستوى الأُسرة فحالة المرأة في " الوسط الأرستقراطي المُتمثل غالباً في الطبقة الحاكمةِ أو طبقة الأعيان فهي غير مضطرة بشكل عام للقيام بأي عمل داخل البيت أو خارجه، لأن الأطفال تقوم الجواري والأُمهات الحاضنات بتربيتهم، وكذا جميع الأعمال المنزلية الأُخرى، ويظل هَمُّ المرأة محصور بالإهتمام بزوجها، وكيفية إنتزاع حبهِ، و إزدياد إعجابه بها، وتصبح حظية عنده"[2]، ولكن هذا الإهتمام لم يوقف من إنتشار ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع الأندلسي سواء على نطاق الطبقات الخاصة أم العامة، وخاصةً في بلاط الحكم [3]، وكانت العادة عندهم في نظام الزفاف والأعراس أن" تدوم حفلة الزفاف أسبوعاً كاملاً في بيت العروس، وبعد تُزف إلى عروسها إلى بيتها الجديد وهناك تقام وليمة للرجال وأخرى للنساء، وكانت من أعظم حفلات الأعراس التي أُقيمت في الأندلس هو زواج (أسماء بنت غالبا)، وكان هذا العُرس مضرباً للأمثال بالبذخ والبهاء" [4].

إن الطبيعة الأندلسية " تركت في نفوس الأندلسيين آثار نفسيّة ووجدانيّة، كالفرح واللّهو والتّسلية "[5] حتى أصبح الأسهابُ في الغناء والطرب من العادات الدؤوبة الواجبة في المجتمع الأندلسي" فلا معنى لمجلس أُنس دون صوت حسن صادح، متناغم مع عزف العود والمزمار"[6]، واعتبر الغناء والرقص والموسيقى " منذُ مطلع القرن الثالث الهجري أكثر وسائل اللهو شيوعاً وتفشياً في المجتمع الأندلسي، وهم من ابتكروا منصة الغناء التي يقف عليها المُغني والعازفون، وهم

---

[1] قرطبة حاضرة الأندلس، الدكتورعبد العزيز سالم، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997 :1: 183.

[2] العادات والتقاليد في الأندلس، نبيلة العاجي و وردة مسعود، إشراف الأستاذ مصطفى باديس، جامعة آكلي محند اولحاج- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم تاريخ، 2018-2019 : 19. / وينظر الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان (من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢ه)، دكتور خالد حسن حمد الجبالي، مكتبة الآداب، ميدان الآبورا - القاهرة، 2004 : 92.

[3] ينظر الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان : 62.

[4] يُنظر المصدر نفسه : 45

[5] صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياَ: 94

[6] يُنظر قرطبة حاضرة الأندلس :2: 78.

الذين أسسوا مدرسة الموسيقى التي إنتشرت في كل الأندلس "[1]، فضلا عن ذلك أن مجالس الغناء في معظم الأحيان تملؤها الخمور والسكر، ومما ساعد على أنتشار هذهِ الظاهرة في الأندلس وجعلها من المُستساغات عند المجتمع الأندلسي وشيوعها بأنها وسائل للترفيه لا أكثر هم فقهاء هذا المجتمع من أمثال" ابن عبد ربه، وقاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى وغيرهم من المُتشرعةِ، ومما جعل ميل المسلمين في تلك الحقبة يزيد أكثر نحو هذه الظاهر إختلافهم [شريحة المُتشرعةِ] في الحكم على الغناء والموسيقى، فمنهم من أباحها مالم يكن معه منكر، ومنهم من حملها على الكراهةِ، ومنهم من أباحها من غير الكراهة "[2].

تفاقم هذه الظواهر والتشبع بها يُدخل مُعتاديها في صفة الترف بشكلٍ أو بآخر، كذا الأمر بالنسبة لبقية الظواهر المجتمعية، فعلى مستوى طريقة العيش والأكل والشرب وثقافات الملبس وارتداء الأزياء، فللَمجتمع الأندلسي طقوسهُ الخاصةِ بهذهِ المظاهر، فقد كانت الأطعمةُ والأشربة متنوعة وملونة من أطباق عربية وبربرية وأوروبية، في معظم طبقات المجتمع ولاسيما شريحة الأغنياء والطبقة الحاكمة .

وبتفاوت وتعدد العصور الأندلسية اختلفت وتميزت الأطعمة في كل عصر عصرٍ آخر، ولكن المشترك بينها هو نوعيّة الطعام الفاخر وكثرة أصنافهِ، فعامل الزمن كان له الأثر الكبير على عادات الأكل " فمع زواج الإسبانيات بالمسلمين عرفت المائدة الإسلامية أنواعاً مختلفة من الأكلات الإسبانية، مما كان له كبير الأثر في تسرب ألوان الترف والبذخ" [3].

كما وقد اشتهر الأندلسيون بأنواع الوجبات الفاخرة بالنسبةِ لذلك المجتمع أمثال طبق الثريد أو ما يسمى (الكامل) الذي يتكون من أنواع عديدة من اللحم والدجاج، و كثرة التوابل المضاف عليه وكانت تقدم بشكلٍ نموذجيٍ ومُنمق بطبقٍ كبير[4]، ومن مظاهر الترف المُنتشرةِ عندهم فإن

---

(1) يُنظر الأعيادُ في مملكة غرناطة، أحمد مُختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، الناشر وزارة التعليم العالي - الإدارة العامة للتمثيل الثقافي - المعهد المصري للدراسات الإسلامية : عدد 15 : 140.

(2) يُنظر المُغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1-1405ه : 12-42.

(3) يُنظر الترف في المجتمع الأندلسي، إعداد الطالب نادر شرف زيارة - بإشراف الدكتور خالد يونس الخالدي، الجامعة الإسلامية - كلية الآداب - قسم التاريخ، غزة، 2010 : 102. / نقلاً عن كتاب المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، حسين دويدار، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1994 : 288.

(4) يُنظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت - لبنان، ط1-1998 :2: 1021.

"اللحوم والدجاج تعدُ من المصادر الرئسيةِ في أطباقهم حتى أنَّهم لا يميلون إلى غيرها في بعض الأحيان لتفاهته عندهم" [1]، ومن نماذج الإسراف في اللحوم والدجاج في الأندلس فقد كان الإستهلاك اليومي للحوم في قصر الزهراء لوحده من الحرس يفوق الثلاثة عشر ألف رطل، فتبلغ بذلك حصة الواحد أكثر من عشرة أرطال يومياً، وهذهِ العادة في كثرة الإقبال على الأطعمةِ الدسمةِ أدت بهم إلى حدوث بعض المشاكل المعدية أمثال الإمساك " وقد أشار ابن أبي أصيبعة إلى أن أهل الأندلس إذا أراد أحدهم إسهال طبيعتهِ أخذ من السقمونيا*، وزن ثلاثة دراهم حتى تلين طبيعته بمقدار مايلينها نصف درهم في بلدنا"[2]، وهذهِ الحالة تُنبأ عن شدة إنغماسهم بالترف.

وتعدى هذا الإنغماس بصفة الترف في المطبخ الأندلسي إلى الأواني المستعملة في الطبخ وطريقة تقديم الطعام، فاستعملوا " أواني الفضة والزجاج والأديم الناعمة واللينة، واهتموا بطريقة تقديم الطعام فيبدأ تقديم الطعام بأطباق الشوربة، ويتبعها مُقدمات اللحم ثم أنواع الطيور المُتبلة والملونة ويعقبها في النهاية الأطباق المُحلاة والفواكه" [3] .

هذا الحرص والإصرار في أدق التفاصيل في قضية الطعام والشراب يعطي دليلاً واضحاً ملموساً على أنَّ المجتمع الأندلسي مجتمعٌ مترف، وتأكيد الحجةِ أكثر فهناك مظهر آخر لصفةِ الترف تجلى عندهم في :

- **ثقافة التأنق :**

فإنّ للأزياء مع الانسان علاقة تلازم مستمر تمتد من الولادة حتى الموت، وتكون إختلافها حسب الموقع الإجتماعي والطبقة الإقتصادية والظروف المناخية.

---

[1] ينظر (تاريخ ابن خلدون) مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت :1: 160.

[2] الترف في المجتمع الأندلسي : 104.

***السقمونيا** : نبات يُستخرج منه دواء مسهل للبطن ومزيل للدود. / ينظر المعجم الوسيط :1: 437.

[3] يُنظر : حضارة العرب في الأندلس: 56.

اللباس الغالب على طبقات المجتمع الأندلسي هو "الملف المصبغ والكتان والحرير والقطن" [1]، وقد اعتنوا بأدق التفاصيل في اختيار الأزياء وصنعها، من أنسجة وجلود وطريقة خياطة.

كان الحظ الأوفر لصنف أزياء النساء في قضيّة الترف، ومن ثَمَّ نال ذلك الحظ ألبسة الرجال، فتوسعت وتنوعت صنوف الأزياء بأرقى وأفخر أنواع الأقمشةِ من الحرير والكتان والصوف والقطن، وأبرز ما أظهر عليهم صفة الترف في قضية الأزياء هي إختيارهم للألوان الزاهية والجذابةِ للنساء والرجال على حد سواء، فقد وصفهم ابن الخطيب برونقِ ملبسهم قائلاً " فتبصرهم في المساجد أيام الجُمع، كأنهم الأزهارُ المُفتحة في البطاح الكريمة، تحت الأهوية المُعتدلة" [2]، واتصفت النساء الأندلسيات بالمبالغة في كلّ تفاصيل الزينة، فأكثرنَّ من " الخواتيم والخلاخل والدمالج والأساور والتيجان المرصعة بالياقوت والزمر" [3]، وسرت تلك المبالغة في أدوات التبرج من " الطيوب والعطور والمراهم، وكانت أولى اهتمامات المراة الأندلسية اياً كان وضعها الإجتماعي وحالتها المادية" [4].

هذهِ المظاهرة التي برزت عند نساء ورجال المجتمع الأندلسي أدخلت مُرتاديها بأيقونة الترف، فالناظر للحياة الاجتماعية في الأندلس يجد هذهِ الصفة مطبقة عليها بشتى جوانبها تقريباً.

هذهِ المظاهر هي مقدمات لحياة تملؤها الرفاهية والتنعم وكثرة المُلهيات الدنوية، فقد نتج لنا من هذا المجتمع المترف الأعياد والمناسبات والحفلات، وهي كثيرة بكثرة المظاهر الترفية في الحياة الأندلسية، فقد بالغوا في الاحتفال والإعداد لمناسباتهم وأعيادهم[5]، فأقاموا الغناء والرقص والموسيقى والألعاب المختلفة .

---

[1] يُنظر اللمحة البدرية في الدولة النصرية، الوزير لسان الدين بن الخطيب، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة،1347ه : 27- 39.

[2] اللمحة البدرية : 40-41. / و الإحاطة في أخبار غرناطة :1: 139.

[3] اللمحة البدرية : 102.

[4] يُنظر غرناطة في ظل عصر بني الأحمر (دراسة حضارية)، د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1-1993 : 102.

[4] قد اختلفت وتشعبت واتسعت الأعياد والمناسبات على مستوى اليوم والأسبوع والشهر والسنة ، وهذا الأمر راجع لكثرة نوافذ الترفيه والمُتعة، ولتعدد الطوائف والأديان والمذاهب في تلك الحقبة، فهنالك أعياد أيام الجُمع وأعياد الفطر والأضحى، وأعياد أهل الذمة ومن نماذجها عيد نيروز : هو أحد الأعياد الكبرى في الأندلس، وهو عيد السنة الفارسية يرمز إلى يوم استهلال السنة الشمسية عند الفرس حيث يقع في بداية السنة في أوائل يناير في كل عام. / عيد المهرجان العنصرة : هو عيد ميلاد يحى بن زكريا عليهما السلام الذي يسميه الإسبان بسان خوان المصادف 24 حزيران ويسمى هذا العيد بالعنصرة. / عيد يناير : شبيه بالنيروز تقدم فيه التهاني وتصنع خلاله أصناف كثيرة من الحلويات على شكل مدن ذات أطوار شبهها أحد الشعراء بالعروس، كانت تقدم في هذا العيد الأطفال لبسط الرزق فيه كما يخرج الرجال

تراكمية صفة الترف في الجوانب الحسية [المادية] لهو مؤشر واضح على إنطباق هذه الصفة عليهم، فالمبالغة في الجانب العمراني من مساجد وقصور وحدائق، وغزارة الثروات الطبيعة و الزراعية والصناعية والتجارية، وتوغلها في حياتهم الإجتماعية من عادات وتقاليد ومناسبات جعلت من حياة الفرد الأندلسي " تفنن في الترف، واستجادة أحواله، والتكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابخ، أو الملابس أو المباني، أو الفرش"[1]، هذه المظاهر من الترف المادي بسطت لنا محيط ما نحن بصددهِ من دراسة، والتي من طريقه نستطيع معرفة مدى تأثر تلك النصوص بالترف من حيث الجهة الحسية المادية الظاهرة .

مع النساء للتفرج ويلبسون أحسن الثياب ويدعون أصدقائهم لقضاء الليل في الإحتفال والسهر. وهناك أعياد أخرى لليهود كعيد الفصح : ويسمونه عيد الفطر، ويكون في الخامس عشر من أبريل في كل عام يدوم سبعة أيام يأكلون فيها الفطير وينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير ذلك احتفال بذكرى خلاصهم من فرعون وغرقه. / عيد حوماريا : يسمى عند اليهود بالكابور وهو عندهم الصوم الكبير وعقوبة من لم يصمه هو القتل ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة ويزعمون أن الله يغفر لهم خطاياه بهذا الصوم. / عيد الأسابيع : يعرف بعيد الخطاب أو العنصرة، يحتفل به بعد عيد الفصح بسبعة أيام يصنعون في هذا العيد قطائف ويتفننون في صنعها يقع هذا العيد في فصل الصيف أي موسم الحصاد/ ينظر: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، أبو مروان ابن حيان القرطبي،تح: عبد الرحمان علي الحجي، دط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دت : 28 / و المغرب والأندلس في عصر المرابطين، إبراهيم القادر بوتشيش، ط1 ،دار الطليعة للطبعة والنشر، 1993: 87- 92. / نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، دط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، السفر الأول : 195-196 / و يُنظر : العادات والتقاليد في الأندلس من (7ه - 9ه / 13م-15م)، نبيلة العاجي - وردة سعودي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، إشراف الإستاذ مصطفى باديس أوكيل، جامعة البويرة - كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية - قسم التاريخ، الجزائر- مدينة البويرة ، 2018-2019م : 49-51.

[1] تاريخ ابن خلدون :1: 465.

المبحث الثالث : الترف المعنوي

للطبيعة البشرية بُعدان، أحدهما مادي، والآخر معنوي، وقيومية البعد المادي بالبعد المعنوي، كما أن لهذا الوجود في نظرية القرآن الكريم بعدان الأول شهودي والآخر غيبي وقيومية عالم الشهادة بعالم الغيب، وما الإنسانُ إلا نموذجاً مطوياً في عالم الوجود هذا.

فعندما يكون هنالك بعداً مادياً ملموساً تتجلى فيه صفة الترف فإن هناك بعداً معنوياً يتداخلُ فيهِ الترف فيظهر في البعد المادي.

مظاهر الترف المُحسةُ بالحواس تمثل الجزء المادي من صفة الترف، ولكن هناك أشياء كثيرة أُخرى يحسُ بها الإنسان ولكنها غير ملموسة، ولكن تظهر للعيان عن طريق الشعور والمُخالطة والتجربة.

ويقسم الترف المعنوي نماذج عديدة منها :

- **الترف الفكري**

إن الإسهاب في غير الضروريات من حاجة الإنسان المادية يعدُ ترفاً، كذلك في حالة الإفراط والإطناب في المفاهيم البعيدةِ عن الواقع البشري وغير الضروريةِ في الجانب الثقافي والأدبي والمجتمعي فإنها تعدُ خارجةً عن حاجة الفكر[1]وهذا ما يعدُ بالترف الفكري.

ومنها أيضاً الموضوعات التي أنقضى زمانها ولم يكن لذكرها فائدة للفكر البشري أو للإمتداد الثقافي، وكذا العكس التي لم يَأتِ وقتها، أو الحديث والسرد عن موضوعات لا نفع لها والخوض فيها عقيم وليس لها من أثر إيجابي ولا حتى سلبي، فتدخل كل هذهِ المظاهر في خانة الترف الفكري.

---

[1] يُنظر مقالات عكس التيار (حول الترف والإستبداد)، مختار الأسدي، دار الكتب العراقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2-2011 : 277-280. / يُنظر حوار مع فضل الله حول الزهراء، السيد هاشم الهاشمي، دار الهدى لطباعة والنشر، ط2-2001 : 40-42.هذان المصدران لم يتعرضا إلى تعريف الترف الفكري بشكل تفصيلي وجوهري وإنما كانت هناك بعض الإشارات والمُقاربات للتعريف الذي ذكرناه في المتن.

ولتوضيح صورة الترف الفكري أكثر نعمد إلى طرح مثال يوسع لنا ذلك المفهوم، فقد جاء لنا في الأثر عن سيرة سيد البشر الرسول محمد صلى الله عليهِ وآلهِ، منقولاً عن ولدهِ أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال " دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل !؟، فقال: ما هذا؟، فقيل: علّامة، فقال: وما العلّامة؟، فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه..." [1]، لخصت لنا هذهِ الحادثة وما ذكرهُ النبي الأكرم صلوات الله عليهم وآله وسلم جوهر الترف الفكري، فكلِّ علمٍ لا ينفع من علمه ولا يضرُ من جهله فهو ترفٌ فكري، وكذا كل توجه لا ينتهي إلى هدف، وهذا الأمر سائر في الشعر أيضاً، فحين يقضي الشاعر وقت في التفكير أو يكتب قصيدة طويلة وهي لا تؤدي وظيفة ولكن قالها لاستدرار الأموال والهدايا أو لإثبات شيء لنفسه ما هو ببالغه فهذا ترف فكري، فإن الشعر للإنسان الذي لا يحمل هماً لقضية ما أو هدف لحقيقة يريد الوصول فأن ذلك ترف فكري[2]، وهذا النوع من الترف المعنوي قد شغل الساحة الأندلسية في ذروتها إذ تشعب وانتشر الترف الفكري لدى الشعراء والمؤلفين.

فابتعد بعض الشعراء في ذلك المجتمع عن أبجديات القضايا المهمة والمحورية للفكر والثقافة، و تطرقوا إلى وصف القصور والحلي ومظاهر الحياة الفارهة والفاخرة التي لا تمتُ إلى موضوعية العلم السامي بأي صلة، ومن نماذج هذا الترف الفكري وصف الشاعر عبد الجليل بن وهبون لقصر المعتمد الذي شيده بعد إستلامه منصب الإمارة، والذي يُدعى بقصر الزاهي، قائلاً :

وللزاهي الجمال سناً وحسنا كما وسع الجلالة والكمالا

يحاط بشكله عرضاً وطولاً ولكن لا يحاط به جمالا

[1] الكافي، محمد بن يعقوب الكُليني، تح. علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط 3-1388ه :1: 32..

[2] ينظر ديوان نازك الملائكة (شظايا ورماد)، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت-لبنان : 309

وقـور مـثـل ركـن الـطـود ثـبـت ومـخـتـال مـن الأنـس اخـتـيـالا

فلو أوتوا حرام الســـحر منـه لا ضـــحى يعبـد الســـحر الحـالا[1]

ثم ينتقل ليصفهُ بالتفصيل في كلِّ محتوياتهِ المزخرفة والمذهَّبةِ، فيقول :

ولـلـبـهـو الـبـهـي ســـمـاء نـور يـمـثـل خـلـقـهـا شـــكـلاً، وحـالا

مـزخـزفـة كـأن الـوشـــي ألـقـي عـلـيـهـا مـن طـرائـفـه خـيـالا[2]

ومن ثم توغل أبو الحسن البكري ليصف تماثيل القصر ورسومه، قائلاً :

قـــرن الـــغـــزالـــة أم مـــعـــقـــل يـكـاد الـجـمـاد بـه يـعـقـل

قـراره أنـس بـكـنـس الـظـبـاء بـدار الضـــراغـمـة الـبســـل

تـجـرد أفـواهـمـا فـي الصـــفـاء سـيوفا بشـمس الضـحى تصـقل[3]

عندما يتحول التراث الفكري الشعري إلى هذهِ الأمور التي لا تبني حضارة ولا تصلح في مجتمع، وما هي سوى مفردات رصفت ليستبدلها قائلها بدراهم تقربهُ من أصنامهِ زُلفى.

وكذا الحال في وصف الطبيعة المبالغ فيه في بعض المواطن، وصف الأطعمة والأشربة في أبياتهم الشعرية، وعلى مستوى الكتب، فقد أُلفت مصادر كثيرة في الطبخ والمطابخ والألبسةِ،

---

(1) ديوان عبد الجليل بن وهبون (الشاعر وشعره)، رسالة ماجستير، إعداد الطالب سعيد أحمد محمد الغامدي، بإشراف أ.د.حسن عبد الكريم الوراكلي، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى - كلية اللغة العربية - قسم الدراسات العليا : 192 (الوافر)

(2) المصدر نفسه : 192.

(3) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :4: 698.

نحو كتاب (الطبيخ في المغرب والأندلس- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، وكتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان- علي بن محمد بن رزان التجيبي، وكتاب الطبيخ الأندلس).

هذهِ العناوين هي التي مهّدت الطريق لوصول صفة الترف إلى الفكر الأندلسي، ولكن هناك بعض المُسببات ساهمت أيضاً في ظهور الترف الفكري، و منها " إنتشار المكتبات والكتب في جميع أنحاء البلاد، وكَثُرَ عشاقها، وكَثُرَ التأليف والمؤلفون،وأصبحت متاحةً للجميع من دون عناء في كل مجالات العلوم والأديان،"[1] فقد " بلغ عدد الكتب في قرطبة فقط أربعمائة (400) ألف كتاب، في زمن لم تظهر فيه المطابع والطباعة بعدُ، كانت المداولة عن طريق النسخ اليدوي[2]، ونرى أن الطبقة الحاكمة " شجعوا واستقبلوا هذهِ الظاهر، وشاركوا الشعراء والأدباء والمفكرين في مجالاتهم "[3]، لهذه الظاهرة جانب سلبي كما أنّ لها جانباً إيجابياً، فاستقبال وتشجيع كل هذا التوسع بدون ضابطة فكرية أو ثقافية جعل من القاصي والداني الدخول في مجال الفكر والتأليف، للحصول على الجوائز والهِبات من ذوي السلطة، هذا ما جعل الترف الفكري يتفشى في المجتمع الأندلسي.

كان لنموذج الترف الفكري الأثر الواضح على الأندلس، وهناك نموذج آخر للترف المعنوي اصطلحنا عليهِ :

▪ الترف النفسي

يمكن تعريف هذا المصطلح بأنه التوهّمات الداخلية التي تضع صاحبها في قوقعة التعالي والتبجح والتكامل المتفرغ من معناه.

ولعل أبرز نموذج لهذا النوع من الترف الطبقة الارستقراطية والبرجوازية، والذين يمثلون قمة الهرم المجتمعي في نظر أفلاطون [4].

---

(1) يُنظر مجلة معهد المخطوطات العربية، اهتمام المسلمين في الأندلس بالكتب، خوليان ريبيرا، ترجمة: جمال محرز : 86.

(2) ينظر الكُتب والمكتبات في الأندلس، دكتور حامد الشافعي دياب، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1998. : 112.

(3) يُنظر مجلة معهد المخطوطات العربية : 86.

(4) ينظر مقدمة قصيرة جداً (الأرستقراطية)، ويليام دويل، ترجمة زينب عاطف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، ط1- 2016 : 11.

إن هذه الطبقة توهمت بأنّها النُخب التي يجب أن تكون فوق البسطاء، ولذلك نرى أفلاطون يجعل أحد صفات هذه الطبقة أزلية الوجود والتفوق العسكري [1]، وقد تمثلت هذه الطبقة بالمجتمع الأندلسي بالحكامِ وبعض الأغنياء والإقطاعيين.

تفاقم التوهّم في نفوس هذه الطبقة إلى أنْ وصل بهم التعالي أن تكبروا على جُلِّ الناس، وهذهِ الريح نشمها في حركاتهم وسكناتهم وما هدر بهِ لسانهم، ومن أمثلة ذلك قول يوسف الثالث، وهو يرى بنفسه السمو والعلو والتعالي على كل الوجود، حتى الخير لا يأتي إلأ من بين يديه، والنفع والضر منحصرٌ فيه، فيصدح قائلاً :

ألســـتُ ســـليل الصّـــيد من آلِ حمير وخـير مـلـوك الأرض قـومـاً ولا فـخـر

لنا المنصـــب الأعلى على كل منصـــب لنـــا الـعـزة الـقـعـســـاء والـغـرَر الـغـرّ

لنا الـهـضـــبة الشـــماء ســـامية الذَرى لنـــا الرايَـة الحمراء يهفو بهـا النصـــر

لنـــا الملـك والتمليـك والعز والعلى لنـــا الجبر والإعـدام والنفع والضـــر

مكـارم أعيـتْ كـلَّ من رام حَصـــرهـا وهيهات ما للشـــهب في أفقها حَصـــر[2]

فتعالت أنفةُ الترف في نفوسهم إلى أن ألبسوا نفوسهم هذهِ الصفة، وعندما قسم أفلاطون النفس إلى أنواع، نعَتَ الداخلين في الترف النفسي بأصحاب النفس العاقلة، ومن يحيطون بهم ويحمونهم من قادة وحرس بالنفس الغضبية، وعامة الناس من الشعب بالنفس الشهوانية [3]، بذريعة أنهم محتاجون دائماً لأصحاب النفس الأولى [النفس العاقلة]*.

---

[1] ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، تح. عبدالله كنون، معهد مولاي حسن، تطوان-المغرب : 79-80

[2] ديوان الشاعر يوسف الثالث :63.

[3] يُنظر مقدمة قصيرة جداً (الأرستقراطية) : 32.

▪ الترف في الإنفعالات الحميميةَ :

وهذا النوع من الترف في المضمار المعنوي قد ساد وانتشر في المجتمعات، في السابق والآن، فإن الحوائج الداخلية للإنسان جعل الله قضاءها في ضمن قوانين وحدود، وجعل لتعادل هذهِ الإنفعالات طرفين، الطرف الأول يمثلهُ العنصر الذكوري والطرف الثاني يمثلهُ العنصر الأنثوي، وعلى هذا القانون جرى كبحُ هذهِ الإنفعالات.

ولكن حين ما تتعدى الإنفعالات الحميمية هذا القانون بتغيير طرفي المعادلة فهنا يقع الترف الحميمي، أو الترف الجنسي.

عندما يدخل الترف في علاقة هذهِ الإنفعالات يحول طرفي المعادلة من عنصر ذكري وعنصر أنثوي، إلى عنصرين ذكريين أو عنصريين أُنثويين، يفضي أحدهما بالآخر تلك الإنفعالات، وهذا ما شخصهُ القرآن الكريم والسنة النبوية، وأُصطلح عليهِ (اللواط و السحاق)، وحُدث هذا المصطلح في الثقافة الغربية ليطلق عليهِ (العلاقة المثلية أو المثليون).

وكانت هذه الظاهرة لها صداها الواسع في المجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الأندلسي خاصة.

عاشت ممارسات المثلية في العصور الإسلامية الوسيطة وانغمس كثير من الشعراء وعدد من الخلفاء في المثلية والغلمانية، ففي العصر العباسي الأول كان الشاعر والبة بن الحباب المُلقب بـ(شيخ الماجنين)، أحد أركان هذهِ الظاهرة، ومن حذى حذوه غلامه وتلميذهُ أبي نواس.

ومن شعراء هذا المجال " صفي الدين الحلي والذي عرف بحبهِ للغلمان و قصيدته (الحمضيات) التي وصف فيها ما يكون من ممارسة هذهِ المنكر مع الغلمان، وحمادة الراوية، وابن إياس الذي عاشر العهدين الأموي والعباسي"[1]

*النفس العاقلة : مركزها الراس هي مسوؤلة عن التفكير وتختص بالانسان دون غيره، وهي احدى تقسيمات افلاطون للنفس البشرية / مقدمة قصيرة جدا (الاستقراطية).

[1] ينظر الغزل بالمذكر في الشعر الأندلسي - بواعثه وخصائصه -، م. م. جنان خالد ماهود، جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية : 513-514.

أما الأندلس فقد احتل الغزل بالمذكر جزءاً كبيراً من الشعر الأندلسي، فقال فيه الكثيرون، أمثال إبن سهل الأشبيلي، وابن زهر أبو بكر الإشبيلي وابن البني، وابن شهيد الأندلسي.

فنجد أن هذا النوع من الترف الذي أحد نماذجه التغزل بالمذكر" كان ظاهرةً متفشيةً في الأندلس ومجتمعها، حتى هؤلاء الذين ترتبط أسماؤهم بصفات الوقار [كما ينقل التاريخ] قد تورطوا في إنشاء شعر الغزل للغلمان" [1]، أمثال ابن حزم الأندلسي، عندما " مر يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الإستيعاب بسكة الحطابين من مدينة أشبيلية، فلقيهما شاب حسن الوجه جميل القامة، فقال أبو محمد ابن حزم : هذهِ صورة حسنة وهو على إستلذاذٍ به، فقال له أبو عمر : لم تر إلا الوجه، لعل ما سترته الثياب ليس كذلك، فقال ابن حزم إرتجالاً"[2]:

وذي عذل فيمن ســـباني حســـنه يطـيـل مـلامـي فـي الـهـوى ويـقـول

أمن أجـل وجــه لاح لم تر غيره ولم تــدر كيف الجســـم أنــت عليــل

فقلت لـه أســـرفت في اللوم فـاتئـد فـعـنـدي رد لـو أشـــاء طـويـل[3]

هذهِ النتائج لابد له من مُقدمات تبعث على تفشي هذهِ الظاهرة، ومن هذهِ البواعث :

- **الباعث الفني**

يطرح بعض الدارسين رأياً بأن سبب الدخول في هذا المضمار هو سبب فني، فيقول الشاعر الأندلسي في هذا الغرض لإثبات مقدرتهِ الشعرية والفنية، محاكاةً لمشاهير الشعراء الباقين في هذا الموضوع من الشعر[4].

---

[1] الأدب الأندلسي - موضوعاته وفنونه -، د. مصطفى الشكعة، دار الملايين، بيروت - لبنان : 54.
[2] ينظر نفح الطيب :2: 82
[3] المصدر نفسه: 2: 82.
[4] ينظر الغزل بالمذكر في الشعر الأندلسي : 517.

- **الباعث النفسي**

يُشخص هذا الباعث على أساس نزعة نفسية مرضية تتمثل بولههم وعشقهم للغلمان والتعبير عن هذا الحب الشاذ شعراً[1]، وهذا يمثل الإنحدار بالنعم وصولاً إلى مرحلة الترف الجنسي.

- **الباعث الإجتماعي**

إذا كان ما سلف من بواعث [فني - نفسي] ساهمت في بروز شعر الغزل بالغلمان فإن " تقبل المجتمع الأندلسي له قد ساعد وشجع على شيوعهِ بوجه لافت للإنتباه، ويمكن إرجاع ذلك إلى الترف نعم بهِ قسم كبير من الأندلسيين" [2]، متتبع هذهِ الظاهر في المجتمع الأندلسي يجد أن هذهِ العادة قد أصلحت جزءاً بارز من كيان الأندلس، و " هذا ما أوجده الترف في المجتمع الأندلسي، فمن مفاسد الحضارة الإنهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف، فيقع التفنن في الشهوات والملذات، ومن ضمنها ذلك التفنن بشهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط" [3].

الترف في الإنفعالات الحميمية أو ترف الجنس، هو أيضاً أحد مضامين الترف المعنوي التي انغمس فيها المجتمع الأندلسي، وغزل الغلمان واللواط بهم هو مظهر من مظاهر هذا الترف، جرفهُ إليهم إسرافهم بملذاتهم وبعدهم عن جادة الصواب المُتمثلة بالقوانين الإلهية.

- **الترف الوراثي**

هذا النوع من الترف المعنوي يعبر عنه بأنهُ منظومةٌ مُترفةٌ من العادات والتقاليد المُتمثلةِ بالتراث الثقافي للفرد، وتبرز فعالية هذا النوع في الحركةِ الوراثية للصفات النرجسية أو ما يصطلح عليه ب(الوارثة النرجسية)، فما إكتنزهُ الآباء من هذهِ الصفات ورثهُ الأبناء.

---

[1] ينظر الغز بالمذكر في الشعر الاندلسي : 516.
[2] الأدب الأندلسي - موضوعاته وفنونه - : 53.
[3] ينظر تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت لبنان:1: 311.

أصحاب الصفات النرجسية يوصفون بحبهم العميق لذواتِهم، والصفة العامّة لهذا المصطلح "الأنانية"، إذ إنّ الإنسان النرجسي يرى نفسه الأفضل في كل شيء مهما كان، ويضع الآخرين بمكانة أقل منه ويرى نفسه محور الكون .

وهذا النوع ساد في كثير من المجتمعات لاسيما في المجتمع الأندلسي في طبقة الأمراء والملوك والرؤساء والأعيان وبيوتات الأسر المعروفة والمشهورة في الأندلس.

فتراهم يفتخرون دائماً بأفعال آبائهم وأجدادهم ويجسدون ذلك في أقوالهم من " الخليقة الفردية في الوفاء و المروءة و العزة و الكرامة و غير ذلك من الشّيم الرفيعة كما يتغنون بعصبيتهم القبلية والقومية و بأسهم و شجاعتهم الحربية التي يسحقون بها أعداءهم" [1]، فهذا المستنصر بن الناصر يفخرُ بأصلهِ ونسبهِ وبصفات الملك والأبهة التي تنتقل لمواليدهم، فينشدُ قائلاً :

ألســـنـــا بنى مروان كيف تبـدّلـت بنـــا الحـــال أو دارت علينـــا الـــدوائر

إذا ولـــــــد المولود منـــا تهلّلـت لـــه الأرض و اهتزّت إليـــه المنـــابر[2]

فهذان البيتان هما نموذجان لهذا النوع من الترف، فأنّ القائل هنا يفخر بالصفات المترفة من المُلكِ والأُبّهةِ التي يتوارثها الأبناءُ من الآباء والأسلاف.

عند دخول الأندلس في هيكلية صفة الترف المتمثلة بالترفِ في الطبيعةِ والترف المادي و الترف المعنوي جعل من الأندلس أيقونة للترف.

فقد اشتملت على الصفات المترفةِ من كلِّ جانب، فتاريخ الأندلس و موقعها الجغرافي وظروفها البيئية والمناخية الملائمة نحتت لهذهِ الأرض طبيعةً مترفةً في كل معالمها الطبيعة تقريباً، و مازادَ من دخولها في هذهِ الصفة انغماسها في المظاهر المادية من مبالغة في العمران وكثرة الثروات الزراعية والمعدنية وما درَّ عليها من تخمة الإقتصاد في القطاع التجاري والصناعي، والتأثر المجتمعي بصفة الترف ومظاهره الحسية المبثوثةِ في العادات والتقاليد والطبائع، وتوغل

[1] يُنظر عصر الدول والإمارات في الأندلس، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط1- 1989: 210.
[2] نفح الطيب :3: 558.

ذلك الانغماس في المستويات المعنوية من ترف فكري ونفسي و وراثي وحتى في مستوى الإنفعالات الحميمية.

ريادة الأندلس في صفة الترف قد جعلت لمواطنها نفس الريادة في مستوى هذه الصفة، فجرى تأثير الترف في صفاتهم الجينية والحركية والمزاجية، ولعل هذا التأثر جارٍ في معظم طبقات المجتمع الأندلسي.

في هذا الفصل تحقق طرف المعادلة الأول من معادلة الأنساق المضمرة في النقد الثقافي، المتمثلة بواقع المحيط الخارجي للنص ومُلقيه، والذي عن طريقه نعمد إلى استظهار الأنساق المضمرةِ في نصوص إحدى طبقات المجتمع الأندلسي المتمثلةِ بطبقة الملوك والأمراء، فكما جرى تأثير صفة الترف في صفاتهم وطبائعهم البشرية فقد جرت في ألسنتهم وألفاظها بشكل عام وعلى نِتاجهم الأدبي المتمثل بنصوصهم الشعرية بشكلٍ خاص، ومن ثم يأتي طرف المعادلة الثاني الذي نستقرئ فيه أنساق الترف المضمرةِ في تلك النصوص بمنظورٍ قرآني واضح يشتمل على معظم المفاهيم المضمرةِ لأنساق الترف، هنا تكمن أهمية الطرف الأول المتمثل بالترف في الأندلس.

الفصل الثاني

الأنساق القرآنية باعتبار المُترَف وبواعثهِ

- المبحث الأول : التعلق القلبي.
- المبحث الثاني : التكاثر والتفاخر.
- المبحث الثالث : فساد العقيدة.

▪ الفصل الثاني : الأنساق القرآنية باعتبار المُترف وبواعثه

بعد الإلمام بواقع النص ومُلقيه المتمثل بالنتاج الشعري للملوك والأمراء في الأندلس وما أحيط به من تأثيرات الترف في الجانب الطبيعي والآخر المادي وكذلك المعنوي، وكان العرض السابق لأحوال الترف في الأندلس معرفاً لشدة تأثير الترف على ملقي النص من ملوك وأمراء في الأندلس وعلى نتاجهم الشعري، و هذه التراتبية من تأثيرات الترف على الثقافات جلعت النقد الثقافي يرى أن خلف جماليات وفنيات هذه النصوص أنساقاً تطابق الواقع المترف الذي هم عليه ولا توافق تلك الجماليات، وقد وظّف ذلك القرآن الكريم عن طريق طرح الأنساق الثقافية القرآنية للترف الكامن في أبياتهم الشعرية وتصوير بواعث الترف في تلك المضامين من تعلق قلوبهم بالشهوات، وتفاخرهم وتكاثرهم بها ثم يبعث ذلك إلى فساد العقيدة عندهم وفي واقعهم، وهذا ما سنراه متجليا في المباحث القادم العارضة للأنساق القرآنية الثقافية الكامنة خلف جماليات تلك النصوص والعارضة لحقائق حياة مُلقيها.

المبحث الاول : التَّعَلُّق القلبي

قد أطّر القرآن الكريم منظومةً تراتبيةً متوازنة لمستوى مُضمرٍ من مستويات أنساق الترف، وبناء على ما ورد في القرآن الكريم يمكن أن نطلق على هذا النوع من الأنساق بنسق التعلق القلبي، وهذا النسق قد صوّرَ ظاهرة الترف الكامنة في نتاج شعر الملوك والأمراء في الأندلس بقراءة جديدة تجمع النص الإبداعي مع الانثروبولوجيا المحيطة بالمُلقي والنص، وتصف لنا واقع ذلك النص بذوقٍ ورؤيةٍ قرانيةٍ، تظهر لنا مقدار تعلق صفة الترف في قلوبهم وكيف ظهرت على سلوكهم وأبياتِهم.

ويبدو من النقاط الفاعلة التي جعلت هذهِ الظاهرة مُتجذرةً فيهم هي أنهم علقوا قلوبهم بأمورٍ تبعدهم عن الحقائق الإلهية، فتراهم قد ذهبوا بعيداً بتعلقهم بزهرة الحياة الدنيا وتقديم حبها وما تحوي من ملذات على حب العدالة والحقيقة المتجسدة في حب الله عز وجل، فعندما خلت تلك القلوب من المعاني السامية الصحيحة ومُلئت في المقابل من معاني صفة الترف التي زرعت فيهم مظاهرها من إسراف وتفريطٍ بالنعم أدت بهم هذه الحال إلى الغفلة وتشتت القلوب وذلك قول الله فيهم :**﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾**[1]، فهذا التعلق يبني القلب على مفرداتٍ زائفةٍ من مُتع الدنيا، وهذا ما أشارَ إليه الحبيب محمد (صلى الله عليه وآلهِ وسلم) مراراً وتكراراً، إذ يقول : **(من تعلق قلبه بالدنيا تعلق قلبه بثلاث خصال: هم لا يفنى، وأمل لا يدرك، ورجاء لا ينال)**[2]، فظاهرة الترف عندما تهيمن على عرش القلب تجعل صاحبها كالراكضِ وراء سراب، يرى نفسهُ مستحوذاً على الدنيا وهي غاية الكمال بما تحويهِ من مُتعٍ وترفْ، فلا هو ببالغٍ ذاك الكمال المزعوم بقلبهِ ولا الدنيا لها صلةٌ بالكمال، وكفى بإسمها [الدنيا] تعريفاً لها، فالمترفون الذين يظنون بأنهم مَلكُوا الكمال بإتبعاهم مُتع الدنيا قد وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قائلاً : **(المستمتعون بالدنيا تبكي قلوبهم وإن فرحوا يشتد مقتهم لأنفسهم وإن اغتبطوا ببعض ما منها**

---

[1] سورة الكهف : 28

[2] ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تح. ونشر دار الحديث،قم - ط1- 1416ه :2: 897.

رزقوا)[1]، وهذا البكاء كنايةً عن أن تمتعهم وترفهم بمتع الدنيا ما هو إلا وهمٌ وسراب وهو نتيجة ذلك التعلق والتي صورها لنا القرآن قائلاً: **﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [2].

فحُكم القرآن الكريم ورؤيته لظاهرة الترف في هذا النسق إنطلقت من الداخل بتعلق القلب بشهوات الترف حتى ظهرت على الجوارح في الخارج، فاتباع طبقة الملوك والأمراء لمظاهر الترف في هذا الموطن هو الذي جعل هذهِ القلوب مترفةً، فذلك الإتباع يُحتم في نظريتهِ أن يكون من الداخل إلى الخارج، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقولهِ تعالى **﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾**، فلما أشربت قلوبهم بهذا الترف تعلقت واتبعت مظاهره ومُتعه فصار القلبُ حينئذٍ رهينَ تلك الظاهرة، ومحصلة هذا التعلق هو الحرص على الدنيا وإيثارها على الآخرةِ، وذلك ما حكاه اللهُ في كتابهِ االمجيد قائلاً **:﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۝وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾** [3]، هذهِ المنظومة من الرؤى القرآنية المتناسقة التي من خلالها تتم قراءة النص الإبداعي المُتجسد بأبياتهم الشعرية وتُظهر لنا ظاهرة الترف التي تعلقة في قلوبهم حقيقةً متجذرةً بالنص الإبداعي بواقعِ المؤلف المزدوج كما أصطلح عليه الغذامي فصار الأدبُ العربي بهذهِ القرآءةِ للنص الأدبي أكثر نضوجاً و وضوحاً من القراءآت والدراسات السابقة، ومن هنا كان لنسق التعلق القلبي ركيزة وضعناها لقرآءة نسق الترف في تلك الأبيات بمنظومةٍ قرآنيةٍ متراتبة مع الواقع المحيط بذلك النص، ونعرض من خلال هذهِ الركيزة النسقية بعضاً من مظاهر نسق التعلق القلبي ليتضح لقارئ تلك الأبيات كيف أفسدَت هذهِ المظاهر القلب بتغلغلها فيه، فبات صاحب هذا القلب لا يظهرُ من سلوكهِ وكلامهِ إلأ ما كان في القلب من تلك المظاهر الزائفة المدعوةِ بالترف، وهذهِ الركيزة هي (حبُّ الشَّهَوَات) .

يَعْلقُ القلبُ في مصيدةُ حب الشهوات عندما يَهِنُ عن مفاهيم الخط الغيبي السامية، ولو استقرأنا برؤيةٍ علميةٍ أهم النقاط التي ينطلق منها حبُّ الشهوات لوجدنا أن المصدر الذي ينطلق منهُ هذا

---

[1] مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليه السلام، محمد بن طلحة الشافعي، تح. ماجد ابن أحمد العطية، طبعَ إشراف السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة البلاغ : 260

[2] سورة النور : 39

[3] سورة الأعلى : 16-17

الحب يقع على أربعة وهي : (حب السلطة المُلك، حب الوجاهةَ، حب المال والإسراف بالعطاء، حب الجنس بطرفيها الذكوري والأنثوي مضيفاً إليها إمتداد النسل)، [وهناك عنصرٌ آخر يعتبرهُ بعضهم من ضمن هذهِ الشهوات، وهي غريزة الإنسان الكامل أو الكمال، وهذا العنصر لا ينسجم مع هذا المربع، لأن الكمال صفةٌ أرادها الله لنا وأحبَّ المُتصفين بها، بشرط أن يكون بعيداً عن هذهِ المصيدة الرباعية وأن لا يقع فيها]، فهذا المربع هو الخيط الرئيسي التي تَنسج منه الشهوات مصيدتها للقلوب، ولو أحصينا الشهوات الموجودة في سايكلوجية وتكوين العنصر البشري لما وجدناها تتعدى هذا المربع، وكلُّ ما هو مُتفرعٌ من حبِّ الشهوات يندرج تحت سقفِ ذلك المربع. وهناك أمرٌ لابد من الإشارةِ إليه قبل السبر في أغوار المفهوم وهو التركيز في كلامنا على قضية (حبُّ الشهوات) وليس (الشهوات)، وذلك لأن الشهوات هي غريزةٌ تكوينيةٌ بيولوجيةٌ في البشر جُعِلَتْ فيهِ من قبل الخالق وهذا ما يعبر عنه بأن الإنسان مجموعة من الحاجات، بمعنى آخر أن المعول عليه في هذا النسق ليس الشهوة البيولوجية للإنسان وإنما تحول هذا الشهوة إلى أيديولوجيا مقيتةٍ في الإنسان، إلى أن يصبح الإنسان عبداً لهذهِ الشهوة لِما أُشرِبَ من حبها، فالنقد يكون على النسق المضمر لهذا التعلق وليس للشهوة التي تعد جزءاً من طينة التكوين الأول، وهذه هي من النقاط الفاصلة التي تجعل الإنسان يرتقي على الصفات الحيوانية، فإذا خضع قلبهُ لهذا المربع في حبَّ الشهوات كان كما وصفهُ الله في كتابهِ المجيد : **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾**[1]، فالقلبُ عندما ينتكس بتعلقهِ بهذا المتاع الزائل يكون قد غَيّبَ (العقل) وحجبهُ عن مُلهمهِ وأطفأ نورهِ، وذلك قول الله عز وجل في حديثٍ قدسي يخاطبُ بهِ نبي الله داود عليه السلام قائلاً: **(يا داود احذر القلوب المعلقة بشهوات الدنيا فإن عقولها محجوبة عني)**.[2] وهذا المعنى قد ركز عليه القرآن في آيةٍ جمعت في ظاهرها اللفظي وباطنها الدلالي كل مناحي الشهوات للعنصر البشري، ونجِدُ ذلك في قولهِ تعالى : **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ**

(1) سورة الفرقان :44.

(2) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تح. عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط2- 1983م. : 14: 39.

الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1]، فقال (حبُ الشهواتِ) ولم يقل (الشهوات)،ولو قال الشهوات لما قدَمَ الأفضلية في نهاية السورة، لأن ليس من العدالة الإلهية أن يجعل الله في الإنسانِ أمراً قهرياً وهي حاجة الشهوة ثم يجعلها في تدني المفاضلة ويلزم بذا تركها والإعراض عنها، ولذا فإن علة الوصول إلى جادة الصواب لا يكون بترك الشهوات إنما بتركِ حبِ الشهوات، وقد أشار أمير البلغاء الإمام علي عليه السلام لهذا المعنى الدقيق في قولهِ المليء بالحكمة مُختصراً لنا المفهوم قائلاً : **(ليس الزهد أن لَا تُمْلَكُ شَيْئًا، بل الزهد أن لَا يملكك شَيّ)**[2]، فخلاصة القول تكمنُ في عدمِ تعلق القلب بالشهوات وإرساخِ حبها فيهِ وليس في الشهوات نفسِها، ولكن ما فعله الملوك والأمراء الذين نحن بصددِ دراسةِ أبياتهم أنّ هذه الشهوات ملكت كلَّ وجودِهم فكانوا عبيداً لها ومنقادين لمظاهرها فما كان من الترفِ إلا أن يطليهم بهالتهِ، ويجرنا ذلك القول إلى تلك القصة التي إستقى مؤلفها هذا المعنى من قول الإمير ونسج عليه تلك القصة، فقد " قرأ أحدهم كتاب "تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، المعروف بـ(مجموعة ورّام) وهو من تأليف العالم الرباني (ورام بن ابي فراس) المشهور بالورع والتقوى وخدمة الناس. فأراد القارئ أن يختبر المؤلف ويطلع على حياته وسيرته عن قرب ومدى تطابق سيرة الكاتب مع ما جاء من تعاليم وأفكار في الكتاب. فالتقاه جالساً في قصر كبير وحوله الخدم، فقال لـه (القارئ) مستاءً: إنك نصحت بالتزام الزهد والتقوى في كتابك، وأراك تملك ما لا يملكه إلاّ الأثرياء؟! فقال له العالم: إن الزهد أن لا يملكك شيء، لا ان لا تملك شيئاً. فقال له (القارئ): وما دليل قولك هذا؟

قال: تعال معي لنذهب خارج المدينة، بعيداً عن كل هذه الأموال والأملاك.. نعبد ربنا عز وجل. فوافق العالم على هذا الاقتراح، فأخذ من ساعته بيد ضيفه إلى العراء وهمّا بالخروج من المدينة، ولكن (القارئ) استوقفه قائلا: لقد نسيت مسبحتي في قصرك، وأنا لا أقدر على العبادة دونها (!) فقال له العالم ورّام: إنك تعجز عن ترك مسبحة لا تساوي من المال شيئا، وقد خرجت أنا من كل ما أملك دون ان يخطر ذلك على بالي هذا هو حقيقة الزهد، كما قال أمير المؤمنين الإمام

[1] سورة آل عمرآن :14.
[2] ميزان الحكمة :4: 2990.

علي بن ابي طالب عليه السلام: " ليس الزهد أن لا تملك الشيء وإنما الزهد أن لا يملكك الشيء " فتركه وانصرف..."[1].

وهناك نموذج آخر ذُكِرت قصتهُ في القرآن الكريم والتوراة [العهد القديم - الكتاب المقدس][2]، وهو (بلعم بن باعورا)، وقصته بإختصار هو رجلٌ من بني إسرائيل في الثقافةِ اليهوديةِ يقولون إنه كان عبداً صالحاً ونبياً ولديه وحي من الله في بادئ الأمر ولكن عندما استعمل هذهِ النعمة للحصول على شهوات الدنيا سُلبت منه [3]*، وفي الثقافة الإسلامية حُكيَّ عنه انهُ كان يملك الإسم الأعظم فعندما إستعملهُ لتحصيل متاع الدنيا وشهواتها سُلب منه [4]،وذلك قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾[5].

فهذا النموذج وغيرهُ من النماذج الذي تعلق قلبهُ بالدنيا إلى درجة أخلد إلى الأرض من أجلِّ حبهِ لشهواتهِ.

فمن منطلق نسق التعلق وعلى غرارِ مربع الشهوات [شهوة حب السلطة والمُلك، شهوة حب الوجاهةَ، شهوة حب المال والإسرافِ بالعطاء، شهوة حب الجنس بطرفيها الذكوري والأنثوي مضيفاً إليها حبَّ إمتداد النسل] سوف تُظهر لنا تلك الأنساق المضمرة في أبياتهم شدة تعلق قلوبهم بتلك الشهوات والتي جعلتهم مُتلبسين بصفة الترف بشعورٍ منهم أو لا شعور.

كلُّ ضلعٍ من أضلاع هذا المربع سيفتحُ لنا باباً من الأنساق المضمرة للترف فنرى من خلال تنافر تطابقية جمالية النص و واقعيتِها في قلوبهم، فنسق التعلق القلبي والذي بؤرتهُ حبُ الشهوات سيكون بمثابة مجهر الإختبار الذي يكشف واحداً من جوانبِ الترف المعلقةِ في قلوبِ تلك الطبقة،

---

(1) الإسلام حياة أفضل، السيد محمد تقي المدرسي،منشورات محبان الحسين عليه السلام، قم-ايران، ط1-2007م : 52

(2) يراجع الكتاب المقدس (العهد القديم) : سفر العدد : إصحاح 22 وما بعده.

(3) يا أهل الكتاب، علي محمد علي دخيل، الأمانة العامة للعتبةِ الحسينية المُقدسة،العراق-كربلاء، ط1- 2017م :303 ومابعدها.

* هذا التعريف لبلعم بن باعورا المنقول عن ثقافتهم هو كثير المُغالطات لو عرضناهُ على الدلائل النقلية والعقلية، وذلك حاشا لله أن يصطفي أو ينتخب نبياً ولا يعرف عواقبَ أمرهِ إلى ماذا تؤول، ولذا فتعريفهُ في الثقافة الإسلامية أقرب بأنهُ كان صالحاً وانحرف.

(4) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تح. السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران،ط3-1404ه :1: 248

(5) سورة الأعراف : 175

فيظهر لنا كل ضلع من أضلاع هذا المربع مظهراً للترفِ أضمرتهُ لنا أبياتهم الشعرية، ومن الأضلاع :

1. حُبّ السُّلْطَة والْمُلْك:

كثيراً ما تبرزُ هذهِ الخصلةِ عند المتكبرةِ قلوبهم، فتراهم مُستعدين لتمزيق كل الحجب والمبادئ التي تعيقُ تحركهم نحو هذهِ الشهوة، فلا يَكْبرُ في قلوبهم إلا حب السلطنةِ واعتلاءِ صهوة الملك، فيضعون أُسرهم ومجتمعاتهم و وظائفهم وشؤونهم الحياتية في مضمار الفداء للوصول لعرش هذهِ الصفة وثباتهم عليها، وهذه الأعراض هي التي جعلتهم معلقين بنياط منظومة الفساد وظلم أنفسهم و رعيتهم، وكما برزت صفات هذا الجانب في أفعالهم وحركاتهم، فقد ظهرت أيضاً في مخفياتِ ألفاظهم، فما عَلق بالقلب من آثار أُخرج في فلتات اللسان.

فبرزت تجليات نسق التعلق القلبي بشهوة حبهم للسلطةِ والمُلك وبدا ذلك في أبياتهم [ملوك وأمراء الأندلس]، فهذا يوسف بن محمد ثالث ملوك بني الأحمر والذي كان على صراع مستديم مع أخيهِ من أجل السلطة[1]، وكانت أنفةُ تبجحهِ وولعهِ بالسلطةِ تُرى في أغلب أقوالهِ، ولا يرى لغيره الكفاءة بالملك، ويتضرع إلى الله أن يدوم هذا الملك، فينشدُ قائلاً :

أنـــا اليـــوسُـــفـــي الملك صدقاً إذا بدا تـراجـعُ أحـزاب العـدَا وانـهـزامـهـا

ومـــا المُـــلكُ إلا مـــلكُ دولتـيَ التـي مـنَ الله أرجـو أن يـطـول دوامُـهـا[2]

ويقول في موضعٍ آخر مفتخراً بمكارمهِ التي يعتبرها مستحيلة العد لكثرتها، ونسي أن من مدح نفسه ذمها :

[1] ينظر اللمحة البدرية في الدولة النصرية : 48-54.
[2] ديوان يوسف الثالث : 150

أنـا يوســفٌ واليوســفيُّ صــفـاتُـه إذا عـزَّ نـيـلٌ فـالـمـواهِـبُ نـيـل

أنـا يوســفٌ والصـــدق يشـــهـد أنني على الخلق ظِـل في الهجير ظليـلُ[1]

وقول المعتمد حين استولى على قرطبة :

مَن لِلمُلوك بِشـــأو الأَصـــيَد البَطَل هَيهـاتَ جـاءَتكم مهـديـة الـدولِ

خَطَبتُ قَرطبـة الحَســناء إذ مَنَعَت من جـاءَ يَخطُبُها بـالبيض وَالأَسَـــلِ

وَكَم غَدَت عاطِلا حَتّى عَرضـــتُ لَها فَأَصـــبَحت في سُـــرى الحُلي وَالحُلَلِ

عِرسُ المُلوك لَنا في قَصـرِها عُرُسٌ كُـلّ المُلوك بِـهِ في مَـأتَم الوَجَـلِ

فَـراقِـبـوا عَـن قَـريـبٍ لا أَبـا لَـكُـمُ هُجوم لَيثٍ بِدرعِ البأس مُشـــتَمِلِ[2]

وكذلك قول إسماعيل ابن الأمير أبي سعيد فرج وهو يصرح بأن كل همتهِ وأمله هو الملك والسلطان :

ولو علموا مـا يقتضـــي بعد همّتي لـخـرّوا أمـامـي كـلـمّـا لـحـت ركّـعـا

ولـعـت بـحـمـراء الـبـلاد ولـم يـكـن فـؤادي بـحـمـراء الـخـدود لـيـولـعـا![3]

---

[1] المصدر نفسه : 132.ق

[2] ديوان المعتمد بن عباد : 65-66 .(البسيط).

[3] نثير الجمان : 82.

أراد بحمراء البلاد دار الملك بغرناطة، ونرى كذلك (الأنا) السلطوية متضخمةٌ عندهُم، ونراها تسحب بقلوبهم لتجرّهم إلى الإعتقادِ بأن ملكهم وسيلة تجعلهم يستعبدون الناس، وهذا ما أظهرتهُ مضمراتِ القلوب في فلتات لسانِ الحكم بن هشام طاغية الأندلس المعروف، فيجعل من بذخ العطايا بغية لتقيد رقاب الرعية وملكهم، فيأنفُ قائلاً :

البـذلُ لا الـجـمـع فـطـرة الـكـرمِ فلا تـردِ بـي مـا لـم تـرد شـــيـمـي

مـا أنـا من ضـــيـعـةٍ وإن نعمـت حســـبي اصـــطنـاع الأحرار بـالنِّعمِ

مـلـك الـورى والـعـبـادِ قـاطـبـةَ لا مِلك بعض الضـــياع من هِممي[1]

لا غرابة في حب الحكم للسلطةِ فهو الذي كان يشبهونه بـ المنصور العباسي لشدة بطشهِ وفتكهِ في العباد والبلاد وتسلطهِ على رقاب الناس، وكان معروفاً بكثرةِ الحشمِ والخدم والأحفاد، وغزارة مفاخر الدنيا[2]، مما جعله "طاغياً مسرفاً وذو آثار قبيحة " وهذا ما وصفهُ به الحميدي في جذوة المقتبس [3]، كل ذلك يعود لطغيان سمة الترف فيهم بحبهم للسلطة التي جعلتهم كالوحوش الجائعة للفطائس والجيف، فترى الولد يقاتل أبيهِ من أجلها والأخ يقتل أخيه في سبيلها، ولا ينفكُ هذا " الشقاق بين ورثة المُلك وشهوة السلطان، إلى أن يصل بهم لِأن يستعينون بعدوهم للفتكِ ببعضهم على بعض"[4]، وهذا الواقع هو نتاج تكبرهم وغرقهم بالملذات التي أدرتها خلافة الناس عليهم وتسلطهم على الضعفاء، وهذه المظاهر المتمثلة في نصوصهم الشعرية قد شخصها القرآن الكريم بعدّة قراءات، فكان المجهر القرآني لمضمراتِ هذه الأبيات قولهِ تعالى :

---

[1] الحلة السيراء : 1: 43.

[2] ينظر المغرب في حلى المغرب، علي بن موسى بن سعيد،تح.شوقي ضيف، دار المعارف العربية، مصر :2: 38.

[3] جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبوعبدالله محمد بن فتوح الحميدي، تح. بشار عواد معروف - و محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامية، تونس، ط1 - 2008 : 30.

[4] يُنظر الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز محمد عيسى، مطبعة الإستقامةِ، مصر - القاهرة، ط1-1936م : 24.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [1]

فقد مَنَّ الله على خلفاء الأندلس بعظيم النعم الدنيوية إلا أنهم صيّروا تلك النعم ترفا و اسرافا، وخالفوا شرط العدالةِ بالرعية فعاثوا في الأرضِ مُفسدين، وما أبرز تلك الرؤية القرآنية إلا ألأنفةُ المُتجبرةِ في أبياتهم، وكثرة تعلق قلوبهم بهذهِ الزوائل، فطبعت قلوبهم بالترفِ وهم لا يشعرون، وذلك قولهِ تعالى : **﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾** [2].

من جماليات النسق القرآني أنه يكشف لك مضمرات هذهِ الألفاظ المنافية لعالم الجمالية في الظاهر، فالمتلقي لأبيات يوسف الثالث يجد جمالية الفخر والقوة والهيمنة، ويجد في أبيات الحكم بن هشام منطقية النأي بالنفس عن صغائر الأمور، وتعليق الآمال على عظيم المقاصد، ولكن الرؤية القرآنية فضحت هذهِ الجماليات وأرجعتها إلى واقعها القبيح، الذي يضمر الفساد والتجبر والتكبر خلف ثوبِ الفخر وحبِّ السلطان، وهذا الحكم هو قطعي في مصداقيتهِ، ولا يدخل في بوابة الإحتمالات، ولا في دائرة الخطأ والصواب لأن **﴿اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾**[3] و **﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾**[4]

ولكي تتوضح الرؤية القرآنية لابد من التطرق للخط التشريع الثاني وهو السنة النبوية والحديث الشريف، فقد وصف لنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته بعده سيرة وديدن الملوك في أقوالهم وأفعالهم، **(في حديث طويل يقسم فيه محبيه وشيعتهِ إلى طبقات، فيصف الطبقة الثانية بأنهم ساروا بسيرة الملوك فيقول عليه السلام)** : "**".. والطبقة الثانية النمط الأسفل أحبونا في العلانية وساروا بسيرة الملوك، فألسنتهم معنا وسيوفهم علينا" [5]، فالقول إن هؤلاء لهم ظاهر جميل وباطنٌ مخالف، وقد توغلت شهوة السلطة في قلوبهم فحجبت عيونهم

---

[1] سورة الأعراف : 74.
[2] سورة غافر : 35.
[3] سورة البقرة : 77.
[4] سورة البقرة : 220.
[5] تحف العقول، ابن شعبة البحراني، تح. علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ط2- 1363ه : 325.

عن الحقائق، فأصبحوا لا يرون للسلطةِ والملكِ أهلاً سواهم، ولو كان بيدهم لملكوا الدهور والأمم، وقد صرح المعتضد بهذا المضمون، فيخاطبُ ربهُ قائلاً :

فَـإِن أَرَدتَ إِلَهي بِـالوَرى حُسـنـاً فَـمَـلّـكَـنـي زِمـامَ الـدَهـرِ وَالأَمَـمِ

فَـإِنّني لاعـدَلـتُ الـدَهرَ عَن حَسَـنٍ وَلا عَـدَلـتُ بِهِم عَن أَكرَمِ الشِـيَمِ

أَقـارِعُ الـدَهرَ عَنهُم كُـلَّ ذي طَلَـبٍ وَأَطرِدُ الـدَهرَ عَنهُم كُـلَّ ذي عـدمِ[1]

في كثير من الأحيان المظاهر لا تُنبأ عما في القلوب، ومحبو العروش وزخرفها يخفون شهوتهم لها بستار الفخر والقوة، ولكن كبوات اللسان تفضح المخفيات، وما يلخص لنا هذه الرؤية هو قولهُ تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[2].

2- حب المال والإسرافِ في العطاء :

هذا النوع من نسق التعلق القلبي بمثابة الروح من جسد حب الشهوات، ولكن هذهِ الروح لو تلبست في القلوب أفسدتها، وكما ذكرنا آنفاً المشكلةُ ليست في المال، إنما في متعلقات حب المال، وهذا الحب أن دلَّ فإنه يدل على الحرص والبخل وليس العكس، لأن الغني ليس من إستغنى بالمال، وإنما الغني من إستغنى عن حب المال، وقد وهِن من بنى الآمال على المال، فإنه كالباني قصراً على الرمال، ونتيجة ذلك فساد النيات والأعمال، وهذا ما قالهُ سيد الكلام عليه السلام : **(حب المال يقوي الآمال، ويفسد الأعمال)** [3].

---

[1] شعر الملوك والأمراء في الأندلس : 55
[2] سورة البقرة : 204.
[3] ميزان الحكمة :4: 2983.

ولعل أبرز من مثل ظاهرة حب المال والإستغناءِ به هم شريحة الملوك والأمراء، فالناظر إلى ظاهر ملكهم المالي كالناظرِ إلى قارون وثروتهِ وزينتهِ فيراهُ إنه ذو حظٍ عظيم وليت أن له مثل ما أُتيه قارون، ولكن الناظر إلى مضمرات شهوة ذلك الحب و الوجه الثاني لعملة هذا الظاهر يرى أن هؤلاء في حقيقتهم فقراء وما زادتهم هذهِ المظاهر الخدّاعة إلا فقراً وبعدا، لأن حب المال سراب بقيعة والمتعلق بهذا السراب يكون بعيداً عن الحقيقة، وكلما زاد تعلقه بالسراب زاد بعدهُ عن الغنى الحقيقي، وهذا ما كشفه النقد الثقافي في مضمرات نسق التعلق القلبي لأبيات هذهِ الطبقة، فقد أظهروا للناس في بذخِ عطاياهم بأنهم أغنياء أسخياء، ولكن حقيقة هذا البذخ هو إستقطاب قلوب الرعيةِ إليهم و تجميل عوراتهم في أعين التاريخ، وقد وصفهم الله في قرآنهِ قائلاً : ﴿ **كالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ** ﴾ [1]، وقد وافق الطباطبائي الطبري في بيان هذهِ الآية وإصابة الحكم على هذهِ الشريحة، فقالا : "هو مراءاته إياهم بعمله، وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه وهو مريد به غير الله ولا طالب منه الثواب وإنما ينفقه كذلك ظاهرا ليحمده الناس عليه فيقولوا: هو سخي كريم، وهو رجل صالح، فيحسنوا عليه به الثناء وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية في إنفاقه ما أنفق"[2]، وهذهِ المستبطنات في نياتِ أعمالهم في حب المال هي التي كشفتها مضمرات أبياتهم الشعرية، ومن هذه الأمثلةِ قول المنصور بن أبي عامر :

ومن شـــيمي أني على كلِّ طالـبٍ أجـود بـمـالٍ لا تـقـيـه الـمـعـاذر[3]

الناظر للبيت في وهلتهِ الأولى يرى عظمة سخاء يدي هذا الحاكم، ولكن الناظر بعين النسقية القرآنية يرى أن حب المال وجمعهِ هو الذي جعله يفخر بعطائهِ على السائل، وإلا فإن الحقيقة هي من واجبات الراعي أو السلطان أن لا يرد حوائج رعيتهِ وهذا ليس من الفخر ولا من الشيم بشيء، أنما هي من الوظائف الواجبة على كلِّ من كان بمكانتهِ، ولكن الرياء في الأنفاق الذي

[1] سورة البقرة : 264.
[2] ينظر: تفسير الميزان :2: 389. و تفسير جامع البيان، لمحمد بن جرير الطبري، تح. الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعةِ والتوزيع :3: 90.
[3] الحلة السيراء :1: 274.

تولد له من شهوة حب المال هو الذي أظهر حقيقة هذا العطاء المُتوهم، فهم كما وصفهم الله في قولهِ : ﴿ **كَلَّا ۖ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾ [1].

فكانت هالة الحب لهذهِ الزوائل مستحوذةً على بصائر قلوبهم وقد ركزت الرؤية القرآنية على تحول المال عندهم من وسيلة إلى غاية، فالفلسفةُ من المال هي سد الحاجات وتوجيهها في وجهاتهِ الصحيحة وليس إكتنازهُ والحرص عليه والمنُّ في عطائهِ، فما هو إلا أداةٌ كباقي الأدوات، و هذا ما وصفه ابن رسول الله الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام قائلاً :

(إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها إذ وجهها الله ولم يعطكموها لتكنزوها) [2]، فالمال ليس ملكاً متأصلاً حقيقياً عند العباد، إنما هو ملكٌ إعتباري جعلهُ الله عند البشر ويأخذهُ وقت ما شاء، فليس من حق الودائع التصرف بها إلا بحاكمية وتوجيه المودع، فالمخول بها ماضٍ وتاركها للمالك الحقيقي وهو الله، وذلك قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ**﴾[3]، فقال عز وجل (خولناكم) ولم يقل (ملكناكم)، والتخويل التصرف في الشيء دون ملك ذلك الشيء[4]، ومما وردنا من كتاب الأندلس الشهير العقد الفريد لإبن عبد ربه الأندلسي عن بعض الحكماء عندما ذكروا الملوك أمامهُ واكتناز أموالهم قال : " يا حسرة على الملوك!.

لا هم تُركوا في نعيم دنياهم، وماتوا قبل أن يموتوا حزناً على ما خلفوا و جزعاً على ما استقبلوا"[5].

---

[1] سورة الفجر : 17-18-19-20.
[2] الكافي :4: 32.
[3] سورة الأنعام : 94.
[4] ينظر تفسير الميزان :12: 146.
[5] يُنظر العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تح. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1-1983 :3: 153.

لم يملكوا شيئاً بحب الأموال ولكن ملكوا قلوب عبيد الدنيا من الراكعين على أبوابهم، والمُتملقين في حضرتهم، والتاركين لهم بزوائل ملكهم ونعيمهم، فهذا القاضي أبو القاسم بن مقدام يوجهُ تملقهُ وإعلان عبوديتهِ إلى المستعين سليمان بن الحكم قائلاً [1] :

أهلْ ترضى لعبدك أن يذالا وأن يبقى على الدنيا عيالا

فبعث إليه بعطايا وصِلات، وكتب لهُ أبيات قال فيها :

معاذ الله أن تبقى عيالا وأن ترضى لمثلك أن يذالا

وكيف وأنت منقطع إلينا وقد علقت يداك بنا حبالا

فأصابوا ما راموا إليه من تعبيد الناس وإمتلاك رقابهم بالأموال، فخاطبهم الناس بما أرادوا ليستدرواعطاءهم.

وما وطّن ذلك فيهم هو تعلق ذلك الحب في قلوبهم إلى أن بلغ القول بمحمد بن محمد بن يوسف ثالث ملوك بني نصر أن لا يرى الرزق إلا منه في الأيام العصيبة ويمناه كالسحب الهاملة على الناس بما تحويهِ من أموال، فينشد قائلاً :

ترتجى يمناي يوم ندى تخالها السحب غدت وكفا

نحن ملوك الأرض من مثلنا حزنا تليد الفخر والطرفا[2]

[1] الحلة السيراء :1: 83.
[2] الإحاطة في أخبار غرناطة :1: 546

من يرى أقوالهم يطمئن بكرمهم وبذخِ أموالهم، ولكن الحقيقة القرآنية فضحتهم، وذلك قوله تعالى : ﴿**قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ**﴾[1]، خشية الإنفاق كي لا يتسلط أحدٌ عليهم، فيجعلون الناس على دوام العادة محتاجون إليهم.

حب المال والإسرافِ في العطاء لا يفارق شفاههم في مواطن الفخر وهذا ما كشفته لنا مضمرات أبياتهم، فنرى يوسف الثالث يصف نفسه وقومه بأنهم ملوك الكمال ولا يدانيهم أحد بكل المجالات والنواحي، وأموالَهم مبذولةٌ ومباحةٌ ولا تنضبُ ولا يتنفد، فيقول في هذا الموطن:

فمن ذا يخاصمنا في العلا ونحن الملوك بكل النواح

علونا السِّماك بأحسابنا وعِرض مَصون ومال مباح [2]

مالٌ مباحٌ لا لسد الحاجات إنما هو مباحٌ لسد الشهوات، فضاعوا في دائرة حب المال والإسرافِ في العطاء بين إفراطٍ وتفريط، فلا نقول أن الإباحة في الإسرافِ صحيحة ولا العض على اليد هو من الحكمة، إنما هو أمر بين أمرين وهذا قانون المنظومة القرآنية : ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[3]، وقد أطر لنا هذهِ المنظومة الثقل الناطق المتمثل بآل بيت النبوة، إذ قال الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل عن الأموال وما عمل الناس بها قال عليه السلام : **"(هي خواتيم الله في أرضه جعلها الله مصلحة لخلقه وبها تستقيم شؤونهم ومطالبهم، فمن أكثر له منها فقام بحقّ الله فيها وأدّى زكاتها فذاك الّذي طابت وخلصت له، ومن أكثر له منها فبخل بها ولم يؤدِّ حقّ الله فيها واتّخذ منها الآنية فذاك الّذي حقّ عليه وعيد الله عزّ وجلّ في كتابه، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾)"** [4].

---

[1] سورة الإسراء: 100.

[2] ديوان يوسف الثالث : 33

[3] سورة الاعراف : 13.

[4] تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مشهد - إيران، ط2-1414ه :9: 30.

في نظرية حب المال والإسرافِ في العطاء لا نعني أن ننبذهُ أو نعتزل عنهُ بالمعنى الصوفي السلبي، إنما أردنا معنى الإعتدال وعدم الخروج عنه، فالخروج عن الاعتدال هو المفسد للقلب. وقد لوحظ هذا الأمر حتى من أتباعهم المتعلقين بالدنيا والمعجبين بزينةِ ملوكهم وعطاياهم، فهم كأصحابِ قارون، أعناقهم طامحةٌ إلى هذهِ الزوائل، فنرى أبو بكر بن عمار السياسي والوزير الأندلسي والكاسب قوته من التسكع على أبواب الملوك عندما إستضافهُ المعتصم وأغدق عليه بالعطايا فجاز حتى حد الإسراف، إلى درجة أن طالب الدنيا مثل أبو عمار لاحظ هذا الإسراف قائلاً:

أســـــرفـت فـي بـر الضـــيـوف فـخـذ قـلـيـلاً فـي الســـــراحِ[1]

عجباً للناظرين لزينة قارون والمُتمنين لحس قِصاعهِ ألم يروَ قوله تعالى وهو يكشف أنساق المضمرات لتلك المظاهر المترفة الزائلة، أم أن قلوبهم تعلقت بحب المال وما أنتجه من زينةٍ وإسراف فعمت عيونهم عنها كما عميت قلوبهم، ونسوا قولهُ تعالى : **﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾**[2]

بعد هذا الاستقراء لمضمرات أبياتهم التي كشفت لنا تعلق قلوبهم بشهوة حب المال والتي يكون الإسراف في العطاء جزا منها وجدنا أن ديمومية حب الشهوات تكمن في حب المال، وأن المال هو المادة الروحية التي تُنمي الشهوات، وهذا ما أستنبطناهُ من قولِ باب مدينة العلم علي بن إبي طالب عليه السلام، فقد أطر لنا نظرية حب المال وموطن فعاليتها بحب الشهوات في قولهِ : **(المالُ مادة الشهوات)**[3]، فمن المادة تنشأ الظواهر.

---

[1] الحلة السيراء : 2: 85.

[2] القصص : 81-82.

[3] نهج البلاغة - المُختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي)، تح. السيد هاشم الميلاني، مكتبة العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية، كربلاء المقدسة - العراق : 495.

و لابد للناظر في حقل المضمرات مراعاتِ العِبرِ السابقةِ والمنقولات الواردة عن وحي الإله العظيم، ومن نماذج هذهِ العبر وحي الله لنبيه موسى عليه السلام، حين يكلمهُ من عندِ الشجرةِ قائلاً :

" لا تُجبك زينة فرعون ولا ما مُتع بهِ، ولا تَمُدّنَّ إلى ذلك عينك، فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المُترفين، ولو شئتُ أن أوتيك زينة يعلم فرعون حين ينظر إليها مقدرته تعجز عنها فعلتُ" [1].

أحتل هذا النوع من مظاهر نسق التعلق القلبي جزءاً مهم من مفاصل هيكلية الأنساق في مضمراتِ أبياتهم، فكان حب المال وإسرافه المحرك الفعلي لباقي مربع حب الشهوات، نعم أن المال ليس متلازماً مع الترف ولكن هو مُستقطب المُسببات التي عن طريقه ينشأ حب الشهوات.

3- حب الوجاهة

هناك من لا يكتفي بحب المال وفخامة حب السلطة، إنما يبقى قلبهُ معلقاً في هيمنة شخصيته على قلوب الناس، ولفت الأنظار إليه، ويوطن كل صلاحياتهِ ونفوذهِ لتحصيل هذهِ الوجاهة والمقبولية لدى الناس، ولكن ما لا يعلمهُ أن الوجاهة والسُمعةَ لو بُنيتْ بالمالِ والسلطان سقطت بالمال والسلطان، لأنه بناها على رمالِ قلوبٍ للمال والسلطان طائعة، فتسقط أمام كل من زادها من هذهِ الزوائل فيستبدلونه بغيرهِ.

قد توغل نسق الترف هذا في كثيرٍ من مواقفهم وأقوالهم، فالمعتضد بن عباد يجد هوى نفسهُ في حمد الناس له والثناءِ عليهِ، وهو مستعدٌ لفعلِ كل شيء لتوجه الناس إليه والإفتخار به، وذلك قوله :

أنــفــق فــي كــســب المــحامد مهجتي ولو كــان في الــذكر الجميــل حمــامي

[1] العقد الفريد :3: 88.

وابـلـغ مـن دنـيـاي نـفـسـي سـؤلها واضـرب فـي كـل العـلى بـسـهـام

إذا فـضـح الأمـلاك نـقـصٌ فـإنـه يـبـيـنـه عند الأنـام تـمـامـي[1]

وفي موطن آخر يكرر المعتضد المضمون الوزن نفسه ولكن بقافيةٍ مغايرة تحمل في نسقها المضمر جرساً إيقاعياً يوحي لمُتلقيهِ شدة الأنفةِ والكبرياء عنده، فيصدحُ قائلاً :

فـمـا مـر بـي بـخـلٌ بـخـاطر مهجتي ولا مـر بـخـل النـاس قـط بـبـاليا

ألا حبـذا في المجـد إتلاف طـارفي وبـذلي عـنـد الحـمد نفسي وماليا[2]

هذا المنطوق النابع من تعلق القلب بالوجاهة قد شخصهُ لنا القرآن الكريم بقولهِ تعالى ﴿**يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾[3]، فواقع المعتضد سفاح مُكثر للقتل ومُنتهك لأموال الناس وحقوقهم، وما رسمهُ من صورة في الكرم والعطاء، ما هي إلا إعلان للوجاهةِ والسمعة[4].

فما يقومون به من معروف يحبون أن يُعلن، ويوجهون كل طاقاتهم لإشباع هذا الرياء، فيصنعون الخير لكي يظهروا أمام الناس ويكون وجهاء بينهم، وأحياناً ينسبون مالا صلة لهم بهِ من الخير للفخرِ لإستقطاب قلوب الجُهال، فتجد الحكام وبعض مُتسلقي الوجاهة يجعلون تحت إمرتهم الشعراء والأدباء الناعقين لهم بالمدائحِ والمفاخر الواهية، وبعض اللا فقهاء والذين دينهم دنانيرهم وهو أرجحُ من جناحِ بعوضةٍ لكي يُثقفُوا لهم بالوجاهةِ والسمعةِ السامية، وبالمقابل تجد آذان القطيع الجاهل يُساق وراء زُخرف قولهم بلا وعي ولا تمحيص، وبهؤلاء تعلو الطغاة وتسقط المبادئ.

---

[1] ديوان المعتضد : 107.(الطويل)
[2] المصدر نفسه : 114 (الطويل)
[3] سورة آل عمران :188.
[4] ينظر نفح الطيب : 5: 153-154-155 / وينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :1: 27-28.

وقد لخص لنا الحبيب المصطفى هدا النسق وفتكهُ بقلبِ صاحبهِ قائلاً : "حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب" [1]

جمع المال بالجاه لأن المادة الرئيسة التي تصل بالشخص إلى حب الجاه هو حب المال.

وهذه المفاهيم لا تفارق ثقافاتهم، فنرى محمد بن محمد بن يوسف ثاني ملوك بني النصر، يَمنُّ بالعطاء ويذيع بهِ، حتى يبرز نفسهِ ويكون وجهياً عند الخاصةِ والعامة :

تـذكـر عـزيـز لـيـالٍ مضـــت وأعـطـاءنـا الـمـال بـالـراحـتـيـن

وقـد قصـــدتنـا مـلـوك الـجـهـات ومـالـوا إلـيـنـا مـن الـعـدوتـيـن

وإذا ســـأل الســـلم منـا اللعين فلـم يـحـظ إلـى بـخـفـي حـنـيـن[2]

في هذا الأبيات يفتخرُ بعطائهِ على وزيرهِ وأمام جُلسائهِ، وكان نتاج هذا المنُ هو الرياء لتحصيل الوجاهة والمقبولية لدى مناصريهِ ومؤيديه، فإن من طبيعة محب الوجاهة أن يرى الناس خاضعة مُنحنيةً أمامه، ولا تطلب الحوائج إلا منهم، فيضع نفسه مكان المُعطي الحق، وهذا ما فعلهُ فرعون وحكاه لنا القرآن الكريم بقولهِ **﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾**[3] و **﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾**[4]، فلا يُريد أن تتوجه الناس لغيره.

ويتردد هذا النفس في صدورهم صعوداً ونزولا، والبعض منهم يُلزم الناس على إبداء الوجاهة والهيبة له، فنرى المعتضد يداعِ ويُلزم أهل (ملقا) بتهنئتهِ وشكرهِ والامتنان لهُ :

لِيُهَنيء أَهلَ مالِقَة اِنتِصاري وَإِعزازي لَهُم بَعدَ الهَوانِ

---

[1] بحار الأنوار :72: 205.
[2] اللمحة البدرية في الدولة النصرية : 38.
[3] سورة النازعات : 24.
[4] سورة غافر : 29.

سَـــيُـنـقِـذَهُـم وَيُـنـمـيـهِـم جَـمـيـعـاً وضـــــاعُ الـخَـيـرِ إِن دَرَّت لِـبـانـي

وَأَرقـيـهِـم ذَرى دَرَجِ الـمَـعـالـي كَـمـا أَجـنـيـهِـمُ ثَـمـرَ الأَمـانـي

وَأَضـــعـافُ الّـذي يُـبـدي لِسـانـي إِلَـيـهِـم مـا يَـجِـنَّ لَـهُـم جِـنـانـي

فَـحُـقَّ عَلَـيـهِمُ شُـــكرُ اِمتِـعـاضـــي وَمـا خـلـقـي اِمتِـنـانٌ بِـامـتِـنـانِ[1]

يأمرهم ويوجب عليهم شكرهُ والامتنان له، ثم يقول : (وَما خلقي اِمتِنانٌ بِامتِنانِ)، إزدواجية الخطاب هذهِ هي التي فضحت مضمرات تعلق قلبه بحب الوجاهة، وهذا الصورة ترجمها لنا نسق الترف القرآني بحوارية فرعون مع موسى، قائلاً له :﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾[2].

يا ليت هؤلاء يعلمون أن الصعود على قمة الوجاهة والسمعةِ والمقبولية عند الناس ليس بالمن والرياء والإكراه، إنما تعطى : ﴿ **للذين لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[3]، فالوجاهةُ والدنيا لا تُعطى للراكضين خلفها والمعلقةِ قلوبهم بها، إنما الدنيا بما تحوي تكون في خدمة الزاهد فيها، وذلك قول الله تعالى في حديثٍ قدسي مخاطباً الدنيا : "إخدمي من خَدَمَنِي، وأتعِبي مِن خدمكِ"[4].

توغّل حب الوجاهة في قلوبهم جعلهم قشوراً خالية من محتواها في واقعهم الإجتماعي والثقافي والملكي، وهذا ما استقرأه لنا القرآن الكريم في منظومته النسقية لصفة الترف فـ﴿**يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ**

[1] ديوان المعتضد : 115(الوافر)
[2] سورة الشعراء : 18.
[3] سورة القصص : 83.
[4] كلمة الله، السيد حسن الشيرازي، دار العلوم، بيروت - لبنان، ط 6-2017 : 192.

عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[1]، وما هي إلا أقنعة أسقطها النقد الثقافي عن جمالياتِ نصوصهم، بمنظورٍ قرآني لا يتحملُ القهقرةَ في مصداقيةِ حكمهِ.

4- حب الجنس بطرفيها الذكوري والأنثوي مضيفاً إليها إمتداد النسل

الركن الرابع من التعلق القلبي في مضمار الانساق وهو (شهوة حب الجنس بطرفيها الذكوري والأنثوي مضيفاً إليها إمتداد النسل) نراهُ متجلياً في أبياتهم الشعرية بصورةٍ أوضح من الأركان السابقة، فهذا النوع " أحد أبرز أغراض الشعر الأندلسي"[2]، فقد أشاروا إلى ذلك في عدة مواطن، وقد أخذ هذا النسق حيزاً واضحاً في مضمارِ حب الشهوات، فصورة التذلل والتنازل والإنهيار وسقوط الكرامة بين يدي هذا الحب باديةً في أبيات الغزل والإعتذار وغيرها، فنرى أن هالة التكبر والشموخ تنهار وتضمحل في ميدان هذا النوع من نسق التعلق القلبي، الإشباع الغريزي ليس هو المقصود كما ذكرنا آنفاً، إنما تحول هذا الإشباع إلى اديوليوجيا، فتجر صاحبها من الاعتدال إلى الترف، وهذا ما تبرزه لنا الأنساق في مضمراتِ نصوصهم.

الناظر لأبياتهم في هذا الموطن يرى أن أنفة الشموخ والتجبر والقوة في أبيات الفخر تسقط أقنعتها في الغزل ويبرز الوجه الآخر للضعف والتذلل أمام الشهوات، وهُم من صرحوا بذلك، فعندما يُفصحُ الرشيد العباسي بهذهِ المعاني قائلاً :

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنَاني وحَلَلْنَ من قَلْبي بِكُلِّ مَكَانِ

ما لي تطاوِعُني البَرِيّةَ كُلّها وأَطِيعُهُنّ وهُنَّ في عِصْياني

---

[1] سورة المجادلة :18.

[2] القصيدة العربية الاندلسية الغزلية، بسمة احمد صدقي الدجاني، دار المستقبل العربي، القاهرة – مصر، ط1-1994 " 35

مـا ذاكَ إلاّ أَنَّ سُـــلْطـان الهَوى وَبِـهِ عَزَزْنَ أعَزَّ من سُـــلْطـاني[1]

جسدَّ هذا المعنى حقيقة الإنهيار الذاتي أمام حب الشهوات بسبب تعلق قلوبهم بهذهِ الألوان، وقد حذا على ديدن العباسي الكثيرون من ملوك الأندلس وأمرائها، منهم يوسف الثالث في قولهِ :

فيـا عـجبـاً أن الـمـلـوك تـخـافـنـي ويجزع قلبي من ظبـاء المقـاصـــر

ويـخـطـب ودي ذو الـبـريــةِ كـلـهـم ويـرغـب عـنــي ذَو لـحـاظ فـواتـر

فـمــا ذاك إلا أنَّ هـذا الــهـوى لــه عقود قـد اســـتهوت عقولَ الأكـابر

لـذلـك مـا يـرثـى لـحـالـيَ طـاهِـر فـأفـديــه مـن قـلـبـي بِـنـاهٍ وآمـر[2]

ويُكرّر هذا المضمون عند ثاني ملوك بني النصر محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، فيقول:

مـلـكـتـك الـقـلـب وإنــي امـرؤٌ عـلــيّ مـلـك الأرض قـد وقـفـا

أوامـري فـي الـنـاس مســـمـوعـة ولـيس مني في الورى أشـــرفـا[3]

ويستمر هذا الخضوع والخنوع أمام سطوة حب القلب وتعلقهِ بهذه الشهوة، وهذا ما شخصتهُ الرؤية القرآنية في نسقيتها و خطورة هذا النمط من الترف، فعندما سرد القرآن الكريم منظومة الشهوات التي تتعلق قلوب البشر بها كان على رأسها هذا النوع من الشهوات، وذلك قوله تعالى

---

[1] ديوان هارون الرشيد، جمع وتحقيق وشرح الدكتور سعدي ضنّاوي، رفعهُ عبد الرحمن النجدي، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1-1998: 48.

[2] ديوان يوسف الثالث : 82.

[3] اللمحة البدرية في النصرية : 49

: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ...**﴾[1]، فقال ابن كثير " يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملذات من النساء والبنين فبدأ بالنساء لان الفتنة بهن أشد" [2]، وتعضيداً لهذا المضمون قد جاء في الأثر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآلهِ وسلم : **" إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ"** [3]، والملوك كانوا أول الواقعين في هذه الفتنة، فنرى المعتضد مع شدة صرامتهِ وبأسهِ ينهار بالوصف أمامَ فتنةِ جمال ووصال معشوقتهِ، قائلاً :

رَعى اللهُ مَن يَصـــلى فُؤادي بِحُبِّـهِ سَـــعيراً وَعَيني مِنـهُ في جَنّـةِ الخُلـدِ

غَزاليَّـة العَينَينِ شَـــمســـيَّـة السَـــنـا كَثيبيَّـة الرِدفَينِ غُصـــنيَّـة القَـدِّ

شَـــكَوتُ إِلَيـهـا حُبَّـهـا بِمَـدامِعي وَأَعلَمتُهـا مـا قَـد لَقيـتُ مِنَ الوَجـدِ

فَصـــادَفَ قَلبي قَلبَهـا وَهوَ ســـالِمٌ فَأَعدى وَذو الشَوقِ المُبرِّحِ قَد يُعدي[4]

فتعلق القلب بهذه الفتنةِ قد تجلى بإفصاحهِ هذا، وأتى عبد الرحمن بن هشام ليصف أسر قلبهِ وبذل مهجتهِ وكل ما يملك في سبيل محبوبتهِ قائلاً :

غزال براه الله من نور عرشـــه لتقطيع أنفـاســـي وليس من الإنس

---

[1] سورة آل عمرآن : 14.
[2] تفسير ابن كثير :1: 359.
[3] صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت - لبنان :8: 89.
[4] ديوان المعتضد : 109-110 (الطويل)

وهبــت لــه روحي وملكي ومهجتي ونفســـي ولا شـــيء أعز من النفس[1]

هالتهم الُمتبجحةِ وشموخهم بعزة النفس كل ذلك أثبتَ أن واقعهم قشورُ ألفاظٍ مفروغة من معانيها، وهذا ما كشفتهُ لنا مضمرات النسق القرآني، فإتباع الشهوات ينتج لنا هذه الميول في الكارزما، وهذا ما صرحَ به القرآن الكريم : **﴿يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾** [2]، فحقيقة الترف في هذا النسق تكمن في ميل الشهوة من الإعتدال إلى الإتباع، والتي تفضي بصاحبها إلى التعلق.

النسق القرآني المُتمثل في تعلق القلب في شهوة حب النساء هو من أخطر الميولات الشهوية التي أطرته لنا الشريعة الإسلامية،، فقد روي عن الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال : **" ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء"**[3].

وتكمن قراءة النسق القرآني لهذهِ القلوب في قولهِ تعالى : **﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾**[4]، وهذا ما سببه الميل بالشهوات، فعندما أرادوا أن يظهروا الجدَّ والثبات والعفة في أبياتهم فضحتهم مُضمراتها النسقية برؤيتها القرآنية، فالتصور المزدوج للشعر الذي يظهر عندهم بصورةٍ متناقضة إحداهما تُعليه والأخرى تزهد فيه، فتراهُ هو الأمير وهو العبد في آن واحد[5]، وعندما جُمعتْ أبياتهم في تراتبية واحد وقُورنتْ بالمنظومة القرآنية لتعلق القلب بشهوة النساء ظهرت للمُتلقي حقيقة القشور اللفظية التي لا تمت لمبادئ المفاخر والشموخ والعفةِ بصلة، وهذه البلورة في النسقية هي قطعية الحكم ولا تدخل في الظنيات لأن الشاهد هو الحكم، و هذهِ إحدى جماليات اللطائف القرآنية فهو الفرقانُ الذي لا تشتبهُ عليهِ المضمراتُ بزخارف الظواهر.

مربع حب الشهوات هذا المُتمثل : (حب السلطة والمُلك، حب الوجاهةَ، حب المال والإسراف بالعطاء، حب الجنس بطرفيها الذكوري والأنثوي مضيفاً إليها إمتداد النسل) قد تعلقت قلوب

---

(1) الحلة السيراء:2: 16.
(2) سورة النساء :27.
(3) صحيح البخاري :6: 124.
(4) سورة الأنبياء :3
(5) ينظر النقد الثقافي - دراسة في الأنساق الثقافية العربية : 95.

الملوك والأمراء الأندلسيين فيه إلى أن أصبح هذا التعلق منظومةً نسقية مترفةً مُهيمنةً على مُختلجاتِ قلوبهم وإنفعالاتِها إلى أن توغلت في سلوكياتهم وألفاظِ ألسنتهم، وبدخول هذهِ الألفاظ المُتمثلة بأبياتهم الشعرية في دائرة النسق القرآني أنفضحت حينها المُضمرات المعاكسة لجماليات تلك الأبيات، كما وأظهر لنا النسق القرآني حقيقتهم المُترفة في جلّ تفاصيل حياتهم ومدى تأثيرها على نصوصهم.

الحاكمية القرآنية النسقية انتزعت لنا مضمرات صفاتهم المترفة في نصوصهم الشعرية ثم نقدتها وأطرتها لنا بمنظومة جديدة وفقاً للقوانين الإلهية الصائبة لكلّ الظواهر الجارية في الوجود البشري.

▪ المبحث الثاني : نسق التفاخر والتكاثر

هاتان المُفردتان ترابطتا في دائرة السبب والنتيجة، فإنَّ مُسببات التفاخر رسوخ أيديولوجية التكاثر، وهذا ما صورهُ لنا الخطاب الشعري المُنبئ في مضمراتهِ عن هذهِ السلوكيات، وقد تمثلت بواعث هذا النسق في ظواهرهِ في الترف المادي وفي بواطنهِ المُحركةِ للظواهر بالترف المعنوي، و قد عرضنا آنفاً بهاتين المُقدمتين.

لعل طبقة الملوك والأمراء التي نحن بصدد دراستها الآن لها الأولوية في هذا النوع من الأنساق، فلو لم يكن لديهم من مقتضيات هذا النسق سوى عرش المُلك لكفاهم، فهو بذرةٌ تُشجرُ منه أغصان الترف، المُتمثلةِ بكرم العنصر وقوة العصبية و التكلف في أصطناع الخصال الشريفة من شجاعة، وكرامة، ومروءةٍ، ووفاء، وغير ذلك من الشرفيات المنسوبةِ لهم من قِبلِ وعّاظِهم.

ومما جعل التفاخر والتكاثر يتحولان من غرض شعري جمالي إلى سلوك فعلي مُتجلّ على أرض الواقع هو هيمنة تلك الصفات عليهم، مما جعلتهم لم يكتفوا بقصائد الراتعين على أبوابهم لمدحهم، إنما زادوا على ذلك بجعل غرضي التفاخر والتكاثر من أكثر أبياتهم الشعرية، لسد ثغراتِ النقصان فيهم، وهذا ما لمحناهُ عند قراءتنا لمضمرات نصوصهم الشعرية برؤية قرآنية محكومة.

وشخصت لنا المنظومة القرآنية لهذا النسق رؤية إجمالية وأخرى مفصلة لمفردتي التفاخر والتكاثر، فالرؤية الإجمالية إختزلت بقوله تعالى : ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾[1]، أطلق التفاخر وحدَّ التكاثر بالأموالِ والأولاد.

وعلى مستوى التفصيل فقد طرح لنا القرآن الكريم بقراءتهِ لمضمرات نصوصهم في نسق التفاخر الكثير من الرؤى والقراءات المُفصلةِ لهذا النسق، ومنها قوله تعالى : ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[2] فالمقتُ القرآني واضحٌ لهذهِ الصفة.

---

[1] سورة الحديد : 20.
[2] سورة لقمان : 12.

وقد قُسمت المضمرات القرآنية لنسق التفاخر على أوجه، وهذهِ الأوجه هي من سنخية الرؤية القرآنية، فمن خلالها نستطيع عرض مضمرات التفاخر في أبيات شعر الملوك والأمراء في الأندلس، ومن خلالها نستقرأ الرؤية القرآنية لواقعية النص ومُلقيه في حركةٍ تراتبية متوازنة من أنثروبولوجيا المُلقي وطبيعة النص الإبداعي والمؤثرات المحيطة بهما، خارجية كانت أم داخلية، مادية أو معنوية نسجت لنا تلك الأنساق المترفة التي من ظواهرها التفاخر.

فيتمحور التفاخر الكامن في مضمراتِ أبياتهم في هذهِ الأوجه، ومنها :

1- التفاخر بالذات

عندما تعجُ أبياتهم بمطلب الفخر هذا، يظهر للمُتلقي في تحليل جماليات هذا النوع إنهُ داخلٌ في منظومة ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[1]، ولكن عند كشف المضمرات بالمجهر القرآني فأنه يُحيلُنا إلى نسقية بعنوان ﴿**مَا أُتْرِفُوا فِيهِ**﴾[2]، وهذا ما وجدناهُ فيما ألقوه من نصوصهم الشعرية، فهذا أبو المطرف المستظهر بالله والد (الولادة) أشهر نساء الأندلس، يفخر بما فيهِ من حسن وجمال وسحر قائلاً :

وعندي ما يصبي الحليمة ثيباً ... وينسي الفتاة الخود عذرتها البكرا

جمال وآداب وخلق موطأ ... ولفظ إذا ما شئت أسمعك السحرا[3]

قراءة أنساق الترف المندرجة في بواعث المترف من فخرٍ وإعجابٍ بالنفس ما هو إلا نِتاج يُختزلُ ختامه بقول الله لرسوله : **" قل يا محمد لمن افتخر بالوجه الحسن ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾"** [4]، وهذهِ هي نفسها البداية المعاكسة لظواهر عذوبة البيتين، فما أضفته الطبيعة

---

[1] سورة الضحى : 11.
[2] سورة هود : 116.
[3] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :1: 56.
[4] موسوعة الأحاديث القدسية 473.

الأندلسية التي سردنا فيها القول آنفا من جمال وسطوع وصفاء على ساكنيها حتمت على غالبية أفرادها هذهِ الصفات، فضلا عن ما أضفتهُ عليهِ البيئة الملكية و التي هو أحد أفرادها،فما هذهِ المفاخر التي ذكرها إلا نتائج لمقدمات ترفية أحاطت به، فلا فخر له في ذلك بل أن هذا ما أترف فيهِ وذلك قولهُ تعالى :

﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾[1]، فما عاشوا فيه من بطر و ترف وحال ناعمة هو أحد مُسببات هذهِ الشمائل [2]، المفاخرةُ في متع الدنيا وزينتها في المنظور القرآني مذمومةٌ، لأنها تبطنُ نسقية مقيتة تضفي بصاحبها إلى صفةٍ من صفات الترف، وبالمقابل فإن المفاخرةُ والمنافسةُ البعيدة عن الرياء ممدوحةٌ في القرآن الكريم وذلك قولهُ تعالى : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[3]، فالكمال في الدرجات السامية مطلوب وممدوح، والمذموم هو التسافل والتفاخر في درجاتِ الزوائل.

2- أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وأعز نفرا

هذا المصطلح القرآني في المنظومة النسقية هو أيقونة التفاخر بالأموال، فأن التفاخر بالأموال أحد أهم أوجه المفاخر في مُتع الدنيا، وقد أنبأ الترف في مضمرات أبيات الأمراء والملوك في الأندلس عن هذهِ الظاهرة، وقال الله في حديثٍ قدسي مخاطباً بهِ محمد صلى الله عليه وآله وسلم : " قل لمن أفتخر بالمال ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾"[4]، و السنخية القرآنية واضحةٌ في الحديث القدسي، فما يغني المال عن الذين يفخرون بهِ : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾[5].

وعلى المستوى التركيبي فأن أسم التفضيل (أكثر) هو الذي رسم لنا اللوحة النسقية للترف في مضمار المفاخرة، فتعالي وتفاخر أسم التفضيل على لسان القائل هو الذي رسم أنثروبولوجيا

---

(1) سورة الأنبياء :13.

(2) ينظر الكشاف حقائق التنزيل وعيون الاقاويل :2: 564 / وينظر تفسير القرطبي،أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، 1405ه :11: 275.

(3) سورة المطففين : 26.

(4) موسوعة الأحاديث القدسية : 473.

(5) سورة الحاقة:28 .

النص، وحالة الأيديولوجية لواقع المُلقي في لحظة المفاخرة، وهذا ما وجدناهُ في لسان الحال والمقال لشعراء الأمراء والملوك في الإندلس، فقول المعتمد بن عباد وهو يفخر بغدق العطاء من كفيهِ وكثرتهِ وتوافد الحامدين عليه حتى أن يداهُ صرخت بالحمد له على العطاء :

وَقَد تناهت يَدي عَن كأســـها غَضَـــباً وَمَجَّـت الأَذنُ أَيضـــــاً نَعمَــةَ الوَتَرِ

حَتّى أَمَلِّـك هـذي مــا تَجودُ بِــهِ وَأَســـمَعَ الحَمدَ بِـالأَخرى عَلى الأَثرِ[1]

لشدة إنغماسهِ بالملذات حتى عندما يفخر بعطائهِ فإنه يجعل إيثارهُ عن الكأس والطرب فخراً لتقديم العطاء عليهِ، فقدمَ فخر الكثرةِ في أموالهِ وعطائهِ على كثرة مجونهِ وطربه.

3- التفاخر بالأحساب والأنساب

المفاخرةُ بالأحسابِ والأنساب هي من أبشع المفاخرات في الجو العربي، ومن رحم هذهِ المفاخرةِ السقيمة ولِدت لنا الطبقية والعنصرية بين الأفراد، وقد مقتَ القرآن والأخلاق والثقافة والمبادئ السامية هذهِ النسقية التي أنشأت تراتبية حلقاتها من النقص النفسي والأنانية والتسافل الفكري والانحطاط الثقافي، وكان الموقف القرآني واضحاً وحاسماً لهذهِ الظاهرة المُشتقة من ترف العادات الرجعية، ففي عالم الدنيا قد برأ منها وجعلها أحد صفات الكافرين في قولهِ تعالى : **﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ﴾**[2]، وفي ختام المطاف جعلها مفروغةً من فوائدها المزعومة فقال : **﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [3].

---

[1] ديوان المعتمد : 65.(البسيط)
[2] سورة الفتح :26.
[3] سورة الممتحنة : 3

هذا النوع من الأنساق وجدناهُ مشحوناً في أبياتهم [الشعراء الملوك والأمراء في الأندلس]، وذلك بعد أن قرأناها برؤية قرانية مُحكمة، فالحاجب المنصور المقتفي آثار أعمامه وأخوالهِ في عدة أمور منها سبيل القضاء، وكثيراً ما نجد هذا النفس في مقطوعاتهِ الشعرية، نحو قولهِ:

أنـا الحـاجـب المنصـــور من آل عـامر بســـيفي أقـد الهـام تحـت المغـافر[1]

قد فاخر بحسبهِ في قولهِ (أنا الحاجب المنصور)، َوفاخر بنسبهِ عند قوله (من آل عامر)، وكان من الأولى تقديم أفعاله ومنجزاته في الأندلس فهي كافيةٌ للفخر، فللحاجب المنصور تاريخهُ الحافل في الأندلس، ولكن هيمنة المفاخرة الحسبيةُ والنسبيةُ على أيديولجيته هي من أستدعت هذا المعنى في أبياتهِ، فما وظفهُ الحاجب في نصهُ الإبداعي من جماليات يزعمها ما هي إلا مفاخرات ترفيةٌ تربى عليها في بيئتهِ ومنها نشأة كارزما الفخر، ومن ناحية أخرى على خط ذاك النسق فقد فاخر ابن الأحمر بحسبه ونسبه وترك ما هو فيه، فيقول :

فإن كنت أنســيت عهدي ســأعتري بـبـالـك لا يـألـوك عـنـي تســـألُ

أنـا ابن الوغى إن كنـت جـاهلـة فمـا وعيشـــك أهلوك الجمـاهير جهـالُ

نمتني من قحطـان أزكى عصـــابـة إذا عـد أبـطـال وأســـقـط بـطـال[2]

وهذه القرآءة تشمل في حكمها جميع تلك الطبقة، فكلاً منهم يتعصب ويفاخر بما بُنيت عليه شخصيته من واقعهم المترف، فمن لم يفصح عن ذلك بلسان المقال فقد كشفه لسان الحال، والمقاييس لا تُبنى في تساميها على الأشخاص أو المراكز الإجتماعية وتبقى الأولوية لمقام السمو الفردي، فبناء الذوات البشرية تكون الأصالة فيها مجبولةً على السمو الفردية، وذلك أفضل بكثير

[1] الحلة السيراء :1: 49.
[2] نثير الجمان : 389.

من تشعب الأمزجة وتنافرها وتقبل مبدأ الإزدواجية في الأرتفاع، وهذا ما وظْفهُ لنا القرآن الكريم بقولهِ تعالى : ﴿**أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[1]، فترفية نسق الفخر في منظومة الأحساب والأنساب سالبة الإنتفاع، وما وصلنا من الآثار في توخي هذهِ السيرة كثيرة، منها قول يحيى بن زكريا (عليه السلام) لبني إسرائيل الذي يهدم فيه نظرية الترف الوراثي ويؤسس بدلهُ مبدأ العدالة الإلهية في إنعزالية الفرد بخواصهِ وتحمل صلاحها وفسادها، فيقول : **" لا تغرنكم قرابتكم من ابراهيم عليه السلام، فإن الله قادر على أن يستخرج من هذه الجنادل نسلاً لإبراهيم، إن الناس وضعت في أصول الشجر، فأُخْلِقْ بكلّ شجرة مُرَّة الطعم أن تُقطع وتُرمى في النار"** [2]، فالنسق القرآني في نظريتهِ للمساواة ساحقٌ لترفية التفاخر وفرضية النُخب القائمة على المقاييس والقوانين البشرية، ونرى تجلي ذلك في أحد نماذج أصول الدين علي بن الحسين عليه السلام، وكيف يهدم هذهِ المنظومة البالية وينشأ نسقية قرآنية سامية في كل حلقاتها، فيروى أنه كان يناجي ربهِ وقد احمرت عيناهُ من البكاء والتضرع، طالباً من الله الزلفى والمعذرة، ثم سجد وهو على هذهِ الحال، فدنى منه أحد أصحابهِ وقال لهُ : **" أنا طاوس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله صلى الله عليه وآله!؟ قال: فالتفت إلي وقال عليه السلام : هيهات هيهات يا طاوس دع عني حديث أبي وأمي وجدي خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدا قرشيا أما سمعت قوله تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، والله لا ينفعك غدا إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح "**[3].

نظرية التفاخر تتسافل وتنحدر مهما تسامت باعتقادِ روادها، وهذا ما أظهرتهُ لنا النسقية القرآنية التي أنتزعت هذهِ الحقائق السلوكية والواقعية من نصوصهم الشعرية، فما تُظهرُهُ هذه الطبقة من

---

(1) سورة يوسف : 39.

(2) العقد الفريد :3: 86.

(3) مناقب آل أبي طالب، الحافظ ابن شهرآشو شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب، المطبعة الحيدرية، النجف-العراق، 1357ه :3: 291-292.

مفردات فإن لها مضمرات ودلالات تنبأ في تراتبية واقعيتها ومحيطها بأن الترف المنغمسين في مظاهرِهِ المادية والمعنوية هو الموصل لهذه النتائج.

4- التفاخر بالقوة والبأس

إنَّ لعنصر القوةِ في العالم البشري تمثُّلات وحقائق منها الباطنية ومنها الظاهرية، وتُطابق الباطنية الظاهرية في أحيان قليلة أما عدم التطابق فهو السائد الأغلب، وهذا ماكشفتهُ لنا المضمرات القرآنية في أنساق الترف في شعر الملوك والأمراء في الأندلس، فنجد شاعر هذهِ الشريحة يفاخر بقوته وبأسهِ و ما يكتنزهُ من مواهب الشدة والصرامة، ولكن عند السبر في أغوار النصوص الإفتخارية وجدنا ما يخالف إبداعية النص في سردِ عظمة تلك القوة والبأس الشديد، لأن الهيمنة القرآنية في كشف حقيقة النصوص أعلى دقةً في قراءة هذهِ المضمرات، وهذا ما فعله القرآن عندما سرد لنا قصة سليمان والملأ الذين شاورتهم في أمرها بلقيس ملكة سبأ، ففي باديء الأمر كانت نظرت الهدهد وقومها بأن لها عرشً عظيم ويتفاخرون على سليمان بقوتهم وبأسهم مع علمهم بعظمة ملك سليمان وما سخر الله له، وذلك قوله تعالى حكاية عن الهدهد ﴿**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾[1]، وكذلك نظرت قومها وافتخارهم بتلك القوة : ﴿**قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾[2]، ولكن النسق القرآني كشف لنا زخرف الترف الإفتخاري هذا واضمحلاله عند ما سلب سليمان هيبة الترف التي أسندوا لها قوتهم وبأسهم والمُتمثلةِ بالعرش العظيم، فتلاشى ترف الفخر عندهم بمجرد ما مُحق مظهر الترف الذين هم فيهِ، وهذهِ النظر القرآنية كشفت عن حقيقة مضمرات تلك القوة والبأس المزعومة وما هي إلا مظاهر ترف إفتخروا بها ولكن عند سلبها جاؤوا طائعين، وهذه النظرة النسقية للقرآن الكريم نراها في قولهِ تعالى ﴿**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ**

---

[1] سورة النمل : 22-23.
[2] سورة النمل : 33.

وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۞ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۞ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وأسلم معها ملأُها وعادوا إلى قومهم داعين لتلك الحقائق[1]، فبمجرد ما سُحب من تحتهم بساط الترف ونُزع منهم الفخر بتلك القوة والهيمنة عادوا لفطرة الصواب، وهذا ما هيمنَّ أيضاً على ملوك الأندلس وأمرائها من الشعراء وغيرهم، وما كشف لنا ذلك مضمرات نصوصهم بنسقية القرآن الكريم، فعندما نرى تفاخرهم وتبجحَهم بتلك القوة والشدة الظاهرة في نصوصهم الشعرية يحسب المُتلقي أن النص مطابق للمنظومة الإيزوتيريك* لواقع ذلك المُلقي، ولكن المنظور القرآني كاشف لحقائق تلك الإيزوتيريك الكامنة في أيديولوجيتهم وسيكولوجيتهم البشرية، و يثبت أيضاً بأن ما أترفوا فيه هو نتيجة هذا الافتخار لا أكثر، فقول ملك غرناطة الشاعر يوسف الثالث وهو يظهر في أبياته افتخاره بشدة قوتهِ وتحملهِ للمصاعب ويجعل من حرارة الشمس وصلابة الصحاري سبباً لإظهار قوتهِ، وهذا يدل على حقيقة الترف الذي تقلب في نعومتهِ، فيكاد لا يتحمل حتى حرارة الشمس، فالمقاتل الحقيقي الذي تربى على جزالة العيش وصعوبة الظروف لا يكترث بهذهِ الأمور وتراه يفخر في مواطن أخرى أشد بأساً وصرامةً من حر الشمس والتمتع بالظلال، وتجل ذلك في قولهِ :

ومن ظِلّ خفاق الظلال مهدل هجيراً يظلُّ السرب فيه مَروعا

ينافحُ ما بين الثنايا بهبة يعودُ بها الصحبُ الأبيُّ مطيعا[2]

وعضد هذا المفهوم عبد الرحمن بن الحكم، بقولهِ

---

[1] ينظر القصص القرآنية عرض وقائع وتحليل أحداث، الدكتور صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق-سوريا، دار الشامية، بيروت-لبنان، ط1-1998م :3: 567.

*الايزوتريك " كلمة يونانية الاصل والمنشأ تعني الخفي والخاص والعالم الباطني للاشياء/ ينظر الايزوتريك او الدرب الباطنية واهميتها في حياة الانسان، غازي او شقرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 1994 : 11 .

[2] ديوان يوسف الثالث : 171.

فكم قـد تخطيـت من ســبســـب ولاقــيــت بــعــد دروب دروبــا

ألاقـي بـوجـهـي ســـمـوم الـهـجـيـر إذ كـان منــه الحصـــى أن يـذوبـا[1]

فمن شأنه القوة والبأس لا يخشى هذهِ الظروف، ولكن من نشأ على نعومة الحياة وسلاسة الظروف وكان داخلاً في بحبوحة الترف نجد عندهُ هذهِ المعاني في القوة المزعومة فيكون حتى افتخاره داخلاً في الترف.

5- التفاخر بِالْمُلْكِ

أحد بنود نسق التفاخر في قضية الترف والتي شخصها القرآن الكريم بنسقيته الخاصة هي قضية التفاخر بالملك، ومن نتائج هذا النسق هو الإفضاء بصاحبهِ إلى الكبر وعدم تقبل ما هو دونه وذلك تحت نظرية ﴿أنا خير منه﴾، وحتى على مستوى الجدل في نزول الحقائق على الرسل، فالسبب الرئيسي ليس عبادتهم للأصنام، إنما تعلقهم بترف التفاخر ونظرية ﴿أنا خير منه﴾، وذلك ما جعل قريش تقول : **﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾**[2] ولكن المنظور القرآني عالم بمضمرات هذا الخطاب وتأثير ترف الملك والعظمة عليهم، فكان الرد القرآني على هذا النص مطابقاً لتلك النسقية المقيتة : **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**، فملك متع الدنيا لا يعني التعالي والتفاخر على الآخرين ولكن ترادف مظاهر الترف عليهم إوصلتهم لهذه التوهمات، فقول اليوسفي مُنبأٌ عن تلك النسقية :

وخير ملوك الأرض ولا فخرُ [3]

---

[1] نفح الطيب : 1: 349.
[2] سورة الزخرف : 31
[3] ديوان يوسف الثالث : 79.

يفتخر بملكه على الملوك بما توفق له من حسب ونسب وجاه وسلطة ومال وغيرهن من هذا الرتب، وعلت به الأنا الملوكية حتى أحس بفخره المعزوم لذلك ختم بيتهُ بكلمة (ولا فخرُ)، ويتابعهُ بذاك النفس ثالث ملوك بني النصر قائلاً :

أوامري في النـــاس مســـموعـة وليس مني في الورى أشـــرفـا [1]

فتكرر الفخر هذا يوحي في ظاهر الأمر أن الملقي صاحب ملك عظيم ومن حقهِ أن يفخر بما يملك، لكن المضمرات عندما يرصف القرآن الكريم حلقاتها ترسم لنا لوحة أخرى بقوانين وتراتيب مغايرة للظاهرة، وهذا ما حكاه لنا في قصة طالوت وقومهِ، فميزان الله في الملك معاكسة تماماً لمنطقيات البشر المحدودة، فالمنطق البشري منصوصٌ في حكمه في أغلب الأحيان على قراءة الظواهر وهذا ما عاكستهُ النظر القرآنية، فقوم طالوت فاخروا أنفسهم على طالوت ولأنه لم يؤتى مثل ما أُوتوا من متطالبات الملك المترفة ولذلك قالوا : **﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾** [2]، ولكن الرد القرآني لم يخض في الظواهر كما فعلوا، إنما طرح نظرية النسق في مضمرات الأمور وبرؤيتهِ السماوية التي تنظر لمضمرات الغيب فتواجه بهِ النظريات المادية، ومن هنا أنطلقت حاكمية عالم الإيزوتيريك على ظواهر الأمور، فكان رد القرآن عليهم بقوله تعالى :**﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[3] ثم أثبت بعدها نظرية الظواهر المادية وقدمَ لهم (التابوت) شاهداً حسياً حتى يطابق لهم بين المادة والمعنى، وذلك قوله : **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [4].

قارئ النصوص الأدبية لهذهِ الشريحة عندما يريد الخوض في التحليل النصي تراها لا يبعد النظر عن مستوى الجماليات من ظواهر نصوصهم الشعرية، ولكن النسق القرآني قد ولجَ في

---

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة :1: 546.
[2] سورة البقرة :247.
[3] سورة البقرة :298.
[4] سورة البقرة : 248.

مضمراتها ورسم لنا رؤية تكاد تكون مخالفة لتلك الجماليات، فحقيقة ترفهم بالملك الذي فاخروا بها إضمحل وانهار أمام واقع النسق القرآني لترف الفخر بالملك، و أبياتهم بالغزل تثبت أن فخر الملك هذا يتلاشا عند المحبوبة، ولو كان ظاهر الفخر مطابقاً للمعنى في الباطن لما تلاشا، فهذا المعتضد رغم ما عرف عنه بشدة ملكه وعظمة افتخارهِ بسلطانه فأنه يقول:

الله در الحب ماذا يصنع يعنو له ملك الزمان ويخضع

للحب سلطان عظيم شأنهُ مهما يقل قولا فقلبي يسمع[1]

فالفخر بعظمة الملك ما هي إلا زخارف ترفية تذوب عند الخوض في مضمراتها، وما الفخر عندهم إلا ألفاظ مفروغةٌ من معانيها في معظم مفاصل الفخر وهذا ما أستقرأتهُ لنا الأنساق القرآنية الكاشفة لواقعهم المترف المتمثل بصوصهم الشعرية.

هذه الصور المتلونةِ بالبواعث الفنية والتي توحي لسامعِها بعظمة النص الإبداعي ومُلقيه، فقد أثبتت مضمراتها وظواهرها النسقية أنها مليئة بمراتب الفخر والتي استمدَ مُلقيها بواعثها من الواقع المترف الذي خاض فيه، ولنتائج مضمرات هذا النسق المتمثلة بهالة الفخر مقدمات نسقية أخرى أدت إلى تفشي أيديولوجية الفخر في خفايا ثقافاتهم وهذهِ المقدمة هي نسقية التكاثر المُتجردة من نمطية شكر النعم والإسهابِ في أصنافها وأعدادها، وهذا ما أوضحهُ القرآن الكريم في تفصيل نسقية التكاثر لمظهري **الكم والنوع**، و قد اصطلح ذلك بقولهِ تعالى : ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[2]، في تصنيف نسقية التكاثر فأن التكاثر العددي قابل للحدود ولكن التعددية في المنافع من إذ النوع في التكاثر غير قابل لحدود الإحصاء للنعم الإلهية، و انتقال هذهِ النعم من حالة سد الحاجات إلى حالة الترف يتم بواسطة التكاثر، وإن مقياس التميز بين التكاثر المقبول والتكاثر الترفي هو اللهو، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿**أَلْهَاكُمُ**

[1] ديوان المعتضد : 111 (الكامل).
[2] سورة النحل : 18.

التَّكَاثُرُ﴾[1]،فتحول وظيفة التكاثر إلى مبدأ ال(لا وظيفة) والعشوائية في الإسراف ذلك هو المدار الذي شخصه القرآن الكريم بالترف، وهذهِ القرآءة القرآنية وجداناه في مضمرات أبياتهم وتراصف حلقات النسق في الظاهر، فالظواهر التحليلية توحي بالتكاثر وتعديد النعم المقبولة ولكن المضمرات وما رصفتهُ النسقية بتشخيصها القرآنية تثبت أن بواعث الترف المتمثلة باللهو هي المهيمنة على صفة التكاثر عندهم، فمهنم من كاثر النعم لنفسه لسد نقصه المادي والمعنوي من الترف، وبعضهم الآخر تكاثر بالإستحواذ على طاعة الناسِ وتوجههم إليهِ، وليثبت بأن الخير والرزق لا يأتي إلا منه وهو الذي يحيي ويميت بما لديه من تكاثر خصال مزعومة، وهذا هو ديدنُ النمرود الذي حكى لنا القرآن قصته مع ابراهيم وكيف أدى بهِ التكاثر لأن يقول : **﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾**[2]، وبهذا النص دخل تحت يافطة الترف والذي كشف لنا ذلك هو نسق التكاثر الذي أُغرق بتعدديته النوعية والكمية، ولولا هذا التكاثر لم ينطق بذلك النص، وأنثروبولوجيا النص والمُلقي هي التي فرضت هذهِ المضمرات وإظهارها بهذهِ الصورة، وذلك ما تضمنه قول الملك الأندلسي ابن رزين، وهو المدعي أن تكاثر خصاله تحيّ وتُميت :

أنا ملك تجمعت في خمس كلها للأنام محيي مميت

هي : ذهن وحكمة ومضاء وكلام في وقته وسكوت[3]

فيرى الشاعر أن هذه الصفات هي محك الحياة والممات للناس فإذا فقدت واحدة عند الناس مما يملك فلا حياة له، فزعم أن أن الحياة والممات مرهونةٌ بصفاتهِ، فجعل التكاثر بهذه الصفات وسيلة للإستحواذِ على طاعة الناس.

(1) سورة التكاثر :1
(2) سورة البقرة :258.
(3) الحلة السيراء :2: 110.

وهناك من كاثر لسدِّ طمعه النفسي، فيحاول أن لا يرتقي أحدٌ عليه ولا يكون لأحدٍ شيء وإلا ويكن عنده وهذه المنحى من التكاثر هو بؤرة الجهل، فقد ورد عن علي ابن أبي طالب عليه السلام أنه قال : "تكثرك بما لا يبقى لك ولا تبقى له من أعظم الجهل"[1]، فتسلسل حلقات السراب هذهِ في نسق التكاثر تفضي بصاحبها بأن يكون صورةً من قارون ونهاية تكاثرهِ، فتكون قراءة التكاثر لواقع روادهِ هو طول الأمل بلا أمل ولا نتيجة، وقد أكدت ذلك الدلالة لبرهنة نسق التكاثر في قول المنصور بن عامر :

ســـدتُ بنفســـي أهل كل ســـيادة وكـاثرتُ حتى لم أجـد من أكـاثر[2]

فمبدأ التكاثر مقرورٌ عندهُ في أطار الدلالة الصريحة ومستوى الدلالة النسقية، كذلك ما جاء الحكم بن هشام في قوله :

مُلـك الـورى والـعبـادة قـاطبـة لا مُلك بعض الضـــياع من هممي [3]

النسقية القرآنية مُتجذرةٌ في هذهِ النصوص، فقد ألهاهم التكاثر حتى نسوا ما هم عليه من وظيفة في الأندلس، فهم أدعوا نشر الإسلام ومفاهِمهِ، لا سيادة الملك والطمع بتكاثر تلك السطوة، فخاطابتهم الشعرية مشحونةً بهذا النفس ونسق التكاثر الذي شخصه القرآن بقوله ألهاكم التكاثر هو حقيقة واقعية أرسختها في قلوبهم تعددية مظاهر الترف المُحيطة بهم وبواقعهم، وهذا الحكم من نتاج النقد الثقافي الكاشفة لمغايرة الدلالتين الصريحة والضمنية وطرح دلالة نسقية برؤيتها القرآنية، إذ أن جمالية النص الإبداعي لا تصمد أمام حقائق التناقض المكنونةِ في المضمرات والطافية على سطوح المظاهر النسقية.

وكان المحيط القرآني في طرح نسقية التكاثر يندرج تحت محورين للتكاثر أما الأموال وأما الأولاد، وهذا ما سردهُ لنا في عدة نصوص قرآنية ومنها قوله تعالى : **﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا**

---

[1] ميزان الحكمة :1: 465.
[2] الحلة السيراء :1: 274.
[3] الحله السيراء :1: 43.

وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[1]، فالقولُ لا ينطلق إلا بأيديولوجية متجذرةٍ سابقة عليه، فطرحهم لمصطلح (نحن أكثر) مبنياً على تراتبية ترفية لمحيط ذلك النص وهذا ما ولّد عندهم هالة سيكولوجية أضفتها عليهم تعاقبية مظاهر التكاثر المنتجة لهذا الترف.

[1] سورة سبأ : 35

- **المبحث الثالث : فساد العقيدة**

حينما تلجُ بواعث الترف إلى وعاء الإنسان المُتمثل بالقلب فتكون النتيجة سلوكاً مترفاً إنبثق من الجوانح ليتحكم بالجوارح، وهذا ما شخصته النسقية في نموذج فساد العقيدة فانغماس آيدولوجيات الملوك والأمراء في باحة الترف وظهورها بتمثلات جمالية لسانية زائفة هي من شكلت لباحث النسق نسق فساد العقيدة.

شموخهم بالترف أدى إلى بعض التسافل العقدي الآيديولوجي في عالم الميتافيزيقيا الغيبي، فنسقية الترف أدت بهم إلى تقحم الثوابت والتكبر على حتمياتها المفروضةِ على كل إنسان أو ما يسمى ب**(التكبر على الغيب)** : ومنها الموت

فنرى المعتمد يأمر بأبيات تحتضن فخرهُ بنفسه وصفاتهِ أن تكتب على قبره فيوحي بهذا الأمر لقارئه أن مفاخرهُ أعلى من أن ينالها الموت، فيشمخ قائلاً :

قَبرَ الغَريب سَقاكَ الرائِحُ الغادي حَقّاً ظَفَرتَ بِأَشلاء ابن عَبّادِ

بِالحِلمِ بالعِلمِ بِالنُعمى إِذِ اِتّصَلَت بِالخَصبِ إِن أَجدَبوا بالري لِلصادي[1]

ومحرك الترف يدفع بقلبهِ نحو التفاخر والتعالي ليرى نفسه أنه أعظم من أن يحمل على أعواد :

نَعَم هُوَ الحَقُّ وَافاني بِهِ قَدَرٌ مِنَ السَماءِ فَوافاني لِميعادِ

[1] الديوان :96 (البسيط)

وَلَم أَكُن قَبلَ ذاكَ النَعشِ أَعلَمُهُ أَنَّ الجِبال تَهادى فَوقَ أَعوادِ[1]

قانون الغيب وضعهُ واسطة الغيب والشهادة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) : "كفى بالموت واعظا"[2]، فمزلق الترف حين طبع على القلوب جعل منها مصدّات لحجب الحقائق عنهم وهذا ما أظهرته قراءة النسق القرآني في قولهِ تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**﴾[3]، فجعلوا الحياة الدنيا بما تحويه من ترف وسيلتهم العقدية التي يركنون إليها ويطمئنون بها، فبنى لنا بواعث هذا الفساد شخصية متجذرةٍ الأنا ومشغوفةً بالترف الخالد وهذه السمات كانت واقع الخطاب الشعري اللساني عند شعراء هذهِ الشريحة ومن لف حولهم، ومن ثم صارت هذهِ الخطابات نموذجاً سلوكياً ظهرت لنا من خلال النسق القرآني، وكان الجواب القرآني في قولهِ تعالى : ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾[4] مجهراً كاشفاً لمضمرات نسق فساد العقيدة، فالجماليات تنبأ عن أصالتها حين دخولها في النظام القرآني النسقي.

ومن البواعث الأخرى التي ولدت نسق فساد العقيدة والذي شخصه القرآن الكريم **(القلوب العُمي):**

الذي يرون سوء عملهم حسناً، التي عرفها القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾، فمظاهر الترف توسع بؤرة البصر ليستلذ صاحبها بالنظر ولكنها تضيق وعاء البصيرة ليكون صاحبها متخبطاً عن الحكمة كالأعمى المتخبط عن طريق الصواب، وذلك قوله تعالى : ﴿**إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[5]، فموازين الجمال تُقلب بسبب نسق فساد العقيدة الذي طبع قلوبهم وجعلها عمياء، ونرى بذلك المعتضد وهو يضع حديقةً في دارهِ المترف ليست بحديقةِ زهورٍ أو باحةٍ خضراء إنما هي حديقةٍ جمع فيها رؤوس أعدائهِ

(1) المصدر نفسه : 96
(2) ميزان الحكمة :4: 3576.
(3) سورة يونس : 7
(4) سورة النساء : 78.
(5) سورة الحج : 46.

وأشلائهم وكلّ من لا يحب، وجعلها لأوقات أنسه فأنه يستلذ للنظر إليها وتبتهج نفسهُ بها و ينتابه موجة عارمة من السعادة عندما يتأمل بها![1]، وقد وصفها في أبياتٍ قائلاً :

زهر الأســـنة في الهيجا غدت زهري غرســـت أشـــجارها مســـتجزل الثمر

مــا إن ذكرت لهــا من معرك جلــل إلا تــجــلــلــتــه بــالصـــــارم الــذكــر

حتــى غــدوت وأعــدائــي تــخــاطبــنــي يــا قــاتــل النــاس بــالأجنــاد والفكر[2]

خرج معنى الفساد المنغمر بالقلب إلى الشدقات، فترجم أبيات قد تبدو ذات جمالية في تناسق نظمها ولكن الحقيقة النسقية القرآنية فضحت تلك الجمالية بالحقيقة الواقعية التي صنعها الترف في القلوب فأفسد العقيدة السلمية، فعندها أصيبت القلوب بالعمى، فالدماء والبشاعةُ ساوت الجمال و الحياة عندهم واستوت البصيرةُ بالعمى فنسخوا بهذا السلوك المنافي للسلوك القرآني قوله تعالى : ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ**﴾[3]، وهذا ما وظفه النقد الثقافي وأحيا به الأدب من جديد إذ جعل القراءة الأدبية تلج في المضمرات وتغوص في الحقيقة السلوكية لتظهر لنا حقيقة أنطباق الملقي بواقعهِ الخارجي والذي بدورهِ أنتج النص، وهذا ما جسده الغذامي بقوله " المتنبي شاعر عظيم أم شحاذ عظيم"[4]، وهنا قد شخصه لنا النسق القرآني بدلالتهِ بآن الملوك والأمراء شعراء عظاماً أم متصنعين لهذهِ العظمةِ، وهل جمالياتهم الأدبية حقيقة منطبقةٌ مع سلوكياتهم وثقافاتهم، أو تلك الجماليات لغرض التسويق بين الناس فقط؟، فما حاجة المترف للشعر كما أشارت نازك الملائكة لذلك بقولها : " قد يكون الشعر للإنسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً"[5]، فمظاهر الترف الخارجية بتراكمها المتسق على وعاء القلب أفسدت أيديولوجيات الملقي وصقلت منه نسقاً مترفاً

[1] ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :1: 27-28. / وينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :5: 153.
[2] الحلة السيراء :2: 45.(البسيط).
[3] سورة فاطر : 19.
[4] النقد الثقافي-دراسة في الأنساق الثقافية :93.
[5] ديوان نازك الملائكة (شظايا ورماد)، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت - لبنان، 1997 :2: 309.

يرى الزوائف والقبائح جماليات، وهو المصرُ [المعتضد] على أن الظلم والفتك بالناس من الأفعال الحسنة، ويردف قائلاً :

من للشجاعة والكرم إلا الظلوم المظلم

من لست تعدم عنده غير التبدل والعدم

أحيى المكارم والعلى وأقام منار الهم

يلقى العداة وسيفه قد بط هامات البهم[1]

باعث عمى القلوب جعل الموازين عندهُ معكوسةً، ومن وظائف العمى أن ترى الظلام نورا، فقد روي عن بشاعتهِ وفساده إنه دخل عليه غلاماً مرة دون استئذان أو طلب فأمربإعدامهِ[2]، في هذا الموقف مع النص السابق مضافاً عليه محيط المجتمع الملكي جعل منه يافطة للترف بكل سلوكياته فأنتج لنا نصاً مشحوناً بفساد العقيدة برؤية قرآنية متوازنة تكشف للمتلقي حقائق تلك المضمرات التي أنتجتها القلوب العُمي التي بعثت على تكوين نسق فساد العقيدة في أوعية المترفين، هذه التراتيبة في فهم الدلالة النسقية جعلت من القرآءة الأدبية أكثر دقةً ومصداقية في قراءة النصوص وملقيها، لأن النقد في هذه المنهج ذو نظرة مركبة إذ تجمع بين بيئة النص وخصائص الملقي والنص، بعد أن كان المنهج النقدي أحادي الرؤية مُقتصراً في قرآئتهِ على الجماليات والفلسفة و الفن بعيداً عن الحياة والواقع المحيط بالإنسان والذي أجبره على إنتاج هذا النص [3].

[1] ديوان المعتضد : 107.(كامل مجزوء)
[2] ينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :5: 154
[3] ينظر الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي - نسق القبيلة أنموذجا : 16.

ولعل بؤرة البواعث لنسق فساد العقيدة عند شريحة المترفين من الملوك والأمراء هو **(وهن العلاقات):**

الا والمراد من وهن العلاقات هو الإعتماد والإتكال على الزوائل المتمثلة بالأشخاص والمقامات والملذات، فعندما يبني الإنسان جسر علاقاتهِ على هذهِ الزوائل يكون هذا البناء من أوهن الأبنية، لأنه محدود المنفعة، وتتلاشى هذهِ المنفع بتلاشي السلطان والجاه الذي يملكه الإنسان، وأجمل من رسم صورة هذا الضرب من النسق هو قوله تعالى **:**

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [1].

من لطائف هذه الآية المباركة أن الوهن الذي يتحدث عنه رب العزةِ ليس عن الشباك التي تنسجها العنكبوت بخيوطها الدقيقةِ والنحيفةِ في هيئتها، فقد أثبتت الدراساتُ الحديثة أن من أقوى المواد التي تستخدم في صناعة الدروع المضادةِ للرصاص هي خيوط العنكبوت، فقد نجحت أحدى الشركات الكندية في أستخدام مادة خيوط العنكبوت لصناعة الدروع، كما أكدت أن هذه المادة الحريرة المُستخلصة من خيوط العنكبوت هي أقوى بخمسة أضعاف وأمتن من الفولاذ إذا ما قورنت وزناً بوزن [2]، ومن هذا المنطلق نستنتج أن المثل القرآني في الضعف ليس بهزالة ضعف الخيوط إنما هو ضعف العلاقات في المجتمع العناكبي، إذ أن كلمة (بيت او بيت) لا تعني المنزل، أنما تعني العلاقات بين العناكب[3]، فقد أثبت دراسات المجتمعات الحيوانية ومنهم الباحثون في جامعة (هامبورغ الألمانية) أن أنثى العنكبوت تأكل العنكبوت وتتغذى عليه بعد التزاوج به وتلقيحها، وعندما تفقص بيوضها تتغذى صغار العناكب على العنكبوتة الأم[4]، وهذا هو الوهن الذي أشار إليه القرآن الكريم، فضعف العلاقات وأضطرابها في البيت العنكبوتي هو الذي أسس نسقية الوهن في هذا البيت، فالقرآن ضرب لمن اتخذ من دون الله أولياء أن ولايته هي مصيدةُ الوهن والتي لا ترتكز على أي حقيقة، وهذا ما أظهرته النسقية القرآنية في فلتات

---

[1] سورة العنكبوت : 41

[2] ينظر خيوط العناكب لتصنيع الدروع، بحث من قبل موقع ببان (فكر وفن)، بتصرف 13-08-2021.

[3] من أ.د. أمجد حميد عبد الله الفاضل في الدراسات العليا، جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية – قسم لغة القرآن وادابه.

[4] ينظر انثى العنكبوت تاكل رجلها عند التزاوج، مجلة الرياض – العدد15890، 2011.

لسان شعراء الملوك والأمراء في الأندلس، إذ نرى أن الملك يوسف الثالث يسردُ أبياتاً نتجت عن ملحمةٍ من وهن العلاقات، يقول فيها :

يـا غـافـلاً غـره مـا جـره الـزمـن هـديـت إن الـلـيـالـي كـلـهـا مـحـنُ

لا تـغـتـرر بسـرور زائـل فـلـه بـعـد السـرور إذا دبـرتـه زن

كـم قـد أهـان عزيـزاً بـعـد عزتـه وكـم أعـز ذلـيـلاً وهـو مـمـتـهـن[1]

هذهِ الأبيات نجد في مضمرها نسقاً ترفياً أوصلهم إلى وهن العلاقات، فقد تزوج السلطان أبو الحسن بأبنت عمه (عائشة) وأنجبت له ولدين، (أبو عبدالله محمد، وأبو الحجاج يوسف)، ولكن أطماع الترف جرته إلى الزواج بنصرانية تدعى (ثريا) وقد أنجبت له ولدين أيضاً، وكانت النصرانية ترجو أن ينتهي الملك لأحد ولديها، وحاولت النصرانية بشتى المحاولات لتحقيق مطامعها بالملك لولديها، إلى أن جعلت أبو الحسن ينذر زوجته (عائشة) وولديها، و وضعتهم في برج قمارش أمنع أبراج الحمراء، مما أدى هذا العمل باضطرابات واختلافات وتذمر من المجتمع الغرناطي، فحاول حينئذ ابو الحسن قتل ولده أبو عبدالله محمد، ولكنهم أتصلوا بأعوانهم وأنصارهم لتفادي هذا الأمر، وعندما خرج أبو الحسن لقتال ملك قشتالة، استغل أبنه أبو عبدالله محمد الموقف وعاد وجلس مكان أبيه وأقفل أبواب المدينة على أبيه، فأطاعه الشعب وقد فر أبوه بنفسه إلى ملقه [2]، هذا التكالب على على الزوائل وتقديم المطامع على أقرب الأرحام هو وهن العلاقات الذي أشار إليه النسق القرآني إذ وضعوا القوانين الإلهية جانباً وركنوا إلى التكالب على الدنيا، إلى أن يصل الحد في التكالب على الترف ووهن العلاقات بفساد العقيدة إلى الاقتتال على الملك والسلطان وهذا ما وجدناه في الفتنة التي نشبت بين أولاد عبد الرحمن الداخل إذ كان عبد

[1] ديوان يوسف الثالث : 164

[2] ينظر شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، راتبة أحمد ابراهيم أبو لبدة، إشراف أ. د. وائل أبو صالح، قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين : 57-58.

الرحمن الداخل قد استقر في ولاية عهدهِ على إبنه هشام الأصغر من سليمان الملقب -هشام الرضا- لأنه كان أكفأ منه وأفضل في كثير من المواطن فشبت حينها حسكة الحسد، وحين موت عبد الرحمن وعودة هشام إلى قرطبة بايعه العوام ورجال الدولة، فغضب سليمان لذلك، وأعلن ثورته وجهز جيشاً وتوجه به نحو أخيه هشام في قرطبة والتقيا في جهيان وتقاتلا قتالاً شديداً إنتهت بهزيمة سليمان وفرارهِ[1]، ومن جهة أخرى نرى المعتضد الذي قتل ابنه البكر إسماعيل بيديه ظناً منه أنه مُتآمر عليه[2]، هذا التسافل والوهن بالعلاقات قد أشار إليه القرآن الكريم في قصته قابيل وأخيه هابيل، فأدى فساد العقيدةِ في قلب قابيل و تراكم السلوكيات الضالة إلى توهين رابطة العلاقة بأخيه هابيل، وضاقت بهِ حسكة الحسد إلى أن تقاتل مع أخيه على السلطان والمقبولية في الجاه، مع أن الأرض بوسعها كانت لهما وهما الوريثان، فلا يقل ملك الواحد عن نصف الأرض فما يريدُ أكثر؟!، ونرى التحاسد والتنافس والغيرة بين الملوك والأمراء أيضاً[3]، ولكن طمع الترف الخارج عن كل حد جعله لا يرى سوى الفساد والأفساد فجر بقلبه إلى هذه النتائج، وهذا ما صورته لنا وحدة النسق لآيات القرآن الكريم، والمقصود بوحدة النسق للآيات القرآنية هي إلتحام موضوعات السور القرآنية وإتحاد معانيها للوصول إلى مقصود واحد يعبر عن ذلك المراد [4]، وهذا ما وحدته لنا المنظومة القرآنية في قراءتها لنسق فساد العقيدة في بوابة وهن العلاقات، ومن نماذج هذا النسق القصيدة التي وجهها المعتضد لأبيه بعد خصومته معه، والذي يعتذر فيها عما بدر منه من مجنون وترف ولكن أباه لم يحتويه ويقبله ولم يأخذ ما قال بعين الاعتبار :

أَطَعتُكَ في سِـــرّي وَجَهريَ جـاهِـداً فَـلَـم يَـكُ لـي إلّا الـمـلامَ ثَـوابُ

---

(1) ينظر البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب :2: 61-62.

(2) ينظر تاريخ العرب المسلمين في أسبانيا، ستانلي لين بول، ترجمة؛ علي الجارم، تح. د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، الدار المصرية اللبنانية : 163.

(3) ينظر تاريخ أسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام (في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، لسان الدين ابن الخطيب، تح. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت - لبنان، ط2-1956: 244.

(4) ينظر وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دارستها، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدارسات القرآنية، 1428هـ، عدد 3 : 139.

وَأعمَلتُ جُهدي في رِضـــاكَ مُشَـــمِّراً وَمِن دونِ أَن أَفضـــي إِلَيــهِ حِجــابُ

وَلَمّــا كَبــا جَـدّي لَـدَيـكَ وَلَم يَسُـــغ لِنَفســي عَلى سُــوءِ المُقامِ شَــرابُ[1]

ثم يظهر شدة قسوة والده معه، وقد نفذ صبره منه :

وَقَـلَّ اِصـــطِبـاري حينَ لا ليَ عِنـدَكُم مِـنَ الـعَطـفِ إِلّا قَســـوَةً وَعِتــابُ

فَرَرتُ بِنَفســـي أَبتَغي فَرجَــةً لَهــا عَلى أَنَّ حُلوَ العَيشِ بَعدَكَ صـــابُ[2]

فَـرَرتُ بِـنَـفســـي أَبـتَـغي فَـرجَـةً لَـهــا عَلى أَنَّ حُلوَ العَيشِ بَعـدَكَ صـــابُ[3]

وفي نهاية القصيدة تكشف لنا الأنساق القرآنية المتمثلة بالنموذج القرآني قابيل واخيه هابيل والذي ذكره الله في كتابه الكريم قائلا : **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾**[4]. اثبت هذا النسق ان الترف هو الذي أنتج لنا وهن العلاقات في العائلة الواحدة وهذا ما كان بين المعتضد وأبيه، وأن الإسراف والإفراط هو الذي أولد هذا التفكك :

---

[1] ديوان المعتضد : 109.(الطويل)
[2] ديوان المعتضد : 109 (الطويل).
[3] ديوان المعتضد : 109 (الطويل).
[4] سورة المائدة : 27 : 31.

إذا كـانـت النُعمى تُكَـدَّرُ بِـالأَذى فَـمـا هـيَ إلّا مِـحـنَـةٌ وَعَـذابُ

وَلا تَقبضَـــنْ بِـالمَنعِ كَفّي فَـإنّـهُ وَجَـدّكَ نُـقـضٌ لِـلـعُـلا وَخَـرابُ[1]

بذرة الترف هي من أشجرّت هذا الوهن القائد إلى فساد العقيدة، إذ فكك قانون الله في العلاقات الأسرية وهذا ما أبرزته النسقية القرآنية في طرح نظرية بيت العنكبوت، الذي جعلت من أواصر القلوب التي توغلها الترف وهن واضمحلال لعلاقاتهم، فترى نظام مملكته قد بُنيّ على هذا الوهن و "لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت"[2] فما كاد يبن أن فساد العقيدة المهيمن عليه أوصله إلى هذا الوهن .

ومن سلسلة حلقات نسق فساد العقيدة أيضاً هي **(تحول حب الشهوات إلى أيديولوجيات [عقائد])** :

والمناط من هذا التحول هو إنتقال هذه الشهوات من حب ملصوق بالقلب إلى عقيدةٍ مبرومةٍ على شهوات الترف،مما سبب سلوكاً مفسداً للعقيدة متجذراً في كل طبائعهم وواقعهم، فتحول حينها السلوك من حب إلى إتباع وطاعة لتلك المفسدات المبثوقةِ من الترف، وهذه الإنتقالة من مرحلة الحب إلى الإتباع المُفسد للعقيدة في منظومة النسق تتم بخطوات متتالية متتابعة وبالتدريج حسب قانون النسق، وهذا هو فن الإستدراج الشيطاني لإتباع الشهوات، فالوصول إلى هذه المرحلة لا يأتي بخطوة واحدة، بل خطوات تتبعُ بعضها البعض، ولذلك قال الله تعالى في محكم كتابهِ الكريم **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾** [3]، وهذهِ الحصيلة الشيطانية التي يستدرج بها إبليس المترفي بنظام الخطوات أو ما نسميه بالنسقية، إذ يبدأ بهم بأن يعلق قلوبهم بهذهِ الشهوات، ثم يكاثرها عليهم من كلِ حدبٍ وصوب بالكم والنوع، ثم يجعلهم يتفاخرون بما أترفوا فيه، فيغرّهم بهذهِ المنظومة التي أوصلتهم بتتابع

(1) ديوان المعتضد :109.
(2) نهج البلاغة : 68.
(3) سورة البقرة :168.

خطواتها لنسق فساد العقيدة، فعندها تم التحول من حب إلى أيديولوجيا مشحونةً بالاتباع والطاعة والانصياع وراء الترف المفرط، وما هذه الخطوات إلا مقدمات لنتائج محبطة إختصرها لنا المؤرخ الإسباني خوسيه أنطونيو كونده بوصفهِ بإتباع وتتالي الانغماس بالمترفات الذي أدى بتجذر هذا النسق في كل سلوكياتهم، فيقول كونده : "سقطت العرب وهوت عندما نسوا فضائلهم ومبادئهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلوبٍ متقلبةٍ تميلُ إلى الخفة والمرح والإسترسال بالمترفاتِ والشهوات"[1]، فكانوا كما قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [2]، أطرت لنا هذه الآية القرآنية الخطوات الشيطانية المتمثلةِ بالمقدمات في إضاعتهم المبادئ الإسلامية وإنغماسهم بالشهوات فجر ذلك إلى الإتباع فكانت النتائج السقوطاً من القمة وذلك قوله فسوف يلقون غيا، وقد شهد بهذه السلوكيات مؤرخ الأندلس ابن خلدون في مقدمتهِ قائلاً " أذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾"[3]، ما كان في الجَنان من ترفٍ مفسدٍ للعقيدةِ كشفه النسق القرآني للعيان من خلال أبياتهم، فنلمس تحول الحب إلى أيديولوجيات تحوي في بطائنهاالاتباع والإنقياد والطاعة للشهوات والترف وهذا ما كشفه لنا النسق القرآني في مضمراتِ ألفاظهم، فنجد يوسف الثالث يتحول عنده الحب إلى عقيدة متبعة يصنع من أجلها كل شيء، حتى يصل إلى مرحلة الإذلال الأقصى فيضع نفسه أسيراً للهوى و فادياً لنفسه في سبيلهِ و مرغماً خديهِ بالتراب تحت وطئةِ المحبوبة وكل ذلك لإرضاء ترف الشهوةِ المكتنز بين أضلعهِ و المُتفلت من شدقاتِ شفاههِ، فيفصح بذاك قائلاً :

---

[1] عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1- 1979م : 110.

[2] سورة مريم : 59..

[3] تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط4 :1: 144.

حقاً ألفتُ السُّـــهد فيك مع الضـــنا ورضـــيتُ ذَلي في الهوى بســـؤالك

وقنعـت بـالتمليـك طوعـاً للهوى شـــغفـاً وحبـاً أن أفوز بمـالـك

وهضـــمـت حق المجـد وهو ممنع ورضـــيتُ قتلي أن رضـــيتَ بذلك

وبســـطتُ خدّي أن رضـــيتَ بوطئه أهنـأ بعيش مســـعف بوصـــالـك[1]

ونراه في موطن من القصيدةِ نفسها يؤكد هذا المضمون قائلاً :

مرغـتُ خـدي رغبـة لـك في الثرى ونشـــبت كفي في فضـــول ردائك[2]

ولم يكتفِ بهذا الحد إذ وصل به التحول في فساد العقيدةِ إلى عبادة الهوى، ويفتخر بأنهُ عابداً لهواهُ وشهواته، فيقول :

إن رغبتم فرغبتي في رضـــاكم أو حـكـمـتـم فـأمـركـم لامـتـثـال

أنـا عبـد الجمـال نعتـاً و وصـــفـا ووجـودي بـعـيـن ذاك الـخـلال[3]

تجلت حقيقة هذهِ الأبيات في قولهِ تعالى : ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[4]، وعضد ذلك المضمون في سورة الجاثية قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ**

---

(1) ديوان يوسف الثالث : 89 (الكامل).
(2) المصدر نفسه:89.
(3) ديوان يوسف الثالث : 98 (الخفيف).
(4) سورة الجاثية : 23.

بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]، أي " (أفرأيت) يا محمد (من اتخذ إلهه هواه) أي اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يخافه، فاتبع هواه في أموره، ولا يحجزه تقوى، عن ابن عباس والحسن وقتادة.وقيل: معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلت الدلالة على أن العبادة تحق له، فإذا استحسن شيئا وهواه اتخذه إلهاً.وكان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه، رمى به،وعبد الآخر، عن عكرمة، وسعيد بن جبير وقيل: معناه أفرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده، ويرتكب ما يدعوه إليه، ولم يرد أنه يعبد هواه، ويعتقد أنه تحق له العبادة، لأن ذلك لا يعتقده أحد "[2] فتحول الإله في قلبه إلى شهوةٍ يعبدها وهو مُنقادٌ إليها فلا يرى ولا يسمع ولا يعقل سواها، وكذا الحال مع إنموذجٍ آخر من شريحة الملوك والأمراء في الأندلس وهو المعتضد الذي أظهر جماليات الفخر والشدة في ظاهر نصوصه ولكن في مجهر النسق القرآني كُشفت المضادات لتلك الجماليات، فنراهُ مع شدتهِ وصرامته وبطشِ سلطانهِ ولا يستطيع الوقوف أمام سلطان الشهوة فباتت عنده عقيدة مُتبع لها بما تأمرُ وتنهى عليه، وذلك قولهُ الذي به يصرح عن ضعفهِ وانقيادهِ لتلك الشهوات :

لله در الحب ماذا يصنع يعنو له ملك الزمان ويخضع

للحب سلطان عظيم شأنه مهما يقل قولا فقلبي يسمع [3]

فوقع في شباك منظومة الترف و اصطادته شهواتها بشباكها المفسدةِ للعقائد والضمائر، ويعترف بأنهُ فريسة سهلة، طُعمُها الشهوات :

وكنتُ الدهر أصطادُ المعالي فقد أصبحت من صيدِ الملاحِ[4]

---

[1] سورة الفرقان : 43 - 44.
[2] مجمع البيان :9: 130.
[3] ديوان المعتضد :111 (الكامل).
[4] ديوان المعتضد : 111 (الكامل).

لا يقف عند حد الضعف والانقياد بل يتعدى لأن يصف تسليمه واتباعه وطاعته لأوامر المحبوب كطاعته وهو مسلم لله :

يجور على قلبي هوىً ويجير ويأمرني إن الحبيب أميرُ

أطوع لأمرِ الحب طوع مسلمٍ وإن كان من شأني إبا ونفورُ [1]

ويجعل عذاب قلبهِ وجحيمه عشقه وعبادته لذلك الإله الذي انعقدت شهوة حبه على قلبهِ، فجعل عرش الله وهو القلب[2] عرشاً لها، والنظر لها هي جنة، فيقول :

رعى الله من يصلى فؤادي بحبهِ سعيراً وعيني منه في جنة الخلدِ[3]

هذا ما وصفه لما المولى جعفر بن محمد الصادق حينما ما سألهُ المفضل بن عمر عن العشق قال عليه السلام : **" قلوب خلت عن ذكر الله، فأذاقها الله حب غيره"**[4].

هذا الانقياد اللا شعوري في أنثروبولوجيا الملقي جعل من قلبه مدعاة للفساد في تراتبية متتابعة ارتكزت بواقعهِ المترف المحيط به، والنص المشحون في مضمراتهِ النسقية لذلك الحال والسلوك، وهذا ما لمسناهُ أيضاً في النصوص الشعرية لابنه المعتمد بن عباد، إذ إلتسق به هذا المرض فبات حتى طيفهُ مشحوناً بهذهِ السلوكيات، ففي أحدى غزواته أشتكى الفراق والبعد عن المحبوبة فزاره طيفها في إحدى الليالي وأخبر وزيره بذاك قائلاً : " وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرتني من توجعي، ومكنتني من رضابها، وفتنتني بدلالها وخضابها"[5]، وبعدها ينشد قائلاً :

---

[1] ديوان المعتضد : 114(الطويل).
[2] ينظر بحار الأنوار : 58 : 39.
[3] ديوان المعتضد : 110 (الطويل) .
[4] الأمالي، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، تح. قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة للنشر والتوزيع، ايران - قم، ط1 - 1996 : 765.
[5] نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب :4: 279.

أبـاح لطيفي طيفهـا الخـدَّ والنهـدا فـعض بـه تـفـاحـة واجـتـنـى وردا

وألثمني ثغراً شـــممـت نســـيمـه فخيـل لي أني شـــممـت بـه نـدا

ولو قـدرت زارت على حـال يقظـةٍ ولكن حجـاب البين مـا بيننـا مـدا[1]

ويردف الكلام منغمساً بشهوة طيف محبوبته طالباً منها السقيا، ومتغزلاً بمحاسنها، قائلاً :

ســـقى الله صـــوب القطرِ أم عبيـدة كمـا قـد ســـقـت قلبي على حره بردا

هي الظبي جيـداً والـغزالـة مقلـة وروض الربى فوحا وغصـن النقا قدا[2]

التحول الأيديولوجي في مضمار العقيدة الفاسدة أوصله إلى هذا الإتباع، إلى أن يصل بهذا الحال بأن جزئه التكوين تعلق بهذهِ الشهوة فيكاد يكون معدوم الحياة معلول البدن عند الفراق، وهذا ما أثبته بقوله :

الـقـلـب لـج فـمـا يـقصـــر والـوجـد قـد جـلَّ فـمـا يســـتـر

والـــدمـــع جـــارٍ قـــطـــره وابـــل والـجســـم بـالٍ ثـوبـه أصـــفـر[3]

هنا تجلت حقيقة التنافر بين الجماليات التي أظهرها في انسجام نصهِ وبين هذا الانطباق الحاصل والتتابع في السلوكيات وتحولها إلى عقائد مجبولةً على الترف إذ وصل الحال بهم في بعدهم عن الترف يخفتُ وهجهم، وهذه حقيقة سلطانهم الواهي، إذ يرسمون عروشهم وملكهم بصورةٍ عظيمة

(1) ديوان المعتمد : 7 (الطويل).
(2) المصدر نفسه : 7.
(3) ديوان المعتمد : 15 (السريع).

وحقيقتها سرابٌ بقيعة يحسبها الظمآنُ للشهوات ماء وما هي إلا صروحٌ واهية بُنيت على رمال متحركة، وهذا ما جسدهُ ابن رشيق حين عرض عليه زميله ابن شرف الدخول للأندلس، فقال منشداً :

مـمـا يـزهـدنـي فـي أرض أنـدلـس أسـمـاء معتمـد فيهـا ومعتضـد

ألقـاب مملكـة في غير موضـعهـا كالهر يحكي انتفاخاً صـولة الأسـد[1]

فأظهر المجهر النسقي القرآني فساد العقيدة والقلوب المجبولةِ على الشهوات وتهافت الشموخ المزعوم أمام هذه الحقائق.

جرنا هذا التحول في منظومة نسق فساد العقيدة إلى حلقة أخرى من سلسلة هذا النسق وهو **(دين المترفين)** :

إذ كشفت الدلالة النسقية القرآنية في واقعية أبياتهم الشعرية أن الترف سرى في عروقِ مفاهيمهم الإسلامية وما يدينون به من طقوس، وهذا ما وجدناه بمطابقة أنثروبولوجيا مُلقي النص مع الواقع المحيط به، بمعنى آخر أن مفاهيم الدين جاوزت حد الاعتدال عندهم فشرّعوها على طقوسٍ مطابقةٍ لعقائدهم المترفة، فالمجون والغناء وانغماسهم في الشهوات التي سرت من خلالهم إلى رعيتهم فبالراعي تصلح الرعية وبهِ تفسد، والعلاقة بين الشعوب وقادتها هي علاقةٌ طردية كما أشار لذلك المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون فلا يوجد جماهير بلا قائد والعكس صحيح وما جرى فيهِ [القائد] سرى إليهم[2]، فاستخدموا الدين ذريعة لتسويغ الترف بكل جوانبه، فأصبحت أعتقاداتهم وعباداتهم وتوجاهتهم كُلها مُؤّدلجةً نحو منظومة الترف، فباتت وحدة القياس عندهم في الحياة هي منظومة الترف، وباضمحلال هذه المنظومة تضمحل آمانيهم ويعشو وهجهم، وسرى ذلك دين المترفين في طقوسهم، فنرى مفهوم الزهد عندهم هو الإبتعاد عن الترف،

---

[1] سيرة أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح. شعيب الأرنؤوط محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط9- 1993 :18: 583.

[2] ينظر سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط1-1991 : 227.

والإعتكافُ عن الملذات، فصار البرزخ عندهم هو الترف، فأما أن تملك كل شي لتعلو، أو تفقد كل شيء لتدخل في الزهد وتنجو؟!، ونسوا أن حقيقة الزهد ليس أن لا تملك شيء، بل أن لا يملكك شيء[1]، فما فائدة أنهم فقدوا كل شيء ولكن قلوبهم وعقولهم وتوجهاتهم معلقةً بالترف وحياة الترف، وهذا ما جسدوه في أبياتهم الشعرية فعندما نرى المعتمد يذم الدنيا وما فيها في بعض أبياتهِ زاهداً في ملذاته هذا ليس لأنه أكتفى من شهواتها وهجرها، وإنما بساط الملك والسلطة سُحب من تحت قدميهِ قصراً وذلا، بعدما حُبس في سجن "أغمات"، وتشردت عائلتهُ وبناته يعملن بالغزلِ ليجمعن قوتهن[2]، فعندما ما رأى حالهُ وحال عائلته تألم وقال :

غَريـب بِـأَرضِ المغربينِ أَســيرُ سَـــيَبكـي عَلَيــهِ مِـنبَرٌ وَسَـــريرٌ

وَتَنـدُبُـهُ البيضُ الصَــوارِمُ وَالقَنـا وَيـنــهـلُّ دَمـعٌ بـيـنَـهُـنَّ غَـزيـرُ

ســيَبكيهِ في زاهيه وَالزاهرُ النَدى وَطُـلاّبُــهُ وَالــعَـرفُ ثَـمَّ نَـكـيـرُ

إِذا قيـلَ في أَغمـاتَ قـد مـاتَ جودُهُ فَمـا يُرتَجى لِلجودِ بَعـدُ نُشـــورُ[3]

إلى أن يقول :

مَضـــى زَمَنٌ وَالمُلكُ مُســتأنِسٌ بِهِ وَأَصـــبَحَ مِنــهُ اليَوم وَهوَ نَـفـورُ

بِرأيٍ مِن الدهرِ المُضـــلِل فاسِـــدٍ مَتى صَـــلُحَـت لِلصـــالِحينَ دُهورُ

---

[1] ينظر ميزان الحكمة : 4: 2990

[2] ينظر المعتمد بن عباد (الملك الجواد الشاعر المُرزَّا)، عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 : 70.

[3] ديوان المعتمد : 98. (الطويل)

أَذَلَّ بَني ماءِ السَماءِ زَمانُهُم وَذَلَّ بَني ماءِ السَماء كَبيرُ

فَما ماؤُها إلّا بُكاءً عَلَيهِمُ يَفيضُ عَلى الأَكبادِ مِنهُ بُحورُ[1]

فتراهُ ينعى ما فاته من الترف ولم ينعى ما فاتهُ من دينه الحقيقي، فأصبح الترف له ديناً، ويبقى متأملاً أن يعود لما فيه وذلك لما عُقد في قلبه من ترف وما أسبغته عليه الشهوات من فساد عقيدة وسلوك مترف، فيقول:

فَيا لَيتَ شِعري هَل أَبيتنّ لَيلَةً أَمامي وَخَلفي رَوضَةً وَغَديرُ

بِمُنبَتَةِ الزَيتونِ مورثة العُلى يُغَنّي حَمامٌ أَو تَرِنَّ طَيورُ

بِزاهِرِها السامي الذَرَى جادَهُ الحَيا تُشيرُ الثَرَيّا نَحوَنا وَنُشيرُ

وَيلحُظُنا الزاهي وَسعدُ سعودِهِ غيورَينِ وَالصَبُّ المُحِبُّ غَيورُ

تُراهُ عَسيراً أَو يَسيراً مَنالُهُ إِلّا كُلّ ما شاءَ الإِلَهُ يَسيرُ

قَضى اللَهُ في حِمصَ الحِمامَ وَبُعثِرَت هُنالِكَ مِنّا لِلنُشورِ قُبورُ[2]

[1] ديوان المعتمد : 99 (الطويل).
[2] المصدر نفسه.99

يأمل لو ليلة يعود به الزمان لعاد لما كان، وهذا ما أُجبل عليه قلبه، وذلك ما كُشف في قولهِ تعالى : ﴿**بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾[1].

نرى خلاصة دين المترفين والتعريف بطقوسه المترفة متجسدةٌ في قولِ خاتم النبيين محمد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم، وهذا القول جامعاً مانعا مُفصِلاً لكلِّ مُختلجاتِ هذهِ الفقرة، فقال الذي لا ينطق عن الهوى واصفاً نسق فساد العقيدة للدين المترف بأن هؤلاء **" بطونهم آلهتهم، ونساؤهم قبلتهم، و دنانيرهم دينهم، وشرفهم متاعهم، .....مساجدهم معمورة من البناء، وقلوبهم خراب عن الهدى، علماؤهم شر خلق الله على وجه الأرض"** [2].

وكذا قول أمير البُلغاء علي بن أبي طالب عليه السلام : **" همّتهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم، أُولئک شرّ الخلق، لا خلاق لهم عند الله"**[3].

هذا التنسيق الحديثي يقابله النسق القرآني المستنبطةِ من نصوصهم الشعرية في باعث دين المترفين لنسق فساد العقيدة، فخلف نافذة الجمليات المشحونة في نصوصهم الشعرية بوصف القصور وكثرة المال و غزل النساء، نجد أن هناك سلوكيات أحاطت ذلك النص فولجت في قلوبهم فلم تعد مجرد جماليات إنما أصبحت دين يتعبدون به وينقادون خلفه.

عندما يصبح هوى ملأ البطون آلهة تتخذ ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۚ**﴾[4]، فيكون الجواب حينها :﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[5]،

وحولوا القبلة في قلوبهم فصارت نساءهم هي قبلتهم، ﴿**امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ**﴾[6]، فالتذلل والتخضع والوهن أمام النساء جعلت القلوب مملوكةً موجهةً نحوهن، فينهارون أمامهن ويركعون أمام حسنهن، والأموال باتت دين لهم ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، ولكن الدين الحقيقي يكون حصناً من

---

[1] سورة الأنعام : 28.
[2] بحار الأنوار :22: 453.
[3] كنز العمال في السنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تح. الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط1- 1989 :11: 192.
[4] الجاثية : 23.
[5] سورة الحجر : 3
[6] سورة النمل : 23.

كل مكروه، ولكن عندما جعلوا دينهم دنانيرهم كانت النتيجة : ﴿**مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[1]،فكان حصيلة نتاج نسق القرآن بترجمان الحديث النبوي هو نتيجةٌ مضادةٌ لذلك الوصف المرونق والمُزخرفِ بفني الجماليات اللفظية والصور الشعرية، فعندما تتضافر الآيات القرآنية لتشكيل موضوع، يكون ذلك التنسيق مجهراً لنصوص الملوك والأمراء الشعرية وتكون النتيجة قراءة جديدة تستقرء الواقع الخارجي للنص والملقي مضافاً إليه النصف الآخر لسلوكيات الملقي الذاتية المستبطنة لهالة الترف عند الملوك والأمراء في الأندلس.

نسق فساد العقيدة قد نشأ من بؤرة الترف التي طغت على واقعهم في كل جوانبهِ فبات عندهم سلوكهم على مستوى الأفعال والأقوال، وما هدر منهم عن طريق الأبيات الشعرية كان حاوياً على كمٍ هائلٍ من فساد العقيدة، وهذا ما جرف ألسنتهم للنطقِ بهذه الصور التي عدت قبل النقد الثقافي وحاكمية النسق القرآني بالجماليات، نعم قد يكون النسق اللفظي ذا رونقٍ وطلاوة ولكن النسق عندما يتحول من اللفظ ليحاكي الأنثروبولوجيا المُلقي مع النص وبرؤيتها القرآني قد تكون النتيجة عكسيةً أو مساويةً مطابقة، وما لمسناهُ في نسق فساد العقيدة كان عكسياً بواقيعتهِ عما ترآئ بالألفاظ.

[1] سورة الحاقة : 28-29.

الفصل الثالث

الأنساق القرآنية باعتبار الترف وآثاره

- المبحث الاول : استحباب الدنيا على اللآخرة.
- المبحث الثاني : العقل الجمعي المترف او الانصياع المجتمعي للترف.
- المبحث الثالث : أفول النظام وسراب قوته.

الفصل الثالث : الأنساق القرآنية باعتبار الترف وآثاره

بعدما استدرجت مظاهر الترف الطبقة الحاكمة من الملوك والأمراء الشعراء في الأندلس وبدى ذلك عن طريق نصوصهم الشعرية، أعقب ذلك آثاراً للترف برزت في واقع النصوص ومُلقيها ومُحيطهما، ومن ذلك تُعرض أنساق الترف وآثاره بقراءة قرآنية تجمع بين التنظير في منظومة الآيات القرآنية، والتطبيق عن طريق النماذج والأمثلة، وهذه القراءة في تأثير الترف تأخذ من الرؤية القرآنية لهذه النصوص وملقيها والواقع الذي شارك في نسجها، ونطرح الآثار التي ولدها الترف في هذه الطبقة عن طريق كشف النصوص الشعرية لهم واستظاهر النسق القرآني الذي تحويه هذه الآثار .

المبحث الأول : استحباب الدنيا على الآخرة

في نظام سُلم الأولويات نرى أن الإنسان يُبرمج أهدافهُ في نظام الأولى فالأولى، والأهم ثم المهم، وفي دائرة جلب المنفعة ودفع الضرر والسير نحو التكامل و الإبتعاد عن التسافل، و الركون إلى الثوابت ونبذ الزوائل، وهذه الرؤية هي للإنسان الناظر بعين الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، ولكن عندما يطفو الترف على سلم هذه الأولويات تكون حينها النتائج عكسية والرؤية مقلوبة، فيترك الترف أثرهُ الملحوظ على تلك الأهداف، وتكون الغاية نحو التسافل لا التسامي، والخنوع والخضوع لمتطلبات الهوى والنفس، والإنقياد نحو الشهوات والملذات، فيتحول الترف من وسيلة لبلوغ زخرف الدنيا إلى غاية يفني وجوده من أجلها، فتكون حينها وظيفة وجوده على هذه البسيطة هي السعي وراء الخلود في باحة الترف، والرتوع على مشاربه، حتى تصبح عنده معايير الحياة والأفضلية في رُقي العيش هو التسامي بالترف، ويترك أثره في نصوصهم العارضة لمضمراته واقعهم المترف الذي يجعلهم يستحبون الدنيا على الآخرة والزوائل على الثوابت، والترف على التواضع والإقتصاد، لأن استيطان الترف فيهم ترك هذه الآثار عليهم، وذلك قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ**﴾[1]، في هذا النسق ظهرت لنا لوحة نسقية قرآنية تحوي في أكنافها الجانب التنظيري المعرف بالآيات والآخر التطبيقي المبين بالنماذج والأمثلة، فمن الأمثلة ما فعله بلعم بن باعوراء الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد في قوله ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]، وقال فيه محمد بن علي الباقر عليه السلام **" [أنّ نزول الآية] الأصل فيه بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة."**[3]، وكذا قول الرضا عليه السلام فيه **" أخلد**

---

[1] سورة ابراهيم : 3.
[2] سورة الأعراف : 175-176
[3] تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، مكتبة الصدر، ايران - طهرآن، ط2- 1416 :2: 253.

إلى الأرض: مال إلى الدنيا واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات فحططناه."[1]، فقيل فيه في **" بعض الأحاديث أنه ممن آمن بلسانه، ولم يؤمن قلبه فإن له أشعارا ربانية وحكما وفصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره للاسلام"**[2] ، ما صوره النسق القرآني في نموذج بلعم بن باعورا كان مثالاً لشعراء الملوك والأمراء وما خلفه الترف عليهم من آثار ظهرت في أبياتهم الشعرية عن طريق القرآءة النسقية القرآنية التي قاربت واقعهم مع نصوصهم الشعرية، فجماليات الصورة الإبداعية التي إنسابت من شفاههم ناقضت واقعهم المترف المتقمص لسلوكياتهم وهذا ما نراه في موضاعاتهم الشعرية، إذ ابحروا بالفخر والخلود والركون إلى الدنيا، ووصف أدق تفاصيلها من قصور ومجون وخمر وسمر، وامتدحوا كل الزوائل، فالناظر لإذعانهم و تفضليهم وإستحبابهم للدنيا تنتفي عنه الرؤية الإيمانية لشيءٍ اسمه الآخرة، ولعل اجل مصاديق هذا الاستحباب نلمسها في نظمهم الديني، فقدموا غث القولِ على سمينه، وعرضه على جوهره، في مدائحهم النبوية متبعين بذلك البنية الجاهلية، في تقديم ذكر المحبوبة في بداية القصيدة ثم التعريض بالممدوح والختام بالفخر والسلطنة، هذه البنية قد تعتبر من أهرامات البُنى الشعرية في المجال الأدبي، إذ سرى على ديدنها فحولة شعراء العرب، ولكن نظام هذه البنية وتراتبيتها لا تنسجم مع النسق الثقافي القرآني لأن "أي اختلال في هذهِ العلاقة بين العناصر تفقد النسق توازنه، وتغير معالمه"[3] فالنسق "ما كان على نظام واحد عام"[4] من ناحية اللفظ والمعنى والمحيط كنظام الخرز و "ما يتولد عن حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية، باعتبار أن لهذه الحركة انتظاماً معيناً يمكن ملاحظته وكشفه، كأن نقول إن لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها، أو إن العناصر المكونة لهذه اللوحة من الخطوط والألوان تتألف على وفق نسق خاص بها "[5]، وحين مخالفة البنية لهذا الميزان تكون **البنية عوراء.** لانها خالطت آجن بصافي، وصالحاً بسيء ﴿**خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ**

---

[1] تفسير الصافي : :2: 253.
[2] ابن كثير : 2: 276.
[3] القراءة النسقية السلطة البنيوية ووهم المحايثة :120
[4] العين (مادة نسق) :5: 81.
[5] تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : 193.

سَيِّئًا﴾[1]، فالخط السماوي المتمثل بالقرآن والعترة الطاهرة لا يخالط بغيرهِ او يعلا عليه موضوع او غرض، فخصوصية الكتاب والعترة لا تخضع للأدوات او المناهج التي تخضع إليها الأدباء والأدب، فعندما " قدم رجل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني أحبك وأحب فلانا، فقال عليه السلام: أما الان فأنت أعور، فاما أن تعمى وإما أن تُبصر، ثم تلا عليه هذه الآية ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[2] "[3]، وفي موضع آخر يشير المولى إلى نفس الفكرة قائلاً : **" لا يُقاس بنا أحد"**[4] فبنية القصيدة عندهم في المدائح النبوية حين تبعت في نظمها و منهجيتها **بنية المُخالطة العوراء*** نُقِدت من قبل النسق القرآني فكانت النتيجة مقارنة الزخرف الدنيوي بالنعيم الأخروي، والسكن إلى ترف واستحبابه وتقديم المحبوبة او السلطان في سلم أولويات الخطاب، وما نموذج المدائح إلا غصن من شجرة هذا النسق وأثر الترف فيه، فكما إن المال مادة الشهوات[5]، فإن الإخلاد هو مادة الاستحباب، وطبيعة الإنجذاب إلى قطب الشهوات تستدعي هذا الاستحباب والتفضيل، ومن نماذج هذه المُخالطة في نسق الاستحباب منظومة ابن الأحمر[6] في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر معجزاته، والذي أبتدها بإستذكار ديار المحبوبة، والشوق إلى لقائها، قائلاً :

تراءت بباب السرحاين ديارها فروض روض الود إذ ازديارها

ديار بها أرسلت دمعتي هوى غداة بها نفسي أطيل اعتبارها

---

[6] سورة التوبة : 102

[2] سورة الأحزاب : 4.

[2] بحار الأنوار :27: 58.

[3] نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري، منشورات مكتبة الإمام المهدي، ايران - قم، ط1- ١٤١٠ه : 124.

*بنية المخالطة العوراء هي تسمية اطلقت على البنية التي خلطت بين بنية القصيدة الجاهلية وبنية القصائد المولودية و الإلهيات والزهديات وكل ما ينضوي تحت منهج الخط السماوي، فحين تكون البنية خليط من المنهج الدنيوية والآخر الأخروي تكون بذلك مخالفة لتراتبية النسق الثقافي .

[4] نهج البلاغة : 495..

[6] هو إسماعيل بن يوسف بن القائم بأمر الله، كنيته أبو الوليد المتوفى سنة (807 هـ) ، صاحب كتاب نثير الجمان في نظم فحول الزمان .

وقفت بها مستوقدا نار لوعتي وقد أججت في ساحة الشوق نارها[1]

ويزداد شوقه إلى محبوبتهِ، ويسترسل في الأبيات البيعدة عن موضوع القصيدة في المديح النبوي :

أزور ولو أن السيوف شواهر وادنو ولو أن الجحيم مزارها

ليمر بريح البان مسرى نسيمها فيعبق نشراً اذ يهب انتشارها

وقالوا: شبيه مهجتي بلحاظها سواداً، ولكن ذاك منها انكسارها

وقالوا: حمامات الهوى قد تطايرت فقلت : بجو القلب، وهو مطارها [2]

لو كانت الحروب مستديمة والوصول الى دارها هو الجحيم فيجب أن يصلها لشدة شوق لقائها، فهذا الهيام في الطلل هل ينسجم مع المديح النبوي الذي يليه ؟، وبعد كل ذلك يعرض للمدائح النبوي لأجل نسيان مرارة الشوق وليس لأجل مديح النبي، وذلك قوله :

تطاول ليلي في قصير منامه فعيني أذيلت بالسهاد غرارها

واشغلت نفسي في امتداح محمدٍ وتلك معالٍ قد اقيم منارها[3]

ويذكر بعض المعجزات للنبي الأكرم، وثم ينتقل إلى مدح السلطان والفخر بملكه، ويطنب في خاتمة القصيدة بهذا الغرض، فمنها ينشد قائلاً :

---

[1] نثير فرائد الجمان : 378 (الطويل).
[2] نثير فرائد الجمان : 378 (الطويل).
[3] المصدر نفسه : 379.(الطويل).

هم جـالـدوا قرنـا فمـاد لـدى الوغى فـأجري من تلـك الـدمـاء ممـارهـا

من القوم قد فضـــوا ببيض ســـيوفهم ســـواد صـــفوف قـد أقيم مغـارهـا

مطاعين والصـبح اسـتضـاء اتضـاحه مطـاعيم والـجلى أجيـل اعتكـارهـا

طـوال الـقـنـا ســـم الأنـوفِ وإنـهـم أبـاحوا العطـايـا حين تحمى ذمـارهـا[1]

ويقول أيضاً :

وملكـهم الســـامي الـذؤابـة فخره بـه رص في بيـت الملوك افتخـارهـا

ابـو عـامـر فـخـر الـمـلـوك أقيـم فـي مـراقـي عـلاهـم إذ حـل كـبـارهـا

.

أبوك الرضـــا بـالملـك وصـــاه فيهم فـأنجم ذاك الســـؤل ضـــاء ازدهـارها

ومـن بـيـنـهـم مـن قـاد خـيـر خـلافـة إلـيـك عـلـى طـوع فـأردي نـفـارهـا

حـبـوت بـرفـع لا بـخـفـض عـوامـلا نصـــبـت بهـا لمـا أقيم اختيـارهـا[2]

[1] نثير فرائد الجمان : 378 (الطويل).
[2] المصدر نفسه : 378 .

فكانت المدائح النبوية بين ذكر المحبوبة و الفخر بالسلطان فاقدةً لطعمها الروحي المغذي للإيمان .

قد يكون النص في البعد الجمالي ذا رونق عالٍ عند بعض المتلقين، وبعضهم وصفه بالتكلف[1]، ولكن في الحاكمية النسقة ذات العمق القرآني تختلف الأحكام، وتنتقض الفنيات التعبيرية لتحل محلها الواقعية النسقية المضمرة في مطويات السلوك والألفاظ، فابن الأحمر جعل ظرف الشوق والحرمان من المحبوبة يولجئه إلى المديح، فكانت الدنيا المُتمثلةِ بالمحبوبة ولقائها ومفاتنها مقدمةً على الخط الأخروي المُتمثل بسيد الكائنات النبي الأكرم عنده، وكذا قصيدتهُ الأخرى التي سار فيها على نفس الديدن، وهي تكاد تكون مشابة للقصيدة السابقة، وقد حذا على أثرهِ يوسف الثالث من بني الاحمر في مولديتهِ التي عرضَ على مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مقتطفاتٍ قليلة من أبيات القصيدة إذ طغى قصيدةَ الوقوف على الطلل والعتاب والشكوى ومن ثم عرج على ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بهوامش القصيدة، موافقاً إسماعيل بن الأحمر في بنية مولديته السابقة، فابتدأ مطلعها قائلاً :

خليلي مهلاً فـالزمـان كمـا تـدري ولا بـد من يســر على أثر العســر

فمهمـا دهى صـــحوٌ فلا بـدَّ من قَطر ومهمـا دجـا خطب فلا بـد من فجر[2]

فابتدأ بندب الخليل والشكوى والموعظة وذكر المواقف الصعبة في الحرب والسلم، ويستمر على هذا النحو ومن ثم يعرج إلى ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأواخر القصيدة قائلاً:

رضـيت بما يرضـاه ربي وناصـري مجـاهـدةً بين الســيوف البواتر

[1] المصدر نفسه : 187.
[2] ديوان يوسف الثالث : 89.(الطويل).

وبين افتكاري في العدو المحاصر أنادي إلاهاً عالماً بالسرائر

عسى عطفة من عالم النهى والأمر إليه استنادي إذ حلت ركائبي

عليه اعتمادي في جميع المطالب وخير شفيع من لُؤيّ بن غالب

وأتباعه ما بين سبط وصاحب وما جاء في الفرقان والشفع والوتر[1]

فالديدن واحد يفضي في نهايته إلى نسق الإستحباب الذي تولد من أثر الترف، المؤثر للملذات على المُقربات إلى الله، والمتابعة في المسير على هذا خط تحتم نتيجة هذه الآثار، التي جعلتهم يرون الدنيا هي دار القرار، ف﴿ **رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا**﴾[2] .

فأصبحت الدنيا عدنهم هي الحيوان والنعيم الذي يأملونه، فقلبوا بذلك النظام الإلهي القائل ﴿ **وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[3] قُلِبة عندهم معظم المفاهيم، لأنهم أسسوها على حد تعلقهم بالدنيا وتأثرهم بالترف، ومن هذه المفاهيم هو **مفهومهم للزهد،** إذ نظروا إليه [الزهد] بأنه التعفف والأعتكاف عن كل الشي والركون إلى الذلة والمسكنة، فما نظموه إلا عند تنغص ملكهم وزوائل ترفهم، ففي بحبوحة السلطة والملك واستقرار حكمهم أستحبوا الدنيا على الآخر، واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير، ولو ردَّ لهم الترف لعادوا لما نهوا عنه، وذلك قوله تعالى : ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ﴾[4]

ونرى ذلك متجلياً في نموذج الترف والتاريخ المنغمس بالشهوات والإقبال عليها وهو المعتمد بن عباد، فيقول :

---

[1] المصدر نفسه : 89 -91 (الطويل).
[2] سورة يونس : 7.
[3] سورة العنكبوت : 64.
[4] سورة الأنعام : 28.

أرى الدنيا الدنية لا تواني فأجمل في التصرف والطلابِ

ولا يغررك منها حسن برد له علمان من ذهب الذهابِ

فأولها رجاء من سرابٍ وآخرها رداء من ترابِ[1]

وما هذه الأبيات إلا آثار تجربة استحب بها الدنيا على الآخرة فكانت هذه النتائج، وما قالها إلا حين سلب منه ملكه وأُسر ونَفرت الدنيا عنه، وخير شاهد لكلامنا هي أبياته في أسره، التي يصف فيها النعيم الذي كان فيه وكيف أوصله الدهر إلى هنا، فيقول :

تبدلت من عز ظلّ البنود بذل الحديد وثقل القيودِ

وكان حديدي سنانا ذليقا وعضبا دقيقا صقيل الحديد

فقد صار ذاك وذا أدهما يعض بساقي عض الأسودِ[2]

وكذا قوله :

لك الحمد من بعد السيوف كبول بساقي منها في السجون حجولُ

وكنا إذا حانت لحرب فريضة ونادت بأوقات الصلاة طبولُ

شهدنا فكبرنا فضلت سيوفنا تصلي بهامات العدى فتطيل

---

(1) ديوان المعتمد : 93. (الوافر)
(2) ديوان المعتمد : 94. (المتقارب)

ســـجود على إثر الركوع متــابع هنــاك بــأرواح الكمــاة تســـيـلُ[1]

ثم يصل إلى مرحلة اليأس، ويكون الموت أهون عليه من حاله في ذلة السجن ومسكنة الأعداء، فيقول :

دعــا لي بــالبقــاء وكيف يهوى أســـــير أن يـطـول بــه الـبـقــاء ؟

ألـيـس الـمـوت أروح مـن حـيــاة يطول على الشـــقي بهــا الشـــقــاء

فـمـن يــك مـن هـواه لـقــاء حــب فـإن هـواي مـن حـتـفـي الـلـقــاء[2]

فما اختاروا الزهد ولكن الدنيا استدرجتهم إلى هذا الوهن، فظنوه زُهدا، وما جرهم لذلك إلا نظرتهم التي قاسوا فيها الخلود بدوام ترف السلطان والملك، وحينما اضمحلت هالة الترف عنهم ظنوا بأنفسهم أنهم زُهّادا، وهذا ما أنتجه الترف من آثار عليهم بإستحبابهم الدنيا على الآخرة، وقد أضمر هذا النسق في زهدياتهم حين أدبرت الدنيا عنهم، وظهر مكشوفاً في موضوعاتهم الآخرى حين كانت الدنيا مبسوطةً لهم ومُقبلةً عليهم، ونرى ذلك في قول المعتمد قبل أسره :

وَلَقَد شَـــربتُ الراح يَســـطَعُ نُورُها وَالـلَـيـلُ قَـد مَـدَّ الـظَـلامَ رِداءَ

حَـتّـى تَـبـدّى الـبَـدرُ فـي جَـوزائِـهِ مَـلِـكـا تَـنـاهـى بَـهـجَـة وَبَـهـاءَ

لَـمّـا أَرادَ تَـنَـزَّهـا فـي غَـربِـهِ جَـعَـلَ الـمـظَـلّـة فَـوقَـهُ الـجَـوزاءَ

[1] ديوان المعتمد.: 111. (الطويل)
[2] ديوان المعتمد: 90. (الوافر)

وَتَناهَضَت زُهرُ النُجوم يَحُفّهُ لألاؤها فاِستَكمَلَ اللألاءَ

وَتَرى الكَواكِبَ كالمَواكِب حَولَهُ رُفِعَت ثَرَيّاها عَلَيهِ لِواءَ

وَحَكَيتُهُ في الأَرضِ بَينَ مَواكِبَ وَكَواعِبَ جَمَعَت سَنا وَسَناءَ

إِن نَشَرت تِلكَ الدُروع حَنادِساً مَلأت لَنا هَذي الكُؤوسَ ضِياءَ

وَإِذا تَغَنّت هَذِهِ في مَزهَرٍ لَم تَألُ تِلكَ عَلى التَريك غِناءَ[1]

ولم تقتصر ملاح هذا النسق على المعتمد فقط، بالسرى ذلك على الجميع فهذا الأمير عبدالله بن محمد مخاطباً من يمني نفسه بطول البقاء و متناسٍ للموت، ويعظ بالرجوع إلى الله والإنابة، وما قاله إلا بعد إضطراب ملكه وتنغصه عليه [2]، وأين هو من التعفف والزهد وقد كان قتالاً، تهون عليه الدماء، و قد فتك بأخيه وأولاده الأثنين بالسيف واحداً تلو الآخر[3] فرآئى في تعففه، وتصنع في زهدهِ، فعند الرخاء أطمأن للدنيا وركن إليها وظلم وفتك، وعند تقلب الأمور تقلب معها، ولو عادت له الأمور لعاد كما كان، فكان كمن عبد الله على حرف ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[4]، فليس الزهدُ بإقبال الدنيا وإدبارها وليس بالقول دون الفعل، أنما الزهدُ عقيدةٌ بالقلبِ يختصرها قول أمير المؤمنين عليه السلام :

[1] ديوان المعتمد : 38. (الكامل)
[2] ينظر الحله السيراء :1: 120
[3] ينظر أعمال الأعلام : 27.
[4] سورة الحج : 11.

"ليس الزهد أن لا تملك شيئا، بل الزهد أن لا يملكك شئ"[1] فمَلَكَ أو لم يملُك يجب أن يكون عنده سواء، وليس متقلب مع الأهواء، وهذا ما صوره لنا نسق الإستحباب فعند دخول الترف والإطمئنان للدنيا في سلم الأولويات تتقدم الدنيا على الآخر، وعندما يسحب بساط الترف منهم تكون هذه نصوصهم :

أرى الدنيا تصير إلى فناءِ وما فيها لشيءٍ من بقاءِ

فبادر بالإنابةِ غير لاوٍ على شيءٍ يصير إلى الفناءِ

كأنك قد حُملت على سريرٍ وصار جديد حُسنك للبلاءِ

فنفسك فابكها أو نح عليها فربتما رحمت على البكاءِ[2]

أبيات الأمير عبدالله بن محمد بن الحكم هذه قد أحرزت موضوع الزهد ولكن لم تحرز سلوك الزهد، وذلك ما أشرنا إليه آنفاً، لأن الحقائق تبدأ بالسلوك ثم تدخل بالنصوص، ولكن حين أنقلب طرفي المعادلة نتج لنا هذا النسق، فحين برع المُلقي في النظم والجماليات سقط في مصيدة النسق القرآني الذي ينظر إلى ما وراء جماليات النصوص والأقوال وهذا ما أشاره إليه في قوله تعالى للناظر لظواهر الجماليات : **﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾**[3] الرؤية في هذا الآية هو مثال للنسق القرآني في طور النقد الثقافي بعدم الوقوف على الجماليات أنما النظر لما وراء هذه الزخارف اللفظية، والرابط في موضوع الترف هو دخول هذه الظاهرة وتأثيرها في كل سلوكياتهم حتى برزت في نصوصهم،

---

[1] الإسلام حياة أفضل : 52.
[2] الحلة السيراء :1: 122. (الوافر)
[3] سورة المنافقون : 4.

فالناظر لزخرف قولهم وجلباب الإسلام الذي عليهم تضعف عنده رؤية تاثير الترف عليهم بإستحبابهم الدنيا على الآخرة، فهو كالناظر إلى قارون وملكهِ، **ولعل نصوصهم الشعرية في (الوصف) هي خير مُنبأ عن هذا التأثير**، لأن الوصف بمثابة القلب لمواضيع وأغراض الشعر الأخرى والبذرة التي تنطلق منها أغصان بقية الموضوعات وهو " عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف، فالمدح وصف نبل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن والشوق إلى لقائهن، والرثاء هو وصف محاسن الميت وتصوير آثاره وأياديه، والهجاء وصف سوءات المهجو وتصوير نقائصه ومعايبه، وهكذا نستطيع أن ندخل فنون الشعر تحت الوصف، فهو على هذا الوضع كالدوحة الملتفة الأغصان الفارعة الأفنان المترامية الظلال، لكننا نريده مستقلاً بذاته "[1]، وهذا الوصف عند شريحة الملوك والأمراء في الأندلس أصيب بالترف، فترى الموصوف والصفات في أبياتهم مشحونة بالترف مما تنبأ على انغماس المُتكلم بهذه الظاهرة، فأسهبوا في وصفِ ملذاتهم وما أُترفوا فيه من شهوات، فترى نسق الإستحباب ظاهراً في كل ركائز الوصف عندهم من وصفِ طبيعية ساكنة كانت أم مُتحركة، أو وصف الآثار الأنسانية، والقصور والمجالس والخمر، وأكثروا من وصف الأخير [الخمر ومجالس اللهو] لأنه الأقرب إلى عالمهم المترف، فعلى مستوى الطبيعة فقد ربطوها بالخمر والترف والملذات ومجالس اللهو وكيف لا وقد " كان للطبيعة بجمالها وبدائعها وأزهارها وجداولها أثر كبير في إقبالهم على الشرب واللهو، مما يؤدي إلى التمازج والتلازم بين وصف الطبيعة والحديث عن العقار "[2] والقصور وكل مظاهر الترف والملذات، فعلى سبيل المثال ما وصفه رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح في مجلس للخمر واللهو أقامهُ في أحضان الطبيعة، إذ الغصون الرطبة والنسيم البارد وقرع الكوؤس وهم على ضفة النهر، فيقول واصفاً لذلك الحال وملتذاً به :

أبـا العـلاء كـوؤس الـراح مـترعـة وللـنـدامـى ســـرور فـي تـعـاطـيـهـا

---

[2] الوصف في الشعر العربي القديم، عبد العظيم علي قناوي، مكتبة ومطبعة مصطفى الثاني وأولاده، مصر : 1: 42-43

[1] الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت-لبنان، ط1-1985: 204.

وللغصـــون تثن فوقها طربا وللحمائم ســـجع في أعاليها

فاشرب على النهر من صهباء صافية كأنها عصـــرت من خد ســـاقيها[1]

وكذا وصف المعتمد لشربه للخمر ليلاً، ونقاء السماء وفي كبدها البدرُ المُتلألأ بين الكواكب كأنه ملكٌ في موكبه الملكي، ويرى أن هذا هو واقعه في عزه وترفه وسلطته، فيقول :

ولقد شـــربت الراح يســـطع نورها والـلـيـل قـد مـد الـظـلام رداء

حـتـى تـبـدى الـبـدر فـي جـوزائـه مـلـكـا تـنـاهـى بـهـجـة بـهـاء

ولـمـا أراد تـنـزهـا فـي غـربـه جـعـل الـمـظـلـة فـوقـه الـجـوزاء

وتـنـاهضـــت زهر النجوم يحفـه لألاؤهـا فـاســـتـكـمـل الـلألاء

وترى الكواكـب كـالمواكـب حولـه رفـعـت ثـريـاهـا عـلـيـه لـواء

وحـكـيـتـه فـي الأرض مـوكـب وكواعـبٍ جمعت ســنـا وســنـاء[2]

فنرى نسق الإستحباب طافياً في مضامين هذا الوصف الذي حول النعم الإلهية إلى مترفات دنيوية زائلة ثم قدمها واستحبها على الآخرة، فباتوا لا يرون إلا حب الدنيا في كل ما يُحيطُ بهم، فرسم لنا واقعهم لوحة جديدة المضامين مختلفة الأوجه قد تناقض في بعض الأحيان

---

[1] الحلة السيراء : 2 : 94. (البسيط)

[2] ديوان المعتمد : 38 .(الكامل)

الصور الفنية السابقة في مضمار الجماليات، لأنها رُسمت بفُرشات النسق، الذي يحسم النتائج بمعادلة ذات طرفين الأول المتكلم والثاني الواقع المحيط به والداخل في صناعة الكارزما، وما أظهره هذا النسق من ترف في نصوصهم الوصفية أوضح لنا هذه المعادلة، وهذا ما عرضه الباحث في وصفهم للطبيعة، وكذا الحال في وصفهم بعض الآثار الإنسانية المتمثلة بالمظاهر العمرانية كالأبنية والمساجد المُزخرفة والقصور الفارهة، فننظر إلى انغماسهم بوصف الترف في هذه الأشياء، لا وصف الأشياء لذاتها، كقول يوسف الثالث في وصف قصرهِ، ويجعل القصر يتكلم هو عن صنعه ودقة جماله لعظمة زخرفه وهيبته في قلوب ساكنيه، فينشد قائلاً :

فتأمل مصنعي تلفه روضاً مجودِ

والظلال حوله كخوافق البنودِ

وأمامي وقفت ربة الثغر البرودِ

خصة معجبة أخذت أوج الصعودِ

كلما تبصرني تترامى للسجودِ

حجلت في مشيها حين ريعت بالأسودِ[1]

أثر الترف جعله يترامى بين أحضان الدنيا بالسجود لها ويستحبها على الآخرة، يصف القصر على قدر ما أشغف قلبه به، فهو مالكه ومَلِكَهُ ولا حاجة للمصانعةِ بالوصف، ولكن

[1] ديوان يوسف الثالث :68.(مجزوء كامل)
*الخصة في عرف الغاربة ما يعبر عنه بالفسقية (حوض من رخام في وسطه نافورة ماء).

وصفه على قدر أخلاد قلبه إليه وميل شهوته له، ويعضده ذلك قول المقتدر بن هود، وهو يصف أستحبابه للدنيا في وصفه لأحدى مبانيه واعتزازه المفرط بهِ، ويعد أن الفخر والسياد والسلطة كلها فيه، وكأنما القصر هو المالك والمقتدر وهو المملوك عنده، وهذا من آثار الترف المؤديةِ إلى التسافل بالعزة ليصل إلى حد أن يكون عبداً لزخرف المبنى، ولا يبالي بل يفخر بذاك قائلاً :

قَصْـــرَ الســـرُور ومجلسَ الـذّهَـبِ بـكـمـا بـلـغْـتُ نِـهَـايَـة الـطّـرَبِ

لَـو لـم يَـحُـزْ مُـلْـكـي خـلافـكـمـا كَـانَـت لـديّ كـفـايـةَ الأرَبِ[1]

جعل سيادته وحكمته وبصيرته وعزه صنيعة ذلك الزخرف، أولم يلتفت إلى صاحب الجنة الذي تفاخر بها وأستحبها على الآخرة بسبب ما أترف فيها ف ﴿**دَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا**﴾[2] ولكن نتيجة هذا الاستحباب الناتج من الترف كانت ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[3].

نظروا إلى كل ما حولهم بعين الترف، وربطوا كل المظاهر بالشهوات والملذات فالطبيعة أدخلوها بالخمر واللهو وكذا العمرآن من مساجد وقصور مزخرفة، ونرى ذاك في قول الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم **" يبنون الدور ويشيدون القصور، ويزخرفون المساجد، ليست همتهم إلا الدنيا، عاكفون عليها، معتمدون فيها، آلهتهم بطونهم...."**[4] وكذا الحال في الحروب، فنظروا للقتل والدماء على إنها حدائق مُبهجة[5]، فأثر الترف غلب على سلوكياتهم ونسج لهم كارزما ذات طبيعة خاصة لا تنسجمُ إلا مع الترف، فألجأهم ذلك

---

(1) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب :1: 442 .(الكامل)
(3) سورة الكهف : 35.
(1) سورة الكهف : 42-43-44.
(2) مكارم الأخلاق، أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، 1971 : 449.
(3) ينظر الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، هنري بيرس، ترجمة طاهر لأحمد مكي، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط1-1993 : 383.

إلى الاستحباب وهذا ما كشفه لنا النسق القرآني وأظهره في أشعارهم بأنهم كانوا مقبلين على الدنيا، آخذين ما يشاؤون في جميع مقاماتهم السياسية والإجتماعية، وهذا ما لمسانه في أغلب أغراضهم من فخر أو وصف أو غزل وحتى المديح والرثاء والشكوى، فتقربوا إلى الناس من خلال التصنع بالعطايا و أبراز الكرم للمنفعة والسمعة وإستعطاف الناس، فنتائج تلك المقدمات أظهرها القرآن الكريم من خلال نسق استحباب الدنيا على الآخرة الذي أُنتجَ من آثار الترف وأفضى بهم الأمر لبناء هيكل الأولويات على هذا النسق، فكانت نتيجة ذلك العِوجْ **﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾**[1]، فهذه البداياتُ من الإستحباب تفضي إلى العوج، فيكون الإطار الخارجي مزخرف بالمثاليات الإسلامية، ولكن الحقائق المطوية خلف ذلك الثوب من مترفات وملذات وميلٍ للشهوات تظهر لمتتبعها بمجهر النسقية القرآنية العوج والإبتعاد الحقيقي عن خط الإسلام السامي واستحباب المتاع القليل على الخير الباقي الدائم، فتراهم **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾**[2]، فيروى " أن ألفونسو ملك الإسبان قال لرسول ابن عباد إليه: "كيف أترك قومًا مجَّانين، تَسَمّى كلُّ واحدٍ منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يَسُلُّ في الذّبِّ عن نفسه سيفًا، ولا يرفع عن رعيته ضيمًا ولا حيفًا، قد أظهروا الفسوق والعصيان واعتكفوا على المغاني والعيدان؟، ويُروى أن وزيرًا دخل على أحد ملوك الطوائف فوجده حزينًا مغضبًا، فظنَّ أنه غاضب بسبب ما حلَّ بالدويلة المسلمة المجاورة له التي احتلها النصارى فقتلوا رجالها وسبوا نساءها، فقال له: ليس ذلك ما يغضبني، بل المهندس المكلف ببناء قصري الذي لا يلتزم بأمري."[3] نموذج الاستحباب في هذا المثال واضح ومجزي عن كثير من الكلام وتأثير الترف هو الذي أوصلهم لهذه النتائج فهو مرضٌ خبيث وظيفتهُ قتل القناعة والعفة في القلوب وإستدراج المصاب بهِ لحالة الإخلاد إلى الشهوات والتلبس بالملذات فتظهر أعراضه في الأفعال والأقوال، فأصبحت سلوكياتهم

---

(4) سورة ابراهيم : 3.

(5) سورة الروم : 7.

(1) ذكر سقوط الخلافة في الأندلس، محسن الندوي، بريس تطوان، الجريدة الإلكترونية في تطوان، 5/يناير/ 2012.

مرهونة بهذه الظاهرة، فجعلوا مقياس عزتهم وفخرهم وقوتهم وسلطانهم هو الترف وما أولتهم هذه الدنيا من زخرف فكان مثلهم ﴿**كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**﴾[1] أو كقابض الماء، الذي لا يجمع منه إلا السراب أو الحطام، وما قيمة ما يجمع إلا كما قال مدينة العلم والحكمة " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم... فلينظر بم يرجع؟ "[2]، فاعلية وتأثير الاستحباب في عالم الترف نتائجهُ محسومة، وما هدر منهم من معاني جمالية في الصورة والأداء هي التي كشفت في مضمراتها الممزوجة مع واقعها هذه النتائج، وعند العرضِ على النسقية القرآنية التي رسمتها لنا أيات القرآن الكريم كشفت لنا من خلال نصوصهم الشعرية أن الملقي ونصهُ هو نتِاج واقع مترف مستحب للدنيا على الآخر وبدوره أثر عليهما، فكان هذا التأثير هو شريك النص وملقيه في نتاجهم الشعري، فنعكس ذلك على منهجهم بالحياة فبرز في السلوكيات من أفعال وأقوال حتى أصبح أستحباب الترف ملاصقاً لهم .

[2] سورة الرعد : 13

[3] روضة الواعضين، الفتال النيسابوري، تح. السيد حسن خراسان، منشورات الرضي، قم-ايران : 440.

▪ المبحث الثاني : العقل الجمعي المترف (الانصياع المجتمعي للترف) :

في الفضاء القرآني ومن بوابة علم الاجتماع وعلم النفس تولد وتعوم هذه المصطلحات وغيرها، فالعقل الجمعي والانصياع الإجتماعي وكذا سلوك القطيع وهندسة الجماهير او سيكولوجية الجماهير وما يقاربها من مصطلحات فإنها تصب في مفهوم واحد مفاده، هي ظاهرة او سلوك نفسي اجتماعي تحتك فيه الأفكار ويتقابل وجدانهم تحت أيديولوجية ما تعكس تأثيراتها على تصرافتهم وسلوكياتهم[1] ، فتلقيح المجتمع بايديولوجيةٍ معينة وتكون بدورها متقبلةٍ عند ذلك المجتمع يجرف المجتمع إلى تلك الظاهرة أو السلوك بوعي أو لا وعي، وفعاليتها مبثوثة في الطبائع والسلوكيات، فترى الجميع منساقون نحو ذلك الفكر او السلوك ومنصاعون له، كانصياع القطيع للراعي، فلا يدري إلى أين ومن أين فقط الانصياع للقرارات صائبة كانت أم خاطئة ولذلك سمي بسلوك القطيع، والأمثلة عن العقل الجمعي في الدراسات الحديثة كثيرة، منها ما قام به سيمون آش في "سنة 1962 بعمل تجربة في المصعد لأكثر من شخص يدخلون، ويقوم بالإلتفاف نحو الجدار الخلفي بكل ثقة، وأظهرت التجربة أن الناس الذين يدخلون المصعد بعدهم يبدؤون مباشرة في تقليدهم دون تفكير أو سؤال عن السبب."[2]، وكذا تجربة القرود الخمس والغرفة المغلقة وغيرها من التجارب الكثيرة التي ينتج عنها هذا السلوك، ففكرة العقل الجمعي او الانصياع لسلوك القطيع تتمحور في إتباع المتبني للفكرة او السلوك او الراعي لذلك القطيع، فهنا يمكث الانصياع والإذعان، وهذه الثقافة او الظاهرة متداخلة في كل جوانب الحياة الإجتماعية، فعلى مستوى الدين ترى هذه الظاهرة موجودة فالراعي المتمثل بالقس أو الخليفة هو الذي تجري من خلاله السلوكيات والطقوس والناس تنصاع خلف هذه السلوكيات في حالة الوعي واللاوعي، وكذا في الجانب السياسي، فترى القائد او الرئيس هو المتصدر ومن خلاله تندرج التصرفات، وفي نظام

---

[1] ينظر معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان ساحة رياض، بيروت-لبنان :1: 193 (حرف H)، هم أطلقوا عليه مصطلح القطيع البشري يطلق في المجتمع الأنساني على مجموعة من الأفراد تحركهم رغبات مشتركة تتبع فيها زعيماً وتتميز بضعف التنظيم وأنماط الرقابة .

[2] مواقع التواصل الإجتماعي والعقل الجمعي - دراسة استقرائية، نوف عبد اللطيف الحزامي، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية - المجلد الواحد والعشرون - العدد الثاني : ص386، - 2021، قسم الأعلام، جامعة الملك سعود .

القبيلة أيضاً، وكذا رب الأسره، وعلى مستوى الثقافات الأخرى، وقوانين المؤسسات، فالعقل الجمعي موجود بلاوعي بشكل او آخر، فهو وسيلة غريزية بالإنسان حتى يشعر بالأمان وسط الجماهير عندما يكون جزءاً منهم، ولكن بحد معين والحاكم على هذا الحد هو الفرد ذاته، فهو مخير الدخول لا مُسير فأذا اختار الراعي الطريق الخطأ وكان الطريق مستساغاً لدى الرعية تكون النتائج مسوقةً إلى عقل جمعي بهذا الاتجاه الخاطئ سواء في ظاهرة الترف أو غيرها ولعل الرؤية القرآنية لطرح هذه النظرية هي الأوسع والأدق من بين الدراسات المتناولة لهذا الموضوع، فتوظيف الترف في المجتمع الأندلسي وطرحهُ كعقلٍ جمعي من خلال النصوص الشعرية القريبة من الواقع الأندلسي تستدعي هذه الدقة في الرؤية والإحاطة بالأحداث، لذا طرح القرآن الكريم النماذج الداخلة في مضمار العقل الجمعي، وعرض النظرية من خلال نسقية الآيات القرآنية التي تنسج بدورها لنا نسق العقل الجمعي المترف، وهذا الانسياق للرغبات بحالة للاشعور وتشتت قلوب المجموع يجعل من الداخل في هذه الدوامة متبنياً لفكرة المجموع ظناً من أن الإجماع على سلوك هو من الصواب وبالحقيقة هو التشتت، اي ليسوا على الصواب الأمور وتماسكها في أغلب الأحيان، وقد عرف القرآن الكريم هذا المنهاج بقوله تعالى **﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾**[1] لأنهم تركوا العقل الفردي ودخلوا في عقل القطيع .

وهذا النسق هو أحد أنساق الترف القرآنية المُستوحات من تراتيبة الآيات والنماذج ومنها يمكن قراءة الواقع والسلوك المترف عند الملقي والمجتمع المبثوثة في أبياتهم الشعرية، فنرى قيد التهافة الجمعي داخلٌ في الجماعة والأسلاف والأقوام، فسلوك القطيع الكائن في الآباء سائر في الأبناء وهذا ما أطره لنا القرآن الكريم في مجموعة من الآيات، منها قوله تعالى : **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**[2]، وقولهم **﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾**[3]، وكذا قولهم

---

[1] سورة الحشر : 14.
[2] سورة البقرة : 170.
[3] سورة الأنبياء : 53.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1]، فهذه الصور القرآنية العارضة للعقل الجمعي المتنقل عبر الأسلاف و كذلك حال الجماعات الذين اجتمعوا على فكرة الباطل ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾[2]، في ظاهرة الترف المهيمنة على الملوك والأمراء في الأندلس أصبحت أحدى الأيديولوجيات القائدة لسلوك المجتمع من خلال أيقونة الترف المتمثلة بالملوك والأمراء بالأندلس وهذا ما دعت له نصوصهم الشعرية المليئة بالمجون وأتباع الشهوات والاعتداد بالنفس والتشبث بالدنيا، ومن نماذج النصوص الواصفة لحياتهم لحالة المجتمع في خضم الترف وانقيادهم له هو ابن عمار وحين وصف مجلس ابن رزين الذي دعاه له، فيبرز فيه انقياد سلوك المجتمع للترف المتمثل في حياة الملوك والأمراء في الأندلس، فيقول:

هصـــرت لـي الآمـال طيبـة الجنـى ... وســـوغتني الاحوال مقبلـة الـدنـا

وألبســـتني النعمى أغض من النـدى ... وأجمل من وشـــي الربيع وأحســـنا

وكم ليلـة أحظيتني بحضـــورهـا ... فبت ســـميراً للســـنـاء وللســـنـا

أعلـل نـفســـي بـالـمكـارم والـعلا ... واذني وكفى بـالـغنـاء وبـالـغنى

ســـأقرن بـالـتمويـل ذكرك كلمـا ... تعـاورت الأســـمـاء غيرك والكنى

لأوســـعتنـي قـولا وطـولا كـلاهمـا ... يطوق أعنـاقـاً ويحرس ألســـنـا

---

[4] سورة الشعراء : 74.

[1] سورة القصص : 20.

وشـــرفتني من قطعـة الروض بـالتي تناثر فيها الطبع روضــاً وســوســناً

تروق بجيـد الملـك عقـداً مرصـــعـاً وتزهو على عطفيــه برداً مزينـا

فدم هكذا يـا فـارس الدســـت والوغى لتطعن طوراً بـالكلام وبــالقنـا[1]

التقبل المجتمعي والسير وراء هذا السلوك والتلبس به هو من طرح نسق العقل الجمعي المترف أو الانصياع للترف، وهذا ما لمسناه في غير موضع، فحين كان الوزير ابن سعدون جالساً عنده وقد إنساق وراء هذه الزوائل والحياة المترفة، قائلاً في مدح ما هو فيه وتعظيمه :

فـدنيــاك لا يســـطيعـك النظم والنثر فـأنـتَ مليك الأرض وانفصـــل الأمر

مرينـا نـداك العمـد فـأنهـا صـــيبـاً كمـا ســـكبـت وطفـاء أو فَتِقَ البحر

وجـاء الربيع الطلق ينـدى غضـــارة فحيتك منه الشــمس والروض والنهر

ومـا مـنـهـم إلا إلـيـك انـتـمـاؤه جبينـك والجود المتمم والبشـــر

خلا منـك دهر قـد مضـــى بعبوســـة فلمـا أتـت أيـامـك ابتســم العصـــر

فبشـــرت آمـالي بملـك هو الورى ودار هي الـدنيـا ويوم هو الـدهر

[1] قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبي النصر الفتح بن عبدالله بن محمد الأشبيلي المعروف ب(ابن خاقان)، تح. د. حسين خريوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن - الزرقاء، ط1-1989م : 159- 160.

فـدنيـاك لا يســطيعـك النظم والنثر فـأنـتَ مليك الأرض وانفصـــل الأمر

وقــال الردي من يبتغي عنــدك المنى وســعادك الإســعاد واليُمنُ والنصـرُ[1]

الأنصياع البارز عند المجتمع لهالة الترف عند الأمراء والملوك في الأندلس من خلال تقبل المجتمع لواقع الترف عند تلك الشريحة، حتى أشتركوا في السلوك والتوجه وهذا ما إستقرأه نسق العقل الجمعي المترف من تلك النصوص، فحين تشترك العواطف والمعتقدات بين الأعضاء في المجتمع يشكل هذا التواشج نسقاً لحياتهم[2] متمثلاً بنسق العقل الجمعي المترف أو الانصياع المجتمعي للترف، وقد صور لنا القرآن الكريم هذا النسقية من علاقة المجتمع بحكامهِ وكيف سرى الترف من القمة إلى القاعدة المجتمعية، وتجلي الحكمة الإلهية في هذه الظاهرة، فلم يقف بهم الترف إلى حد إفسادهم بل فاض على مجتمعاتهم ورعيتهم فنساقوا بسلوكِ مشترك نحو تلك الشهوات والملذات، وقد طرح القرآن الكريم لهذا النسق عدة نماذج، **منـها فرعون وملأه،** بدأ القرآن بتعريف فرعون قائلاً ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾[3]، فنسبه إلى صفة الإسراف التي هي بؤرة الترف، وبالمقابل عرف لنا القاعدة المجتمعية لفرعون والتابعة له بالسلوك والبيئة المحيطة بهم قائلا ﴿**آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[4]، ومن ثم عرض لنا القرآن الكريم كيف ساق فرعون مجتمعه إلى العقل الجمعي المترف من خلال القانون الذي وضعه لهم في قوله ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[5] لأنه أشترك وتقابل معهم في نفس الإنحياز فرى أن موسى ساحر ﴿**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾[6] فتبعه قومه بسلوك القطيع والأنصياع مؤكدون على ما قال بلا وعي ولا تفكير ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾[7]،

---

(1) المصدر نفسه : 159-160.

(1) ينظر موسوعة علم الإنسان - المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، شارلون سيموث-سميث،ترجمة مجموعة من أساتذة علم الإجتماع بإشراف محمد الجوهري، نهضة العرب، الجزيرة القاهرة-مصر، ط2-2009 : 369.

(2) سورة يونس : 83.

(3) سورة يونس : 88

(4) سورة غافر : 29.

(5) سورة الشعراء : 34.

(6) سورة الأعراف : 109.

لذلك ﴿نَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[1] فنتائج هذا الترف كانت ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ﴾[2] "استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له"[3] فدخلوا في داومة العقل الجمعي المترف التي قادها فرعون وساروا خلفه بها في مضمار الإسراف والترف ففسد وأفسد، فتكاثرت عنده مقومات الترف وتتحقق فيه الإستتدراج الإلهي ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ﴾[4]، كثرت الكم والنوع من الطبقة الحاكمة والقاعدة المجتمعية السائرةِ خلف الترف هي من خلقت هذا النسق وبلغت إلى تدمير الأواصر المجتمعية، وقد ترجم ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾، في هذا الآية ثلاثة أقوال : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾.

الأول / بمعنى سلّطنا عليهم جبابرتهم ففسقوا فيها .

الثاني / أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها .

الثالث / وبتخيف أمرنا معناه يصبح كثرنا [5].

المعنى الأول مخالف للقوانين الإلهية لأن الله ﴿لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ﴾[6] ولا بالظلم، والمعنى الثاني يقترب من الحقيقة ولكن لا يصيبها، لأن موضوع الأمر [الطاعة] مقدراً لا معلوماً، ويحتمل أن يكون موضوع الأمر غير مناط بهذه الكيفية فهو يقترب من الحقيقة ولكن لا يصيبها، والمعنى الأخير هو الأقرب للحقيقة من باقي المعاني فمن الجانب اللغوي قال " ابن زيد في قوله ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ قال: ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا: أكثرنا.قال: والعرب تقول للشيء الكثير أمِرَ لكثرته.فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا، فإنه يقال: أمر بنو فلان، وأمر القوم

---

(7) سورة الزخرف : 51-52.

(8) سورة الزخرف : 53.

(9) الميزان في تفسير القرآن:18: 111. / و تفسير ابن كثير :4: 141.

(1) سورة عمرآن : 178.

(2) ينظر: تفسير القمي :2: 17 / وتفسير العياشي : 2: 284/ وجامع البيان للطبري :15: 71-74./ وتفسير القرطبي :10: 232-234.

(3) سورة الأعراف : 28.

يأمرون أمرا، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم."[1]، ومن جانب آخر فإن **قانون الأكثرية** هو المادة الرئيسة في نسق العقل الجمعي المترف، لأن العقل الجمعي معتمدٌ على سلوك الأكثرية من الطبقة الحاكمة للأندلس وقادعدتها الشعبية وبإنصياع هذين الطرفين لمظاهر الترف واللذين يمثلان المحيط الخارجي للنص يكون التاثير جار في النص، وسلوك الأكثرية قد أطره القرآن الكريم في عدة مواقف، مشيراً الى أن هذا السلوك هو القائد للعقل الجمعي المترف، منها قوله : **﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[2] و **﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾**[3] و **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾**[4]و **﴿أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾**[5] **﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[6]، فأكثرنا هي الأقرب والأصوب للمعنى القرآني، فتكاثرت حولهم النعم والملذات وأنساق حولهم الأكثرية، فازدادوا طغياناً واسرافا، ففسقوا بمقابلة الفسق الموجود بأكثرية القاعدة المجتمعية، وسرى الأنصياع خلف مبدأ الأكثرية وأنجرافه خلف الترف بالوعي الجمعي التي قادته الطبقة الحاكمة بتقبل المجتمع، إذ أنطلق شرارة أثر الترف منهم ومن ثم سرت في مجتمعاتهم بتقبل من مجتمعاتهم لما أضفاه عليهم واقعهم، فحين فتحوا الملوك أبواب الترف لمجتمعهم و قادوه بذلك إلى الانغماس بهذه الظاهرة بالوعي أو اللاوعي.

في ظاهرة الترف سلسلة السلوك المشترك والتقابل الفكري بين الطبقة الحاكم والمجتمع عند ظاهرة قد بينها هذا النسق عن طريق عدة محاور، منها الخمر الذي أخذ حيز وشاع في وصفهم، والذي ظهر فيه انقيادهم وراء الترف ومظاهره، كما بان ذلك في الأثر الذي أحدثه في نفوسهم وحياتهم، فالخمر ومجالس المجون لا تخلو من بلاط أغلب الملوك والأمراء لكن لا توافق المجتمعات، لكنها وافقت واشتركت في مجتمع ملوك وأمراء الأندلس، **وتفعل فيهم سلوك العقل الجمعي والانصياع عند ظاهرة الترف**، فقد " كثر في الشعر الدعوة إلى الشراب، ووصف ما يدور في مجالس اللهو، ثم الحديث عن لذائذ ومتع قد يصل إلى حد الأدب

---

(4) ينظر: تفسير القمي :2: 17 / وتفسير العياشي : 2: 284/ وجامع البيان للطبري :15: 71-74./ وتفسير القرطبي :10: 232-234.

(5) سورة البقرة : 100.

(6) سورة المائدة : 59.

(1) سورة المائدة : 49.

(2) سورة الأنعام : 111.

(3) سورة الدخان : 39.

المكشوف "[1]، فرسموا خارطة الترف لينقاد المجتمع ويشترك فيها فكانت " نتيجة لشيوع التحلل في المجتمع الأندلسي وميله إلى اللهو وإقباله على المتع من شراب ورقص وغيرها"[2] من مظاهر الترف، فوضع المجتمع تحت تأثير العقل الجمعي للإنصياع خلف الترف، فنرى بعض الحكام لم يكتفوا بذلك بل دعوا وشجعوا الآخرين على ذلك، فهذا المعتضد الغارق بالمجون يحث على شرب الخمر ويصف لم يقبل ويدعو إلى ذلك بالجاهل :

أشـــرب علـى وجـه الصـــبـاح وانـــظـــر إلـــى نـــور الأقـــاح

واعـــلـــم بـــأنـــك جـــاهـــلٌ إن لـم تـقـل بـالاصـــطـبـاح[3]

وكذلك نرى الأمير المطرف بن عبد الرحمن يدعو ويُعلن ويجهر بفجوره وفساده، فيفخر أن حياته منغمسةً بالترف وهو مُنساقاً منقاداً وراء الملذات من النساء والشرب، حتى بلغ به الانصياع إلى ذلك أن صم قلبه وعقله وأذنه عن داعي الحق، فلا يرى ولا يسمع إلا ما هو فيه من الترف، فيفخر قائلاً :

افـنـيـت عـمـري فـي الشـــربِ والـــوجـــوه الـــمـــلاح

ولـــم أضـــيـــع أصـــيـــلا ولا اطـــلاع صـــبـــاح

أحـيـي الـلـيـالـي ســـهـدا فـــي نشـــوةٍ ومـــراح

---

[4] الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد عبد المقصود هيكل، دار المعارف، مصر، ط1-1993 : 274.
[5] المصدر نفسه :274.
[3] ديوان المعتضد : 111(مجزوء كامل) .

ولســـــت أســـــمـــع مـــاذا يـــقـــول داعـــي الـــفـــلاح[1]

ويستمر هذا الانصياع لدعوى الترف وسوق المجتمع له، فنرى المعتمد هو الآخر قد دخل في نسق العقل المترف من خلال إدمانه على مجالس المجنون ودعواه المستمرة لها، فيصور في بعض أبياته شدة علقته بكرمة الشراب، فيجري محاورة بينه وبينها، بأنه مر من أمامها ولم يسلم عليها فتعاتبه لذلك وهي التي لطالما سقية عظامه :

مـررت بـكـرمـةٍ جـذبـت ردائـي فقلـت لـهـا : عزمـت علـى أذائـي

فـقـالـت : لـم مـررت ولـم تسـلـم وقـد رويـت عظـامـك من دمـائي [2]

ساقوا حتى الجمادات نحو الترف، وحثوا كل شيء للإنقياده خلفه، فيقول بذلك المعتمد :

عَـلِّـل فَـؤادَكَ قَـد أَبَـلّ عَـلـيـلُ وَاِغـنَـم حَـيـاتَـكَ فَـالـبَـقـاءُ قَـلـيـلُ

لَـو أَنَّ عُـمـرَكَ أَلـفُ عـامٍ كـامِـلٍ مـا كـانَ حَـقـا أَن يُـقـالَ طَـويـلُ

أَكَـذا يَقودُ بِـكَ الأَســى نَحوَ الرَدى وَالـعُودُ عُودٌ وَالشَـــمـولُ شُـــمـولُ

لا يَســتَبيـكَ الـهَمُّ نَفسَـــكَ عَنوَةً وَالكـأسُ سَـــيفٌ في يَـدَيـكَ صَـــقيـلُ

بِـالعَقـلِ تَزدَحِمُ الـهُمومُ عَلى الحَشـــا فـالـعَقـلُ عِنـدي أَن تَـزولَ عُـقـولُ[3]

---

[1] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :3: 578.
[2] ديوان المعتمد :2 (الوافر)
[3] ديوان المعتمد : 25 (الوافر)

يدعو في هذه الأبيات لإستثمار العمر في المجون والترف، وثبوت العقل عنده أن لا يبقى عقل، وأن يكون منساقاً إلى الملذات ليختفي تحت زخرف الشهوات، فلا تزدحمه الأفكار ولا تملأه الأذكار، حتماً هو لم يقصد هذا المعنى فيما سرد من أبيات، ولكن نسق الترف الداخل فيه وأثره عليه هو من أظهر هذه المضمرات في نصه، فعندما يعظ ويدعو على أن سعادة الدنيا بالانغماس بما هو فيه من ترف وهذا ما زينه الشيطان له فرآه حسنا، لكن النتيجة كما أطرها القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ فعندما ناظرَ تعريف القرآن للدنيا وصفه القرآن بأنه لا يعقل وهو منقادٌ لترفه الذي رسخ فيه ومن تبعه على ذلك السلوك.

حين تصطدم القوانين البشرية المزخرفة بمجون النفس مع القوانين الإلهية الثابتة بما تدعو وترسم، تكون النتيجة سقوط الزخرف وسمو الحق .

نسق العقل الجمعي المترف كشف انقياد معظم المستويات من شيخ و وزير وشاب وصغير نحو باحة الترف [1]، وهذا ما خلفه أثر الترف الذي سرى في الطبقة الحاكمة وجرى إلى مجتمعهم .

---

[1] بعض النماذج لانصياع المجتمع لهالة الترف عند الملوك والامراء متجسدة في ابياتهم الشعرية، فنرى عبد الملك ابن شهيد يكتب إلى الحاجب المنصور في يوم برد :

أما ترى برد يومنا هذا ... صيرنا للكمون أفذاذا

قد فطرت صحة الكبود به ... حتى لكادت تعود أفلاذا

فادع بنا للشمول مصطليا ... نغذ سيرا إليك إغذاذا

وادع المسمى بها وصاحبه ... تدع نبيلا وتدع أستاذا

ولا تبالي أبا العلاء زها ... بخمر قطربل وكلواذا

ما دام من أرملاط مشربنا ... دع دير عمي وطير نباذا

ومن الصور الأخرى في التشجيع والحث على شرب الخمر وإدمان مجالس السكر، قول ابن رزين الذي يصفها بأنها أفضل الطرق لإزالة الهموم والقلق :

أدرها مداما كالغزالة مرة تبين لرائيها وتأبى على اللمس

وتبدو إلى الأبصار دون تجسم على أنها تخفى على الذهن والحس

إذا شعشعت في الكأس خلت حبابها لآلئ قد رفعن في لبة الشمس

موكلة بالهم تهزم جيشه بجيش الأماني والمسرة والأنس

الجانب الآخر كان منساقاً لما فيه الملوك والأمراء في الأندلس ولو لم يعلم ابو مروان عبد الملك بأن الملك هذا ديدنه لما خاطبه بهذه اللهجة، أنما لحن القول ينبأ بأنه أعتاد على مقارعة مجالس المجون والدعوة إليها لذى حين طلب منه ذلك إستجاب له بكل مقبولية مع أن المنصور كان " في ذلك اليوم قد عزم على الانفراد بحرمه، فأمر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء، وأحضر ابن شهيد في محفله - لنقرس كان يعتاده - وأخذوا في شأنهم، فمر لهم يوم لم يعهدوا مثله، وعلا الطرب وسما بهم حتى تهايجوا ورقصوا بالنوبة، حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه وارتجل "[1] قائلا:

هاك شيخا فاده عذر لكا قام في رقصته مستهلكا

لم يطق يرقصها مستثبتا فغدا يرقصها مستمسكا

عاقه عن هزها منفردا نقرس أخنى عليه فاتكا

من وزير فيهم رقاصة قام للسكر يناغي ملكا

أنا لو كنت كما تعهدني قمت إجلالا على رأسي لكا

قهقة الإبريق مني ضاحكا ورأى رعشة رجلي فبكى

ينظر الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة:1: 26-28.

فإن شـــئت قل فيها أرق من الهوى وإن شـــئت قل فيها أرق من النفس[1]

بلغ أثرالترف أنهم لا يطمئنون إلا بالركون إليه، فجرفوا المجتمع نحو الركون إلى الترف والإنصياع له عن طريق دعواهم هذه، لذى " تعددت مجالس الشراب واللهو نتيجة لشيوع القلق النفسي بين الناس، ذلك القلق اللازم دائما للإضطرابات النفسية السياسية، فليس للناس قرار، خاصة هؤلاء المسؤولين عن الإمارات سياسياً وإجتماعياً فدعوا من أجل ذلك إلى مجالس الشراب، يقيمونها ويدعون الناس إليها، إنهم يطلبون شيئاً عزيزاً فقدوه، وما فقدوا سوى ذلك الإستقرار النفسي الذي يحجبه ستار كثيف، صخب المدن وعنف الأزمات"[2] فأوهم الترف أن السعادة بهذه الزوائل فأنساهم القانون الإلهي القائل ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**﴾[3] وقوله ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[4] ، ونجد من جانب آخر المعتمد وهو يفخر ويمدح الخمر قائلاً :

هذي المدام وهذا النقل من جســـدي غنّ لنفســـك أشـــعاري بـألحـاني[5]

التقابل في السلوك بين المجتمع والحكام في السير وراء الترف جعل من أيديولوجية الانصياع أمراً مستساغاً عند الطرفين، منبثقاً من الطبقة الحاكمة وسائراً في المجتمع، فتفشي واقع الخمر و الانعكاف على الشهوات في الأندلس أصبح من البديهيات، لذا كان الدخول في منظومة العقل الجمعي المترف هو من آثار الترف الذي شخصه النسق القرآني فلم " يكن من الغريب أن ترى بعض مدن الأندلس وقد انتشرت فيها الخمور، وترنح في شوارعها السكارى دون أن ينهاهم أحد عن فعلهم، فقد كان الحكام يكتفون بكف أذى السكارى عن العامة فقط، فعلى نهر إشبيلية شرب الخمر فيه غير منكر، لا ناهٍ عن ذلك ولا منتقد، مالم يؤدِّ السكر إلى الشر والعربدة، بالرغم أن السلطات الحاكمة كانت تعرف بيوتاً بعينها في

---

(1) الحلة السيراء :2: 112.(الطويل)
(2) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر : 429.
(3) سورة طه : 124.
(4) سورة الرعد : 28.
(5) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 8: 643.

الأندلس تشتهر بالخمر والفسق"[1]، فترى المجتمع سالك نحو هلاك واضح **والجميع متفقٌ عليه في الأندلس،** فعندما يتأثر الفرد بسلوك او عقائد أو أفكار سائدة في المجتمع الذي يعيشه وينجرف معه يكون قد ولج في منظومة العقل الجمعي بشكلٍ أو آخر لتقوده إلى باحة الترف، الطريق الذي يقود المجتمعات إلى العقل الجمعي هو الإتكال على رأي الأكثرية قال **﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾**[2] ؟....قالوا : **﴿كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾**[3] أي " كلما غوي غاويا لدخول في الباطل غوينا معه"[4] فساقهم العقل الجمعي إلى سقر، لأنهم خاضوا مع عقول الآخرين وقالوا كما يقولون وفعلوا كما يفعلون، وأصبحوا إمعةً كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **" لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن لا تظلموا"**[5] فالإمعةُ هو الذي يقول **"أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس"**[6]، وفي أبيات لأمير المؤمنين عليه السلام يضمن هذا المعنى ويدحض فكرة العقل الجمعي، فيقول :

إذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر

ولست بإمعة في الرجال اسائل هذا وذا ما الخبر؟

ولكني مدرب الأصغرين أبين مع ما مضى ما غبر[7]

---

[2] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامية، بيروت-لبنان، ط1-1981: 2: 411

[3] سورة المدثر : 42.

[4] سورة المدثر : 45.

[5] التبيان، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح. أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ط1-1409: 10: 186.

[6] ميزان الحكمة :3: 2620.

[1] معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي)، تح. علي أكبر غفاري، الناشر وابسته، قم- ايران :266

[7] الأمالي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح. قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم-ايران، ط1-1414 : 514

الإمعة أو المنصاعون للعقل الجمعي المترف في المنظومة القرآنية كثيرون، ومنها قصة بني إسرائيل مع السامري واتباعهم العجل، ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ۚ**﴾[1]، فرأى فيه أنهم أستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وأن عقولهم تهوى الترف بما مَنَّ الله عليهم، فحين طال عليهم الأمد غرهم زخرف العجل ومكر السامري، وخلف عليهم ذلك أثر الترف الذي ساقهم للهلاك ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾[2]، فما مثل العجل إلا فكرةً ضالةٌ استحسنها الناس واستساغوها وساروا خلفها على قدر ما استوطن حب الدنيا فيهم، وكذا حال المجتمع الأندلسي الذي مثله بني اسرائيل، وحال الطبقة الحاكمة التي مثلها السامري، والعجل هو الترف الذي ساقوا عقول الناس له ، حتى أصبح المجتمع والرعاة لا يستهجنون المنكرات بل يشجعون ويدعون لها، فنرى أن بعض ولاة الأمر قد عُرفوا بمعاقرة الشراب بمجالسهم والدعوة إليها، فكان منهم الأمير هشام وكذا الحكم يدعون ويجالسون الأشخاص الذين يحتفظون بالشراب (الخمر) الجيد[3]، ومن ذلك جاءت لبعض شعراء الأندلس الجرأة العجيبة في مدح الخمور والدعوة إليها، وما ساعدهم في ذلك إلا كثرة انتشار الخمور وتعاطيها في المجتمع الأندلسي، وتقبلها من الطبقة الحاكمة، فينقل عن أحمد بن محمد الجياني الملقب بتيس الجن قوله في الخمر ومدحه:

امزجي يا مدام كأس المدام قد مضى وانقضى ذمام الصيام

وأبي العيد أن ندين بدين غير دين الصبا ودين المدام

حبذا ميتة تعود حياة بين غض البهار والنمام [4]

---

[3] سورة الأعراف : 148.

[4] سورة الأعراف : 152.

[5] ينظر تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، تح. ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة)- دار الكتاب اللبناني(بيروت) ,ط2-1989: 1:

[4] جذوة المقتبس : 201.

كشف لنا هذا النسق عن الآثار الذي خلفها الترف في المجتمع والطبقة الحاكمة في الأندلس وذلك من خلال تقابل الإيديولوجيات الترف المبثوثة في نصوص الطرفين، وخاصة ما نحن بصدد دراستهم [الملوك والأمراء الشعراء في الأندلس]، وقد وغل هذا الإنجراف أغلب طبقات المجتمع، حتى النخب منهم كالأطباء والمثقفين والأدباء، وبما أن الشعر لسان المجتمعات والمعبر عن كل علم كما وصفه ابن منظور في لسان العرب[1] فنرى طبقات المجتمع المهمة والتي تعد أحد المؤثرات في أطراف النسق والمتمثلة بالمحيط الخارجي للنص قد انجرفت في دوامة الترف التي سرت من القمة [الطبقة الحاكمة] إلى القاعدة [المجتمع]، فعلى سبيل المثال نخبة الاطباء فهذا الطيب ابو حاتم الحجاري، استخدم الشراب ودعى إليه، مع أن الأطباء هم الأعلم بمضار الخمر، لكن الأنصياع في دوامة العقل الجمعي المترف لا تعرف المستويات والمراتب، ومن مقطوعات الطبيب والأديب أبي حاتم الحجاري في مدح الخمر والدعوة إليه قوله :

يـا سـيـدي والنهـار تبصـرهُ منسـجـم الـدمـع مُـطـبـق الأفـقِ

وعـنـدي الـبـدر قـد خـلـوت بـه وفـوق خـديـه حـمـرة الشـفـقِ

جـاذبتـه الـجُـلَّ فسـتقـاد وكم جـريـت خـلـف الـجـموح فـي طـلـق

والـخـمـر نـعـم الـعـتـاد جـامـعـة لشـاربـيـهـا مسـكـيّـة الـعـبـقِ

وقـد هـززنـاك كـي تـجـود بـهـا في الشـعـر هز الغصـون في الورق[2]

[2] المصدر نفسه : 201

[2] المغرب في حلى المغرب :2: 36-37.

هذا من ناحية المستوى والطبقة الإجتماعية، ومن جانب آخر فلقد سار خلف هذه الظاهرة جل أطياف المجتمع، وحتى بعض النساء مِلنَّ خلف هذا التيار في معاقرة شرب الخمر ، فنقل ابن زيدون حادثة له مع بنت المستكفي (الولادة) في ليلة سمر وغزل كانا يشربان الخمر معاً، وحصل سوء تفاهم بينهما نغص عليهما الشراب واللهو[1]، ولا يستبعد ذلك منها فهي على ديدن أبيها وهذا ما وظفه النسق القرآني وهو العقل الجمعي المترف في قوله تعالى : **﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾**[2] والأمة في المنظومة القرآنية هي العقيدة أو الدين وليست الجماعة، وذلك قوله تعالى : **﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً ﴾**[3].أي كان على عقيدة "عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله: إِنَّ **﴿إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾** .قال: **«وذلك أنه كان على دين لم يكن عليه أحد غيره، فكان امة واحدة"**[4]، فهذا الأنصياع والاقتداء على الآثار السائدة و المتوارثة مهما كانت هو الذي أشار إليه القرآن الكريم في نسق العقل الجمعي المترف، فولادة هي من الطبقة الأرستقراطية المترفة، وما كان عليه الآباء فإن الأبناء خلفهم منصاعون، وهي القائلة :

أنـا والله أصـــلح للمـــــعـــــالي أمكن عـاشـــقي من صـــحن خـدي

وأمشـــي مشـــيتي وأتيــه تيهــاً وأعطي قبلتي من يشـــتهيهـا"[5]

مخلفات الترف هي من جرتهم وجرت مجتمعاتهم إلى هذا الإنحلال، فشرب الخمر الذي عم بلاد الأندلس يرمز إلى حياة الترف والبذخ والتفسخ الأخلاقي فيها[6]، ومن جانب آخر رافقت قضية انتشار الخمور تفشي الغناء والموسيقى عند طبقة الملوك والأمراء وجرت إلى المجتمع، واكتض المجتمع الأندلسي بهذا المظهر من مظاهر الترف، وكذا الحال في اتباع

---

[2] ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 1: 431.
[3] سورة الزخرف : 23.
[4] سورة النحل: 120.
[5] تفسير القمي :392.
[5] مغامرات مجنون العرب، حسن توفيق، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة-مصر :18
[6] ينظر المغرب والأندلس في عصر المرابطين : 98.

صنوف المجتمع الأندلس للغناء والموسيقى، وقد شاع وانتشر إلى حد الخروج عن المألوف، فأصاب هذا الداء ودخل في دوامته حتى الفقهاء في ذلك العصر، فجر ذلك إلى الميوع والانحلال والأنقياد نحو الترف حتى صارت الطبائع الأندلسية بصنوفها مائلة إلى الترف وهذا ما شخصه نسق العقل الجمعي المترف، إذ أرانا أن أقبال النصوص على مجالس الغناء والخمر والدعوه إليها أصبحت مهنة أو ديدن يسير عليه أغلب صنوف المجتمع الأندلسي بما فيها الطبق الحاكمة، وما جرهم إلى ذلك إلا الاستهانة والإستخفاف بالقوانين الإلهية التي فعلها كبارهم وسادتهم بتباعهم الترف وإنغماسهم بالشهوات، والمجتمع تبعهم بذلك التيه : **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾**[1]، لأن تيار العقل الجمعي المترف جرف في دوامته حتى الفقهاء، فقد أباحوا الغناء والموسيقى بكراهة والبعض الآخر من غير كراهة [2]، هذا حال من هو الأبعد عن الترف، فأذا كان هذا حال النُخب فكيف بالعامة، وهم يحذون حذوهم :

فـاذا كـان رب البيـت بـالـدف مولعـاً فشـيمة اهل البيت الرقص والطرب[3]

فاتّسع هذا المظهر إلى أن ظهرت المغنيات والراقصات اللواتي عُرفن بجمال الصوت والصورة [4]، ومما زاد على تقبل هذه النقطة في الأندلس والمجتمع هو أعطاء الملوك والأمراء في الأندلس هذه المغنيات والراقصات المكانة الكبيرة والعالية بتقربيهن ورفعهن إلى حد الزواج منهن في بعض الأحيان، إذ أن المنصور بن عامر قد تزوج من مولاته الراقصة والمغنية نبات الجنان [5]، وما هذا المثال إلا تجسيد واضح للترف وكيفية إنسياق المجتمع خلف الشهوات بقيادة حكامهم، فمظاهر الترف من مجالس ومعاقرة الخمور والغناء والرقص وغيرها كل هذه سحبت المجتمع وحكامه إلى دوامة إسمها العقل الجمعي اشتركوا

---

(1) سورة الأحزاب : 67.

(2) ينظر المغني في فقه أحمد بن حنبل الشيباني، (ابن قدامة) أبو أحمد عبدالله بن أحمد المقدسي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1- 1405 :12: 42.

(3) الشاعر سبط أبن التعاويذي من مواليد العراق (٥١٩ - ٥٨٣) هجرية (١١٢٥ - ١١٨٧) ميلادية،يوسف معقوب مسكوني، مطبعة شفيق، بغداد – العراق، ط1 – 1959 م : 98.

(1) ينظر البيان المغرب :3: 308.

(2) ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :1: 124.

وتقابلوا فيه حول الترف، وما عكس ذلك هو المجون والحياة الفارهة التي عاشها الملوك والأمراء في الأندلس، وما أوضح لنا ذلك هو النسق القرآني الذي عن طريقه تمت قراءة نتاجهم الشعري والذي انبثق منه هذا النسق برؤيته القرآنية الثقافية.

نصوصهم في قانون النقد الثقافي هي من أملت علينا هذا النسق القرآني، إذ زجوا بأركان دلالة الألفاظ كل ما هو ملازم للترف في حياتهم، وكيف نظروا للحياة بعين هذا المظهر، فكرسوا حياتهم على هذه الظاهرة، وبعضهم مات وهو منساقٌ خلف الترف، فنرى المعتضد وهو على فراش الموت وعيناه ترمقان بالوداع وهو منعقد قلبه وفكره نحو الملذات، فقد أصيب بالذبحة وهو على فراش الموت فطلب مغني يختم به أنفاسه الأخيرة، وهو يعرف بالمغني السوسي[1]، فبدأ يغني من قصيدة السري الرفاء قائلا والمعتضد يسمع :

نَطوي اللّيالَي عِلّمَاً أن سَتَطوِينا فشَعشِعِيها بماءِ المُزنِ واسقِينا

وتَوّجي بكؤوسِ الراحِ أيدِيَنا فإنما خُلقَت للرَّاحِ أيدينا

قامت تَهُزّ قَواماً ناعماً سَرَقت شَمائلَ البانِ من أعطافِه لِينا

تَحُثّ حمراءَ يَلقاها المِزاجُ كما لقيتَ فَوقَ جَنِيّ الوَردِ نِسرينا

فلستُ أدري أتَسقِيَنا وقد نَفحَت روائحُ المِسكِ منها أو تُحيّينا[2]

الأثر الذي خلفه الترف على الملوك والأمراء والذي لمسانه في أبياتهم الشعرية من خلال الأنساق القرآنية جرى في مجتمعاتهم، وجرفهم أيديولوجياتهم نحوه، وبما أن الشعر والشاعر يعتبر لسان المجتمعات الذي يفصح عن ما فيها فقد صور لنا نسق العقل الجمعي المترف

(3) ينظر نفح الطيب من غصن الأنداس الرطيب :4: 96.

(2) ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت -لبنان، ط1-1996: 453. (البسيط).

بالمنظومة القرآنية الثقافية أن النصوص الطبقة الحاكمة للأندلس والمجتمع هي متقابلة في هيمنة الترف على واقعها وسلوكياتها.

▪ المبحث الثالث : أفول النظام وسراب قوته

النظام هو ذلك العنصر الرابط بين حلقتين، الحلقة الأولى هي الطبقة الحاكمة والحلقة الثانية هم المجتمع، فكما بان أثر الترف في الحلقتين الأولى والثانية فقد سار هذا التأثير في النظام الرابط للحلقتين، وقد وظفت منظومة القرآن الكريم هذا النسق المتجلي في نصوص الملوك والأمراء الشعرية والحائم في باحة الترف، وبما أن طبيعة الأنظمة هي تابعة لواضعها فأن التأثير الذي طرأ على الطبقة الحاكمة طرأ عليه، وكلما زاد الترف اقترب النظام من التفكك والإنهيار، فنسق أفول النظام وسراب قوته يحاكي واقع النظام الذي تأثر بالترف، وما الطبائع التي أكتسبها النظام عند دخوله في هذه الدوامة، فعند الوصول إلى القمة في سلم الترف ومظاهره يكون المترف قد اقترب من السقوط، كذلك ما كان من ملوك الأندلس وأمرائها حين أسندوا أنظمتهم على الترف وجعلوا غايات تلك الأنظمة هي الخلود في باحة الترف فكانت النتائج هي أفول تلك الأنظمة وسراب قوته، ومن طريق هذا النسق المكنون في أبياتهم الشعرية سيتضح أثر الترف الواقع على أنظمتهم والمؤدي إلى تهافة ممالكهم، و المنهج في قراءة هذا النسق القرآني الثقافي يعتمد على تراتبية الآيات والنماذج القرآنية كما عرضنا إلى ذلك مسبقاً فيما سلف من الأنساق، وقد تجلى هذا النسق في عدة مواطن من حيث النص ومُلقيه والواقع المحيط بهما، فمن ذلك ما نرهاه من **(المصانعة الاقتصادية وعشوائية الأنفاق)** .

وما نعنيه من ذلك ما خلفه الأنفاق المبعثر والذي في غير موضعه على نظام اقتصاد المجتمع، وتصنعوا في ذلك الأنفاق والإعطاء فجعلوه مصيدة لاستقطاب عباد الدراهم، كما وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾**، وهذا ما نجده في تصريح المعتضد وأبيه في قصيدته التي كتبها المعتضد لأبيه، يقول فيها :

فو الله ما أبغي بذلك غير أن تحلى بجدوى راحتيك رقاب

ويهـدي إليـك النـاس دون تصـــنع محبـة صـــــدقٍ لم يشـــبـه كِـذاب

فكـلُّ نـوالٍ لـي إليـك انتســـــابـه وأنـت عـلـيـه بـالـثـنـاءِ مـثـاب[1]

هذه المصانعة في المنظومة الاقتصادية كانت الغاية منها ذلّ رقاب الناس لهم، فأفسد بذلك النظام الإقتصادي الإلهي القائل : **﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾**[2] و **﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾**[3]، نسق أفوال النظام وسراب قوته يكمن في هذه الأبيات في توجيه النظام المالي في غير موضعه والاختفاء خلف قناع التصنع والتكلف في العطاء، وهذا ما فعلته بلقيس وقومها مع سليمان، أرادوا أن يكسبوا ودَّهُ ويُركِعُون رقبته إليهم بالبذخ، لذلك رفض سليمان هذا النظام الذي رسموه، بمعنى آخر هذا نظامك الذي أملاه عليكم الترف فتظنون أن كل الرقاب تفرحُ وتنساق لما تستدرونه عليهم، فقالت بلقيس **﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾**[4]هذا هو النظام المترف الذي طرحته بلقيس، وأما نظام الله المتمثل بسليمان فهذا منهاجه **﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾**[5]، لأنه يعلم أنه إذا قبل هذه المِنَّة فقد أفل نظام وصار ملكه إلى السراب .

ويتكرر ذلك المضمون، فنرى عبد الرحمن يصل أحد الراتعين على ترفه ويمن عليه قائلاً :

لا غرو أن كنـت ممنوعـا ومحرومـا إذ غبـت عنـا وكـان العرف مقســـومـا

فلـن ينـــال امرؤ مـن حظـه أمـلا حتى يشـــــد على الإجهـادِ حيزومـا

---

[1] ديوان المعتضد : 109.(الطويل)
[2] سورة المعارج : 24.
[3] سورة الذاريات : 19.
[4] سورة النمل : 35.
[5] سورة النمل : 36.

فهاك من ســـيبنـا مـا كنـت تـأملـه إذ حمـت فوق رجـاء الوِردِ تحويمـا[1]

هذا النظام الذي قد تبعهُ المترفون حتى يدوم ملكهم ويعلوا مجدهم ولكن واقع ذلك هو الأفول وسراب القوة ، بالمقابل هناك نظام أسسه الله وطرح له نموذج في قرآنه الكريم وهو نظام ذو القرنين[2] الملك الصالح الذي أتاه من كل شيء سببا، وملكه الله زمام أمور الناس والذي كان يعتمد النظام الإلهي فـ﴿**قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾[3]، سار ذو القرنين على تأسيس نظام يطمح للسمو والرقي في ميدان الأنظمة الحاكمة، إذ لم ينظر لبساط الملك على أنه مُهرةٌ جميلة يترنح عليها، إنما أحكم لجامها وسيرها بما يبقي الموازين المجتمعية في حد الإعتدال، برمج نفسه ومجتمعه على الزهد وأنه لا يبني مملكته على مادة الترف ومظاهرها فقال ﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**﴾[4] فبنى نظامه على ما مكنه ربه وليس ما مُكن به من متع الدنيا، فمن كان يملك مشارق الأرض ومغاربها حريٌّ بهِ أن يكون الترف دعامة نظامه، ولكنه علم أن النظام أن بُنيّ على الترف فأنه هاوي.

ومن جانب آخر ما خلفه الترف على نظامهم مع مجتمعهم جعله نظام أرستقراطياً، وهذا الاستبداد الاراستقراطي فكك الاواصر المجتمعية وحولها إلى الطبقية، وكلما ما زاد

---

(6) الحلة السيراء :1: 119.

(1) قد أختلف المفسرون حول صفته هل هو نبيا أو عبد صالح، فقال مقاتل بن سليمان، وابن كثير، بأنه نبي، فاعتقدوا أن قول "مكنّا له" هو التمكين الكامل لمرتبة النبوة، ومكنه من قل شيء، والرأي القائل بأنه عبد صالح أو مَلك من الملوك الذين أختارهم الله في خلافة أمور الناس فهو رأي الجهور، وهذا ما أكده قول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إذ قال " لم يكن نبيا ولا ملكا ولكنه كان عبدا أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصحه الله " وهذا القول هو الأقرب عند أغلب المفسرين والمؤرخين، فذو القرنين كان عبداً صالح متبعاً لحدود نصح لله في السراء والضراء وحتى في تسنمه الملك وأقطار الأرض . / ينظر / ينظر تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تح. أحمد فريد، دار أحياء التراث، بيروت-لبنان: 2: 299-301./ وينظر البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تح. علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ط1-1988: 2: 122. ينظر : تفسير الصافي :3: 259./ أيسر التفاسير، لجابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط3-1990 :2: 284. / وتفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهيد الخازن، تح. عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان :3: 175./ و ذو القرنين الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان، دار القلم، دمشق -سوريا، ط2-1994 :45 , صحيح البخاري :6: 383. و كمال الدين وتمام النعمة :1: 421-422

(2) سورة الكهف : 87-88.

(3) سورة الكهف : 95.

النظام الأرستقراطي من استبداده أقترب من أفوله وفكك اواصره المجتمعية وهذا **(استبداد النظام الارستقراطي وتفكك اواصره)** .

فعندما يظن أنه وصل إلى قمة السيادة، فإن سقوطه حان، وما أنبأ عن ذلك إلا نصوصهم المشحونة بالنظام الأرستقراطي، فمنها قول ابو القاسم محمد بن إسماعيل :

ولا بد يوماً أن أسود الورى ولو رد عمرو للزمان وعامر[1]

وقول يوسف الثالث وهو ينيط آمال العباد به، وهو من يفرجها ويحقق الآمال :

تناط بي الآمالُ وهي عسيرة فيفرجها خرق تدر فواضله[2]

وكذا محمد بن محمد بن يوسف ثالث ملوك بني نصر، قد نفى أن على هذه البسيطة أشرف منه وأعلى منزلة، فيقول :

أوامري في الناس مسموعة وليس مني في الورى أشرفا[3]

ونرى ابن رزين يجعل محك الحياة والموت في بعض الصفات، ثم يشهد لنفسه بأن يتصف بها، فيقول :

أنا ملك تجمعت في خمس كلها للأنام محيي مميت[4]

هذه الادعاءات التي خلفتها عليهم انغماسهم في الشهوات والترف أدخلتهم في نظام الأرستقراطيين وخاضوا في ميدانه فكان مَثلهم في هذا النسق هو مثل الذي حاج

---

(1) الحلة السيراء :2: 38.(الطويل)
(2) ديوان يوسف الثالث : 93 (الطويل)
(3) الإحاطة في أخبار غرناطة :1: 546.
(4) الحلة السيراء :2: 110.

إبراهيم[1]فعندما آتاه الله مُلكا وبعض الصفات قال أنا أحيي وأميت، وأنا بيدي كل شيء وأفعل كل شيء، وأنا ربكم الأعلى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ**﴾ [2]، وذلك راجع إلى ما أترفه فيه، فقد ورد في الأخبار أنه كان**"جبار مترف"**[3]، وهذا ما خلفه من آثارٍ على نظامه وجعله أرستقراطياً، كذلك فعل بطبقة الأمراء والملوك في الأندلس، فقد جرهم أثر الترف لأن يصنعوا من الناس عبيداً حين اعتقدوا أن كل شيء بيدهم، وظنوا ما ﴿**أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**﴾[4]، وقد وصف أمير المؤمنين هذا الأفول والسراب بقوله : **"الظلمُ يزلُ القدمَ و يسلبُ النعمَ و يهلكُ الأُمَمَ."**[5] وقال **"مَنْ جارَ أهلكَهُ جَورُهُ"**[6] و **"مَنْ عَمِلَ بالجَوْرِ عَجلَ اللهُ هلكَه"**[7] و **"راكبُ الظلمِ يكبُو بِهِ مركبُهُ."**[8]،التأكيد على أن النظام أذا دخل في باحة الترف وظلم فأنه أقترب من الأفول وكانت قوته سراب .

وهذا الأفول والسراب جسدته أبياتهم، فالفخر بالسلطان الدائم بزعمهم وقوتهم العظيمة بائت إلى إضمحلال، وهذا يوسف الثالث يقول بعد ما أبعدوه عن سلطانه وعزه ووطنه :

مشــوق بأقصـــى الغرب طال اغترابه وبالشـــرق أهليه شـــكى وصـــحابه

تحكم فيــه الــدهر مُـذ شـــطّ دارُه وجــانبــه مَن كــان يغشـــى جنــابــه

---

[1]هو نمرود الذي استخف الناس من قبل ودعاهم إلى عبادة الأصنام، فكانت الخطوة الأولى في أفوله وسراب قوته حين كسر الأصنام نبي الله إبراهيم عليه السلام وبرهن أنهم ما هؤلاء ينطقون، فحينها سجن نمرود إبراهيم عليهم السلام و ساق الناس إلى جمع الحطب لحرق إبراهيم [#] وظن أنه هو قادر على أن يفعل ما يشاء لأنه بيده الملك، فيحيي ويميت، ولكن الحقائق أن الأنظمة مهما سمت فهي تتهافت أمام الحدود الإلهية، فأفل نظامه حين أبهتهُ أبراهيم بالحجاج، وأصبحت قوته وملكه وترفه سراباً حين إبتلاه الله بميتتاً مذلة له، وهي أن سلط الله عليه أضعف مخلوقٍ عنده وهي البعوضة فدخلت في رأسه وجعلته لا يقدر على شيء وأذلته لمدة أربعين يوم حتى مات، وينقل أيضاً أن حادثة الحجاج حدثت حين كسر إبراهيم الأصنام فأحضره إلى السجن وأراد إحراقه وفي أثناء ذلك حدثت المناظرة، / راجع البرهان في تفسير القرآن :1: 528. / وتفسير مقاتل بن سليمان :1: 138. و ينظر الدر المنثور :3: 25.

[2] سورة البقرة : 258.

[2] الدر المنثور :3: 25.

[3] سورة الكهف : 35

[4] ميزان الحكمة :2: 1771-1772

[5] المصدر نفسه 2: 1771-1772

[6] المصدر نفسه 2: 1771-1772

[7]المصدر نفسه 2: 1771-1772

وذمَّ ذِمـامـاً طـالـمـا قـد رعـيـتـهُ وطـالبـه مَن كـان يرجو طِلابـه[1]

ونرى نسق الأفول في موضع آخر يشتكي فيه حنينه لما خلف من جمال سلطة وطبيعة :

سَـــبيكتنـا الـغراء جـادتـكِ أدمُـع وإلا فَوَكـافُ مـن الـمـزن نـاضـــح

فـأنـت إلـى كـل الـنـفـوس حـبـيـبـة كـأنـك رُوح والـنـفـوس جـوارح

بـمـغنـاكِ أهواء الـنـفـوس تـجـمـعـت فـمـا أمـلٌ إلا لـقـصـــدك جـانـح

هـواؤك مِـعـطـار وتـربـك مـنـتـقـى وماؤك ســلسـال وعيشــك صـــالح

أبوح بمـا حُملـتُ منـك من الأســى ويـا رب مغلوب لـه الوجـد بـائح[2]

هذه الحسرات التي تخفي خلفها نسق أفول النظام وسراب قوته وهذا ما لمسناه في الفخر وهم في قوة نظامهم واقبال الدنيا، ولكن سراب القوة وأفول النظام واضح لكل من استشرى بالترف.

منهج هذا النظام بتعاقب أثر الترف عليه يولد الجشع وعدم الإكتفاء وقباحة السلوك، ظناً منهم أن ذلك يوسع من ترفهم ويُبقي على نظامهم السياسي، ولكن هذا هو **(سراب التوسع في النظام السياسي واقترابه من الأفول)** .

هذا الوهم الذي أضفاه عليهم الترف من جشع في التوسع صورته لنا أبياتهم الشعرية في مضمار هذا النسق، إذ لم يكتفوا بما فيه من ترف، فغزو واحتلوا وقتلوا فأصبح ديدنهم سفك

[1] ديوان يوسف الثالث : 14 (الطويل).
[2] ديوان يوسف الثالث : 30 (الطويل)

الدماء والفتك بالآخرين والأعتداء على حقوقهم، فبرمجوا نظام حكمهم على هذا الأساس الذي خلفه الترف عليهم وعلى أنظمتهم، و يتباهون بذلك ويعدونه من الشجاعة، وتظافر هذا المضمون في أبياتهم، فذا الحكم الربضي يستعرض قوة نظامه في الفتك بالآخرين من الأعداء، ويبني نظامه على انتهاك الأهل والعرض :

رأيتُ صــدوع الأرض بالســيف راقعا وقدْماً لأمت الشـــعب مذ كنت يافعا

فســـائلْ ثغوري هل بها اليوم ثغرةٌ أبادرها مســتنضـــي الســيف دارعا

وشــافهْ مع الأرض الفضــاء جماجما كـأقحـاف شـــرْيـان الهبيـد لوامعـا

تُنبِّئْـك أنـي لـم أكـن فـي قـراعـهـم بوانٍ وقدماً كنت بـالســـيف قـارعـا

وأني إذ حــادوا جزاعــاً من الردى فلم أكُ ذا حيـد من الموت جـازعـا

حميـتُ ذمــاري فــانتهبـت ذمــارهم ومَنْ لا يحامي ظل خزيان ضــارعا[1]

فيرى أن قوة نظامه مستندةً إلى هذا الفتك والهتك، ولكن هذا ما أضفاه عليه الترف، لأن السيف والحروب إذا كانت للدفاع عن مجتمعاتها وأنظمتها كانت نعم السيوف، ولكن إذا كان مبدؤها الاستحواذ على حياة وحقوق الآخرين فهذا هو جشع الترف، ومن يحسب ذلك قوةً فقد وقع في مصيدة السراب التي ترمي بنظامه إلى الأفول، وكذلك قول المعتضد :

لــقَــد حُصِّـــــلــتِ يــا رُنــدَهْ فَصِـــــرتِ لِــمُــلــكِــنــا عِــقــدَهْ

[1] الحلة السيراء :1: 47. (طويل)

أفـــادَتـــنـــاكِ أرمـــاحٌ وَأســـيـــافٌ لَـــهـــا حِـــدَّهْ

وَأَجـــنـــادٌ أَشِـــدَّاءٌ إِلَـــيـــهِـــم تَـــنـــتَـــهـــي الشِـــدَّهْ

غَـدَوتُ يـرَونـنـي مَـولـى لَـــهُـــم وَأَراهُـــمُ عـــدَّهْ

ســـأفـــنـــي مُـــدَّةَ الأَعـــدا ءِ إِن طـــالَـــت بـــيَ الـــمُـــدَّهْ

وَتَـبـلـى بـي ضَـــلالَـتُـهُـم لِـــيَـــزدادَ الـــهُـــدى جِـــدَّهْ

فَـكَـم مِـن عُـدَّةٍ قَـتَـل تُ مِـنـهُـم بَـعـدَهـا عُـدَّهْ

نَـظَـمـتُ رُؤُوسَـــهُـم عِـقـداً فَـحَـلّـت لَـبَّـة السُـــدَّهْ[1]

يستلذون ويستمتعون بهذه المعاني، لأنهم عدوا أنظمتهم بكل ما أوتوا من قوة ليدوموا على ما هم فيه، و قتل العده بعد العده، وينظمها كأنها عقداً، حتى حين أراد وصف نظامه المستبد وصفه بمظهراً من مظاهر الترف، وعلى قدر ما خلف الترف من آثار قست في قلوبهم بدؤوا يستمتعون بالقتل والفتك والدماء أكثر من الملذات والعادات في الترف، فنرى عبد الرحمن بن معاوية يصف لذته في اصطياد أعدائه وقتلهم أكثر من صيد الطيور والفرائس، فينشد قائلاً :

دعـنـي وصـيـد وقـع الغـرانق فـإن همـي فـي اصـطيـاد المـارق

[1] ديوان المعتضد : 116 (مجزوء وافر)

في نفق إن كان أو في حالق إذا التظت لوافح الضوائق[1]

وعلى نفس المضمون تلاه يوسف الثالث قائلاً :

تعوض من لبس الحرير دروعاً وأبدلَ من كأس المدام نجيعاً

ومن مائل القد المنعم ذابلاً تساقي ولاقى في الدماء شروعا

ومن ظِلّ خفاق الظلال مهدل هجيراً يظلُّ السرب فيه مَروعا

ينافحُ ما بين الثنايا بهبة يعودُ بها الصحبُ الأبيُّ مطيعا

فيا لثرى يسقى المصاعُ ترابه مواكبَ طوعَ الملتقى وجُموعا

ومن رائق الخدين حَدَّي مذرَّبِ يغادر حزب الدراعين صريعا[2]

وكذا يقول :

وعوضت عن ليل الصبابة والهوى بأرعن جرار تخب جحافله[3]

في هذه المضامين و واقعها أقتربوا من المثال الذي طرحه القرآن الكريم وهو المَلك الذي زامنَّ الخضر و موسى عليهما السلام[4]، فذاك جرته أطماعه للطغيان على مجتمعه وعلى

---

(1) الحلة السيراء :1: 49.
(2) ديوان يوسف الثالث : 170 (الطويل)
(3) المصدر نفسه :116. (الطويل)
(4) ورد في بعض المصادر أن هذا الملك كان في جزيرة الأندلس وتحديداً في قرطبة، والقرية التي أبت أن تضيفهما الجزيرة الخضراء، وقيل هو أول من ظهر الظلم على يديه في البحر / ينظر البحر المحيط :6: 139.

ما يحيطه من بلدان، وقد رسم نظامه على الغصب والسلب والقتل، وهؤلاء جرتهم أطماع الترف ليتسعوا فيه ولو كان ذلك على الدماء والقتل والفتك، فهذه الأبيات وغيرها لشعراء الملوك والأمراء رسمت لنا حلقات النظام الذي ساروا عليه، فوجدنا من خلال النسق القرآني [أفول النظام وسراب قوته] مدى تأثير الترف ومظاهرهِ عليهم ولمسنا ذلك من خلال أقتران مظاهره في نظمهم وشدة الفتك والهتك في بناء الأنظمة، فجعلهم الترف لا يكتفون بما هم فيه فجيشوا الجيوش وأعدوا العدة وقتلوا وسفكوا الدماء واحتلوا البلدان حتى أراهم الترف أن قبائحهم لوحة فنية جميلة، وعدوا كل ذلك قوة ودواماً لملكهم، ولكن الحقيقة أنهم رسموا خط الهلاك بأيدهم حين نسقوا نظامهم الاقتصادي والسياسي والإجتماعي على هذا الديدن فأفل نجم السطوة وانكشف سراب القوة وتبعثرة حلقات ذلك النظام الذي بُني على مخلفات الترف والأثر الذي أركسه في نظامهم، ومن جهة آخرى جعلوا المسيحيين وغيرهم يستثمرون هذه الفرصة للسيطرة على الأندلس وسحب البساط منهم حين أسقطوا آخر قاعدة لهم وهي غرناطة، وما جرَّ ذلك لهم إلا مخلفات الترف الذي بالغوا بها فزادت من أطماعهم وجشعهم **﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**[1] **﴿وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾**[2] فحين أفلت وتلاشت الحلقة الرابطة بين المجتمع والطبقة الحاكمة المتمثلة بالنظام سقط حينها طرفا ذلك النظام المجتمع والحكام، فالنظام هو القاعدة وحين نخرت آثار الترف تلك القاعدة سقط سقف الأندلس وأفل نجمها : **﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ إِذ لَا يَشْعُرُونَ﴾**[3]، لأنهم **﴿كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾** [4]، وما يوضح ذلك النسق هي أبيات رثاء الأندلس التي دونت أفول النظام الأندلسي الذي بُني على الترف من قِبل الملوك والأمراء في الأندلس، ولعل نونية أبي البقاء الرندي تكون بمثابة لسان الحالِ لما خلفه الترف من آثار على هذهِ الأنظمة وساقها إلى الأفول وسراب القوة، فمنها قوله :

---

[1] سورة الأعراف : 78.
[2] سورة إبراهيم : 28.
[3] سورة النحل : 26.
[4] سورة الواقعة :45.

وَهَـــذِهِ الـــدَّارُ لَا تُـــبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَـــدُومُ عَـــلَى حَـــالٍ لَهَا شَانُ

أَيْـــنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِن يَمَنٍ وَأَيْـــنَ مِـــنْهُمْ أَكَـــالِيلٌ وَتِيجَانُ؟

وَأَيْـــنَ مَـــا حَازَهُ قَارَونُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْـــنَ عَـــادٌ وَشَـــدَّادٌ وَقَحْطَانُ؟

أَتَـــى عَـــلَى الْـــكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ حَـــتَّى قَـــضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا

بِـــالْأَمْسِ كَـــانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ وَالْـــيَوْمَ هُـــمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ[1]

هذا واقع ما أضفاه الترف من آثار على أنظمتهم، والغرض من أبيات الشكوى التي أوردنا بعضها آنفا هو لتدهور حالهم وأفول نجم السلطة من سماء ترفهم .

سرت آثار الترف على الفرد والمجتمع والنظام في الأندلس وكان ذلك من خلال انغماسهم في الترف وميلهم إليه، وما كشفه النسق القرآني في أبياتهم الشعرية التي نسجت من واقع مترف مضافاً إليها الملقي المترف فما كان من ذلك التمازج إلا أن ينتج نصاً مترفاً يكون علامة على واقع الملوك والأمراء الشعراء في الأندلس، كما أظهرت لنا تلك الأنساق النماذج التي طرأ عليها أثر الترف في القرآن الكريم وكيف أن العواقب كانت مطابقة لواقع الملوك والأمراء في الأندلس، فقد انغمسوا في الترف، وقد استدرجتهم مظاهر الترف، وقد أهلكهم الترف، لعلها تختلف السيناريوهات ولكن المقدمات والنتائج واحدة

[1] أبو البقاء الرندي-شاعر رثاء الأندلس، د.محمد رضوان الداية، مكتبة سعد الدين- مكتبة لسان العرب، بيروت-لبنان، ط1- 1976 و ط2- 1986 : 143-144.

الخاتمة

وقف هذا البحث عند الترف وأنساقه القرآنية في شعر ملوك الأندلس وأمرائها، فعرّف بالترف ومظاهره عند نتاج الملوك والأمراء الشعري في الأندلس في مضمار الأنساق وبرؤية قرآنية ثقافية، وخلصت إلى عدد من النتائج :

1- ان الترف ظاهرة تجتاح الافراد والمجتمعات عندما تنسلخ القناعة، وتترادف النعم بغياب الشكر فيكون المترف بين التفريط والاسراف وهذا ما ظهر في الاندلس بما احتوته من اسباب مادية واخرى معنوية من ظاهرة الترف، وهذه الحاضنة أثرت بشكل وآخر على أفراد ذلك المجتمع.
2- بان اثر الترف في الاندلس عن طريق السلوكيات والثقافات في الاقوال والافعال، واقرب من برزت فيهم هذه الاثار في الاندلس هم الطبقة الحاكمة المتمثلة بالملوك والامراء.
3- الترف في الطبيعة الاندلسية بكل ما حوت من تاريخ وجغرافية وبيئة جعلت للأندلس مزاجاً مترفاً ، وهذا التاثير سارٍ على التكوين البدني والنفسي والثقافي والمجتمعي لأفراد هذه الطبيعة .
4- مثلث الترف المادي المتمثل بالمبالغة في الهندسة العمرانية ونمو الثروات والعناية بالكماليات في الصناعة، وازدهار التجارة والزراعة، مظاهر دلت على عمق ثقافي متجذر للترف في المجتمع الاندلسي ولا سيما طبقة الملوك والامراء المولعة بالترف.
5- كان لمظهر الترف المعنوي الدور الغالب على الحياة في الأندلس، عن طريق الترف الفكري المتمثل بإسهاب المواضيع التي لا طائل منها من خلال الأدب والعلوم وغيرها، وكذلك الترف النفسي الذي وضع بعض صنوف المجتمع ولاسيما الطبقة الحاكمة في قوقعة التعالي والتكبر، وتفشى عندهم الترف في الإنفعالات الحميمية فظهر عندهم غزل الغلمان الذي أدى بظهور اللواط والسحاق في المجتمع، وعلى قدر ما استشرى الترف فيهم فقد

انتقلت صفاته من الآباء إلى الأبناء وجرت في الأحفاد ولعل أقرب نموذج لذلك الترف هما المعتضد وأبنه المعتمد وأبناؤهما.

6- قراءة النصوص الأدبية بمنهج النقد الثقافي وبرؤية قرآنية ثقافية خالفت القراءات الأدبية السابقة السائدة المقتصرة في استظهار دلالة النصوص على مبدأ الجماليات ، وأحادية الرؤية النقدية ذات المنهج المُنغلق على زج الأدب بين الفن والفلسفة، وأثبتت الأنساق في ميدان الثقافة أن القراءة للأدب يجب أن تكون محيطة بالنص ومُلقيه والواقع الذي ساهم في بناء ذلك النص وأضفى تأثيراتِهِ على ملقيه ، فكانت قراءة أبيات الملوك والأمراء في الأندلس المتضمنة لظاهرة الترف في هذا البحث وفق الرؤية النسقية الثقافية القرآنية التي تُخرج ما وراء جماليات الألفاظ والدلالة وتطابقها مع الواقع المحيط بذلك النص ومُلقيه لتنتج لنا حقائق ما أضمرت وسارت عليه تلك النصوص.

7- دلّ الترف الكامن في نصوصهم الشعرية على تعلق قلوبهم بتلك المظاهر الناشئة من حب الشهوات، وحسب المنظور القرآني فقد قسم حب الشهوات إلى أربعة منافذ، الأول حب السلطة والمُلك، والثاني حب المال والإسراف في العطاء، وحب الوجاهة، وحب الجنس بطرفيها الذكوري والأنثوي مضيفاً إليها إمتداد النسل، هذا المربع من حب الشهوات تخفى خلف جمليات الأبيات، وأدى ذلك الى تظافر هالة الترف من جانب تعدد مظاهرها وتفاخرهم فيها، وهذا التكاثر الكمي والنوعي افسد عقائدهم وتوجهاتهم فباتت المفاهيم عندهم مقلوبة وهذا ما احتوته ابياتهم واظهرته الانساق القرآنية.

8- من الآثارالمكنونة في أبياتهم الشعرية والتي تركها الترف فيهم هو استحباب الدنيا على الآخرة، وأن مطامعهم الدنيونية أخلدتهم إلى الشهوات والملذات واطمئنوا لها، فاختلفت عندهم الموازين فعملوا للدنيا على أنها دار قرار، وتناسوا الآخرة لأنها لا تنسجم مع مترفاتهم من الحياة، فغلب ذلك الآثر على الأقوال والأفعال وخالطوا صافياً بآجن.

9- استشرى أثر الترف فيهم وفاض على مجتمعاتهم، فجرفوا المجتمع إلى الترف بإظهارهم للترف ودعواهم إليهم وهذا ما وطّنته أبياتهم الشعرية وكشفه نسق العقل الجمعي المترف أو الانصياع المجتمعي للترف.

10- انصياع الطبقة الحاكمة ومجتمعهم للترف أدى إلى أفول النظام وسراب قوته، لأن النظام هو الحلقة الواصلة بين الحكام والمجتمع، لذا سرى أثر الترف في شتى أنظمة الأندلس من وهن اقتصادي وتفكك اجتماعي وانهيار سياسي، ادى كل ذلك إلى أفول النظام في الأندلس وسراب قوته.

11- خالف المفهوم القرآني لظاهرة الترف المفهوم السائد الذي يعد أن الترف هو الملازم للغنى والثراء والذي تبرز مظاهره في الجانب الحسي للإنسان فقط ، في حين أن المفهوم القرآني لا يشترط تلازم الترف بالغنى ، لأن الترف في مفهومه لا يتوقف على الجوانب المادية أنما يتوغل للجوانب المعنوية للأنسان ، فمظاهر الترف التي تبرز في الخارج ما هي إلا انعكاس لصورة الترف المكنون في الداخل .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب (776هـ)، تحقيق : محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.
- الأدب الأندلسي – موضوعاته وفنونه -، د.مصطفى الشكعة، دار الملايين، بيروت – لبنان.
- الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز محمد عيسى، مطبعة الاستقامةِ، مصر – القاهرة، ط1-1936م.
- الإسلام حياة أفضل، السيد محمد تقي المدرسي، منشورات محبان الحسين عليه السلام، قم إيران، ط1-2007م.
- إعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، لسان الدين بن الخطيب، ، تح : ليفى بروفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان، ط2، 1956م.
- الأمالي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح.قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم-ايران، ط1-1414هـ.
- الايزوتريك او الدرب الباطنية واهميتها في حياة الانسان، غازي او شقرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 1994م.
- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تح.عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط2- 1983م.
- البحر المحيط، ابو حبان التوحيدي الأندلسي، تح.الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2.

- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تح.علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ط1-1988م.
- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت – لبنان، ط2-1427هـ-2006م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، محمد ابن عذاري، تح.ليفي بروفنسال، مكتبة الصادر.
- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1971م.
- تاج العروس، محمد مرتضى الواسطي الزبيدي، تحَ.على شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 1994م.
- تاريخ ابن خلدون مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت .
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- تاريخ افتتاح الأندلس، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (ابن قوطية)، تح.ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2- 1989م.
- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت - لبنان، ط2.
- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.السيد عبد العزيز سالم و د.أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1- 1996م.
- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، نخبة من المؤلفين (د.خليل ابراهيم السامرائي - د.عبد الواحد ذنون طه – د.ناطق صالح مطلوب)، دار الكتب الوطنية – بنغازي ليبيا / دار الكتب الجديدة المتحدة – بيروت لبنان، ط1.
- تاريخ المغرب والأندلس، أحمد العبادي، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان.

- تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، تح.ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة)– دار الكتاب اللبناني(بيروت) ,ط2-1989م.
- التبيان، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح.أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ط1-1409هـ.
- تجليات الترف في بنية القصيدة الأندلسية -عصر ملوك الطوائف-، أماني أحمد عيد طه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق-سوريا، ط1-2019.:
- تحف العقول، ابن شعبة البحراني، تح.علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ط2- 1363هـ.
- الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي (92 هـ – 668 هـ)، إعداد فرج زيارة، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب الجامعة الإسلامية – غزة، 2010م.
- تفسير ابن كثير، ابن كثير (ت 774ه) ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، ط1، 1992م.
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهيد الخازن، تح.عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- تفسير الصافي، أيسر التفاسير، لجابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط3-1990م.
- تفسير القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، 1405هـ.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تح.السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم – إيران، ط3- 1404هـ.

- تفسير الكشاف، لابي القاسم جار الله محمود بن بحر الزمخشري، تحقيق : خليل مأمون شيحا، ط5، دار المعرفة، بيروت – لبنان .
- تفسير جامع البيان، لمحمد بن جرير الطبري، تح.الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعةِ والتوزيع.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تح.أحمد فريد، دار أحياء التراث، بيروت-لبنان .
- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مشهد – إيران، ط2-1414هـ.
- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط2010م.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، المملكة العربية السعودية، ط1.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح.محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1965م.
- جدلية الخفاء والتجلي – دراسات بنوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1-1979م.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبوعبدالله محمد بن فتوح الحميدي، تح.بشار عواد معروف – ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامية، تونس، ط1 – 2008م.
- الجغرافيا الطبيعية – أشكال سطح الأرض، د.عبد العزيز طريح شرف، مؤسسة الثقافة، السعودية – جامعة الإسكندرية، ط1-1993م.
- الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، حسين مؤنس، مكتبة مذوله، ط2- 1986م.

- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس، د.محمد بن عبود، تقديم الأستاذ محمد المنوني، مطبعة النور، تطوان – المغرب، ط 1987م.
- حضارة العرب، غوستاف لوفون، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر العربية.
- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت – لبنان، ط1- 1998م.
- الحلة السيراء، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي المعروف بابن الأبار، تح.حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2— 1985م.
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – مصر، ط1- 2011م.
- حوار مع فضل الله حول الزهراء، السيد هاشم الهاشمي، دار الهدى لطباعة والنشر، ط2.
- حول العالم في كتب (إسبانيا أرضها وشعبها)، دوروثى لورد، ترجمة طارق فوردة، مكتبة الإسكندرية، ط1 – 1965م.
- الحياة العلمية في الثغور الأندلسية، أ.د.محمد بشير العامري، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1- 2016م.
- خطبة الغدير النص الكامل، محمد باقر الانصاري، دار الفكر .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت – لبنان .
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح.محمد التنجي، دار الكتب العربية، بيروت-لبنان، ط1995م.
- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، مصر – القاهرة، ط4- 1997م.

- دولة المرابطين في المغرب والأندلس – عند يوسف بن تاشفين أمير الأندلس، د.سعدون عباس نصر الله، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1- 1985.
- ديوان ابن حمديس الصقلي، تح.د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان .
- ديوان ابن زيدون ورسائله، تح.علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر .وفي نسخة أخرى ديوان ابن زيدون، تح.عبدالله سنده، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1-2005م.
- ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت -لبنان، ط1-1996م.
- ديوان المعتمد بن عباد (ملك أشبيلية)، تح : الدكتور حامد عبد المجيد والدكتور احمد احمد بدوي، مراجعة الدكتور طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ط2، 1997م.
- ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث)، تح : عبد الله كنون، دار سعد مولاي الحسن، المغرب تطوان، ط1، 1958م.
- ديوان هارون الرشيد، جمع وتحقيق وشرح الدكتور سعدي ضنّاوي، رفعهُ عبد الرحمن النجدي، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1-1998م.
- الديوان، أبو الفتح إسحاق بن إبراهيم ابن خفاجة، شرحه وضبط نصوصه الدكتور عمر فاروق الطبّاع، منشورات المطبعة دار القلم، بيروت-لبنان.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تح.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط1-1979م.
- ذكر سقوط الخلافة في الأندلس، محسن الندوي، بريس تطوان، الجريدة الإلكترونية في تطوان، 5/يناير/ 2012م.

- ذو القرنين الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان، دار القلم، دمشق -سوريا، ط2-1994م .
- الرهائن السياسيون في الأندلس - منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، د.محمد مدحت عبد الحارث، دار ببلوماينا للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1-2018م.
- روضة الواعضين، الفتال النيسابوري، تح.السيد حسن خراسان، منشورات الرضي، قم-ايران.
- الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان (من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة 92-422هـ)، دكتور خالد حسن حمد الجبالي، مكتبة الآداب، ميدان الآبورا - القاهرة.
- السياق والأنساق، محمد عبد الكريم الحميدي، جامعة المدينة العالمية - قسم اللغة العربية، 2013 .
- الشاعر سبط أبن التعاويذي (519 - 583) هجرية (1125 - 1187) ميلادية، يوسف معقوب مسكوني، مطبعة شفيق، بغداد – العراق، ط1 – 1959م .
- الشعر الاندلسي في عصر ملوك الطوائف، هنري بيرس، ترجمة طاهر احمد مكي، دار المعارف، 1988م.
- الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد عبد المقصود هيكل، دار المعارف، مصر، ط1-1993م.
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت-لبنان، ط1-1985م.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256هـ) تحقيق عز الدين ضلي وعماد الطيار وياسر حسن، مؤسسة الرسالة ناشرون .
- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت – لبنان.

- صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، عمر ابراهيم توفيق، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م.
- الطابور الخامس، أحمد جابر حسنين، دار الكتب المصرية - الناشر مجموعة العربية للتدريب، القاهرة- مصر، ط1-2013م.
- عصر الدول والإمارات الأندلس، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط1- 1989م.
- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تح.عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1-1983.
- العمارة الإسلامية والبيئة، د.م.يحيى وزيري، عالم المعرفة (مطابع السياسة)، الكويت، ط1-2004م.
- عمارة المساجد في الأندلس – قرطبة ومساجدها، باسيليو بابون مالدونادو، ترجمة: د.علي ابراهيم منوفي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، ط1-2011م.
- العين، لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، تح.الدكتور مهدي الخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط2.
- غابر الأندلس وحاضرها، محمد كرد علي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1-1923.
- غرناطة في ظل عصر بني الأحمر (دراسة حضارية)، د.يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1-1993م.
- فوات الوفيات (والذيل عليه)، محمد شاكر الكتبي(ت 764 هـ)، تح.د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان.

- فوائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبي النصر الفتح بن عبدالله بن محمد الأشبيلي المعروف ب(ابن خاقان)، تح.د.حسين خرموش، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن – الزرقاء، ط1-1989م .
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط8، 2005م.
- القراءة النسقية، أحمد يوسف، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط2002م.
- قرطبة حاضرة الأندلس، الدكتور عبد العزيز سالم، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.
- قصة فتح الأندلس (من الفتح للسقوط)، راغب السجستاني، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1- 2011م.
- القصص القرآنية عرض وقائع وتحليل أحداث، الدكتور صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق-سوريا، دار الشامية، بيروت-لبنان، ط1-1998م.
- قصور وحدائق الأندلس (دراسة تراثية – عمرانية – جمالية)، محمد هاشم النعسان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2017م.
- القصيدة العربية الاندلسية الغزلية، بسمة احمد صدقي الدجاني، دار المستقبل العربي، القاهرة – مصر، ط1-1994م.
- الكافي، محمد بن يعقوب الكُليني، تح.علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط 3-1388هـ.
- كتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، تح.أدريان فان لوفين وأندريا فيري، الدار العربية للكتاب، مصر، ط١-1992م.
- الكتاب المقدس (العهد القديم): سفر العدد: إصحاح 22 وما بعده.
- كتاب ما قاله الملاحدة... ولم يسجله التاريخ، د.نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط1-1438هـ.

- الكُتب والمكتبات في الأندلس، دكتور حامد الشافعي دياب، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1998م.
- كلمة الله، السيد حسن الشيرازي، دار العلوم، بيروت – لبنان، ط 6-2017م.
- كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ت (381ه) تحقيق السيد محمد كاظم الموسوي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان .
- لسان العرب، جمال الدين محمد ابن منظور، نشر أدب الحوزة، قم - إيران 1405ه.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، الوزير لسان الدين بن الخطيب، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة،1347هـ.
- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، حسين دويدار، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1994م.
- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، تح.جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت – لبنان.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان.
- مُختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي، تح.أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1994م.
- المساجد والقصور في الأندلس، الدكتور عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، مصر، ط ، 1986م.
- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل ابو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1425هـ.
- مصباح الزائر، السيد علي بن موسى بن طاووس، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم – ايران .

- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليه السلام، محمد بن طلحة الشافعي، تح.ماجد ابن أحمد العطية، طبعَ إشراف السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة البلاغ.
- المعارف، عبدالله بن مسلم، بن قتيبة، تح.ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، ط2-1992م.
- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي)، تح.علي أكبر غفاري، الناشر وابسته، قم- ايران .
- المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تح.محمد سعيد العريان ومحمد العربي، مطبعة الاستقامة، مصر-القاهرة، ط1-1949م.
- معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان ساحة رياض، بيروت-لبنان .
- معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح.محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ط1-1982م.
- معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ط1 – 1960م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تح.عبد السلام محمد هارون، مركز النشر – مكتب الاعلام الاسلامي، ط1 1404هـ.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامية، بيروت-لبنان، ط1-1981م.
- مغامرات مجنون العرب، حسن توفيق، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة-مصر .
- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964م.

- المغرب في حلى المغرب، علي بن موسى بن سعيد، تح.شوقي ضيف، دار المعارف العربية، مصر .
- المغرب والأندلس في عصر المرابطين، إبراهيم القادر بوتشيش، ط1، دار الطليعة للطبعة والنشر، 1993م.
- المغني في فقه أحمد بن حنبل الشيباني، (ابن قدامة) أبو أحمد عبدالله بن أحمد المقدسي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1-1405هـ.
- المُغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1-1405هـ.
- مفسدات القلوب، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد – الرياض، ط1 2017 .
- مقالات عكس التيار (حول الترف والاستبداد)، مختار الأسدي، دار الكتب العراقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2- 2011م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، أبو مروان ابن حيان القرطبي، تح: عبد الرحمان علي الحجي، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت.
- مقدمة قصيرة جداً (الأرستقراطية)، ويليام دويل، ترجمة زينب عاطف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – مصر، ط1-2016م.
- مكارم الأخلاق، أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف، 1971م.
- مناقب آل أبي طالب، الحافظ ابن شهرآشوب شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب، المطبعة الحيدرية، النجف-العراق، 1357هـ.

- موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، د.طه عبد المقصود عبد الحميد عُبية، دار المُهتدين الإسلامي لمقارنة الأديان.
- موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهاوي، تح.د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1-1999هـ.
- موسوعة الأحاديث القدسية، السيد حسين نجيب محمد، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان، 2010م.
- موسوعة علم الإنسان - المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، شارلون سيموث-سميث،ترجمة مجموعة من أساتذة علم الإجتماع بإشراف محمد الجوهري، نهضة العرب، الجزيرة القاهرة-مصر، ط2-2009م.
- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط2-2001م.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم، ايران، ط1، 1375هـ.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تح.ونشر دار الحديث، قم - ط1- 1416هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة – ايران.
- نثير فرائد الجمان، ابي الوليد اسماعيل ابن الاحمر الغرناطي (807هـ)، تح : دكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط2، 1987م.
- النسق الثقافي، يوسف عليمات، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن، ط1-2009.
- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، عز الدين أحمد موسى، دار الشروق – مكتبة المهتدين الإسلامية، ط1- 1983م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري التلسماني، تح.الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1968م.

- النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط3 -2005م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، دط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، السفر الأول.
- نهج البلاغة – المُختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي)، تح.السيد هاشم الميلاني، مكتبة العتبة العباسية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية، كربلاء المقدسة – العراق.
- نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري، منشورات مكتبة الإمام المهدي، ايران - قم، ط1- 1410هـ.
- الوصف في الشعر العربي القديم، عبد العظيم علي قناوي، مكتبة ومطبعة مصطفى الثاني وأولاده، مصر .
- وصف قصور الأمراء ودورهم في شعر الأندلسيين أثناء حكم ملوك الطوائف، د.مفتاح أحمد عبد الجليل، مجلة الجسر الثقافية.
- ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، د.سامي شهاب أحمد، دار غيداء للنشر، ط1، 2012م.
- يا أهل الكتاب، علي محمد علي دخيل، الأمانة العامة للعتبةِ الحسينية المُقدسة، العراق-كربلاء، ط1- 2017م.

2- الرسائل والاطاريح

- الأنساق الأسلوبية المُهيمنة على السور القرآنية – دراسة تطبيقية على السور المكية، خالد توفيق مزعل الحسناوي، اطروحة قدمها إلى مجلس كلية الآداب جامعة الكوفة لنيل شهادة الدكتوراه – 2012م.
- الأنساق الثقـافية في الشعر الجاهلي – نسق القبيلة انموذجا، بووشمة معاشو، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد المعاصر، جـامعة جيلالي ليابس- كلية الآداب واللّغات والفنون – قسم اللغة العربية وآدابها، 2018-2019م.
- ديوان عبد الجليل بن وهبون (الشاعر وشعره)، رسالة ماجستير، إعداد الطالب سعيد أحمد محمد الغامدي، بإشراف أ.د.حسن عبد الكريم الوراكلي، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى – كلية اللغة العربية – قسم الدراسات العليا .
- شعر الملوك والأمراء في الأندلس: دراسة في موضوعاته وأساليبه، اطروحة قدمتها الباحثة رغدة علي الزّبون لنيل درجة الدكتوراه، إشراف الأستاذ الدكتور صالح جرّار، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م.
- طرائق الزراعة في بلاد المغرب والأندلس خلال – القرون الأربعة الأولى من الفترة الإسلامية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير قدمها الطالبين علي دش وبلال فيفي، جامعة محمد بوضياف، 2016-2017م.
- العادات والتقاليد في الأندلس من (7هـ – 9هـ / 13م-15م)، نبيلة العاجي – وردة سعودي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، إشراف الأستاذ مصطفى باديس أوكيل، جامعة البويرة – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم التاريخ، الجزائر- مدينة البويرة، 2018-2019م.

- النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، قارة مصطفى نور الدين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لكلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2009-2010م.

3- المجلات والبحوث المنشورة

- الأعيادُ في مملكة غرناطة، أحمد مُختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، الناشر وزارة التعليم العالي – الإدارة العامة للتمثيل الثقافي – المعهد المصري للدراسات الإسلامية: عدد 15.
- انثى العنكبوت تاكل رجلها عند التزاوج، مجلة الرياض – العدد15890، 2011.
- خيوط العناكب لتصنيع الدروع، بحث من قبل موقع ببان (فكر وفن)، بتصرف 13-08-2021م.
- الدلالة النسقية (تأطير نظري)، دكتور أمجد حميد الفاضل، جامعة كربلاء-كلية العلوم الإسلامية-قسم اللغة العربية، 2017م.
- ديوان المعتضد بن عباد، تح : الدكتور محمد مجيد السعيد، مجلة المورد، الجمهورية العراقية، المجلد 5، العدد2، 1976م.
- الغزل بالمذكر في الشعر الأندلسي – بواعثه وخصائصه - م.م.جنان خالد ماهود، جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية.
- مجلة معهد المخطوطات العربية، اهتمام المسلمين في الأندلس بالكتب، خوليان ريبيرا، ترجمة: جمال محرز.
- مواقع التواصل الإجتماعي والعقل الجمعي – دراسة استقرائية، نوف عبد اللطيف الحزامي، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية – المجلد الواحد والعشرون – العدد الثاني – 2021م، قسم الأعلام، جامعة الملك سعود.

- النسق القرآني – دراسة في المفهوم والوظيفة، دكتورة نور مهدي كاظم، جامعة وراث الأنبياء كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم، مجلة العميد – المجلد التاسع – العدد الخامس الثلاثون،2020م.

Summary

Luxury is tyranny and extravagance in physical and spiritual blessings, and Andalusia, with its beautiful natural, behavioral and material aspects, was a suitable incubator for the phenomenon of luxury. Some of them were few who did not go beyond pieces, and some of them went beyond that to compose some poems, and few of them were the owners of collections. .

The Qur'anic systems in the poetry of the kings and princes of Andalusia showed us the severity of the applicability of luxury and its impact on this class. Pursuing the contents of texts and their aesthetic techniques goes beyond reading the text and its presenter and the reality surrounding them, so human research in the field of literature with this reading is closer to life, because if literature does not touch the realities of life that are included in that text and its presenter, there is no point in literature.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Kerbala University
College of Islamic Sciences
The Department of Arabic Language

Luxury and its Quranic Formats in Andalusian Kings and Princes Poetry

A letter Submitted to the Council of The College of Islamic Sciences / University of Kerbala It is Part of the Requirements for obtaining a Master's Degree in Arabic language and Literature / Qur'anic Language and Literature

Written by
Jafar Sadiq Wehab
Supervised by
Asst.Prof.Dr.Safaa Hussein Al-Masody

1443 **April 2022**